

بازنگری در معانی قرآن

شامل بحث در:

آیاتی که نادرست، ترجمه یا تفسیر شده‌اند

اثر:

مصطفی حسینی طباطبایی

این کتاب از سایت کتابخانه عقیده دانلود شده است.

www.aqeedeh.com

book@aqeedeh.com

آدرس ایمیل:

سایت‌های مفید

www.aqeedeh.com

www.nourtv.net

www.islamtxt.com

www.sadaislam.com

www.ahlesonnat.com

www.islamhouse.com

www.isl.org.uk

www.bidary.net

www.islamtape.com

www.tabesh.net

www.blestfamily.com

www.farsi.sunnionline.us

www.islamworldnews.com

www.sunni-news.net

www.islamage.com

www.mohtadeen.com

www.islamwebpedia.com

www.ijtehadat.com

www.islampp.com

www.islam411.com

www.videofarda.com

www.videofarsi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خداوند پاک را سپاسی بی‌قیاس که قرآن تابناک را فروفرستاد تا جهانیان را از تاریکی‌ها به سوی نور برون آورد و به بهشت برین و خشنودی خود رهنمون شود. و بربنده برگزیده‌ء امین و پیامبر راستین او، محمد مصطفی سلام فراوان باد که امانت خدا را بی‌کاستی اداء کرد و پیام او را به درستی رساند و در راه خدا چنانکه سزاوار بود به مجاهدت برخاست.

و برخاندان گرامی و یاران وفادارش که او را در گسترش نور یاری دادند درودی شایسته باد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرست مطالب

پیشگفتار.....	۱۳
منزلت فهم قرآن.....	۱۳
فرق میان ترجمه و تفسیر.....	۱۴
علت خطا در ترجمه و تفسیر.....	۱۵
کار اصلی ما در این کتاب.....	۱۷
۱ نکاتی از سوره فاتحه الكتاب.....	۲۵
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.....	۲۵
﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.....	۲۷
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.....	۲۹
﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.....	۳۰
۲ نکاتی از سوره بقره.....	۳۱
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾.....	۳۱
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾..... انذار معاندان!	۳۳
﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾..... مهر زدن بر دلها!	۳۵
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾..... بیماردلان و افزودن بیماری آنها!	۳۷
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾..... نسل آدم ﷺ جانشین چه کسانند؟	۳۹

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ خداوند چه نامهایی را به آدم عليه السلام آموخت؟ ۴۳

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ معنای نسخ و حکمت آن ۴۷

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ تغییر قبله و علم الهی! ۵۰

۳ نکاتی از سوره العمران ۵۳

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾
 جداسازی محکمات از متشابهات ۵۳

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ءِ كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا...﴾
 راسخان در دانش و تأویل متشابهات ۵۸

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَابِمًا بِالْقِسْطِ﴾ قائم به قسط
 کیست؟ ۶۲

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
 فرمانروایان! ۶۳

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾
 فراخوانی اهل کتاب به توحید ۶۷

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿٦٥﴾﴾
 بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَكَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ شادمانی شهیدان! ۷۰

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُضَمُّهُمْ حَيْرٌ لَّا أَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُضَمُّهُمْ لِيزِدَادُوا إِثْمًا ۚ وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿١٧٦﴾ لام عاقبت، نه لام تعلیل! ٧٢

٤ نکاتی از سوره نساء ٧٧

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ...﴾ معنای این استثناء چیست؟ ٧٧

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾ رجوع به مسؤولان امور ٧٩

٥ نکاتی از سوره مائده ٨٣

﴿أَيُّومَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ۗ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ طهارت اهل کتاب ٨٣

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ کشتن یکن برابر با کشتن همه مردم! ٨٧

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ولایت مؤمنان بر یکدیگر ٩٠

﴿يَوْمَ تَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۗ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ پاسخ پیامبران در روز رستاخیز ٩٣

٦ نکاتی از سوره انعام ٩٩

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ به اشتباه افکندن یا لباس پوشاندن؟! ٩٩

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ﴿١٠١﴾ ملکوت آسمانها و زمین ١٠١

۷ نکاتی از سورهٔ اعراف..... ۱۰۵

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا﴾ عقیده به جبر یا تقلید از

پدران؟..... ۱۰۵

﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ اسماء خدا یا

آیات او؟!..... ۱۰۸

۸ نکاتی از سورهٔ انفال..... ۱۱۱

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۖ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ فعل خدا و

فعل رسول..... ۱۱۱

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ﴾ خمس قرآنی!..... ۱۱۴

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ خدا ما را کافی است. ۱۱۷

۹ نکته ای از سورهٔ توبه..... ۱۲۱

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۖ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا

تَعْلَمُهُمْ ۖ لَخَنَّ نَعْلُهُمْ ۖ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ منافقان

ناشناخته و عذاب آنان!..... ۱۲۱

۱۰ نکته ای از سورهٔ یونس..... ۱۲۵

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۖ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ خطای صرفی!..... ۱۲۵

۱۱ نکته ای از سورهٔ هود..... ۱۲۷

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ

أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ چه کسی از بینه برخوردار است و شاهد خدایی کیست؟..... ۱۲۷

۱۲ نکته ای از سوره یوسف..... ۱۳۱

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِّي يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ۚ قُلْ بَحْسَ لِي مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ اتَّكَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿۳۱﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ ﴿۳۲﴾ وَمَا أُبْرِي نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿۳۳﴾﴾ سخنان زلیخا یا گفتار یوسف؟..... ۱۳۱

۱۳ نکته ای از سوره رعد..... ۱۳۵

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿۳۲﴾﴾ شاهد رسالت پیامبر ﷺ..... ۱۳۵

۱۴ نکته ای از سوره ابراهیم..... ۱۳۹

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ حَمِيْعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿۳۱﴾﴾ گفتگوی ضعفاء با مستکبران!..... ۱۳۹

۱۵ نکته ای از سوره حجر..... ۱۴۳

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿۳۲﴾﴾ بادهای بارورکننده!..... ۱۴۳

۱۶ نکته ای از سوره نحل..... ۱۴۷

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿۳۲﴾﴾ دربارهٔ اهل ذکر..... ۱۴۷

- ۱۷ نکته ای از سورهٔ اسراء..... ۱۵۱
 ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِاهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّبِعُونَ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ﴿۱۵۱﴾ رهیابی به
 سوی خداوند عرش..... ۱۵۱
- ۱۸ نکته ای از سورهٔ كهف ۱۵۵
 ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ
 بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ ﴿۱۵۵﴾ ترسناک بودن
 اصحاب كهف!..... ۱۵۵
- ۱۹ نکته ای از سورهٔ مریم..... ۱۵۹
 ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءِالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿۱۵۹﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿۱۶۰﴾ نزاع معبودان و عبادتگران!..... ۱۵۹
- ۲۰ نکاتی از سورهٔ طه..... ۱۶۳
 ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ﴾ ﴿۱۶۳﴾ إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ تَحْشَىٰ﴾ ﴿۱۶۴﴾ پیامبر ﷺ از چه
 چیز رنج میبرد؟!..... ۱۶۳
 ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿۱۶۵﴾
 شتاب در قرائت وحی!..... ۱۶۶
- ۲۱ نکته ای از سورهٔ انبیاء ۱۶۹
 ﴿أُولَٰئِكَ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ
 كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿۱۶۹﴾ رتق و فتق در آسمان و زمین!..... ۱۶۹
- ۲۲ نکته ای از سورهٔ حجّ..... ۱۷۳
 ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَّةً
 أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِدًا عَلَيْكُمْ

- وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴿ نامگذاری اسلام و گواهی پیامبر ﷺ ۱۷۳
- ۲۳ نکاتی از سوره مؤمنون ۱۷۷
- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿۱۸۱﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴿۱۸۰﴾ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۚ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿۱۸۲﴾ ﴾ درخواست بازگشت به دنیا ۱۷۷
- ﴿ قُلْ مَنْ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا تُجَارُ عَلَيْهِ إِلَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿۱۸۳﴾ ﴾ يُجَارُ عَلَيْهِ چه معنایی دارد؟ ۱۷۹
- ۲۴ نکته ای از سوره نور ۱۸۳
- ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ دعوت پیامبر ﷺ ۱۸۳
- ۲۵ نکته ای از سوره فرقان ۱۸۷
- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿۱۸۷﴾ ﴾ نزول تدریجی قرآن ۱۸۷
- ۲۶ نکته ای از سوره شعراء ۱۹۳
- ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿۱۹۳﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿۱۹۴﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿۱۹۵﴾ ﴾ دشمنی بتها با ابراهیم ﷺ ۱۹۳
- ۲۷ نکته ای از سوره نمل ۱۹۷
- ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿۱۹۷﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَلَيْسَ لَكُمْ عِلْمًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿۱۹۸﴾ ﴾ رَجَعْتَ يَا بازگشت به دنیا! ۱۹۷

۲۸ نکته ای از سوره قصص ۲۰۱

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿۲۰۱﴾﴾

حکم و علم موسی علیه السلام ۲۰۱

۲۹ نکته ای از سوره روم ۲۰۵

﴿أُولَٰئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنُقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً

وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۗ فَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿۲۰۵﴾ ۱

كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿۲۰۵﴾﴾ فرجام بدکاران! ۲۰۵

۳۰ نکته ای از سوره احزاب ۲۰۹

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ اراده تکوینی یا

تشریحی؟ ۲۰۹

۳۱ نکته ای از سوره فاطر ۲۱۷

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ

بَصِيرٌ ﴿۲۱۷﴾ ۱ ثَمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۗ فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۗ وَمِنْهُمْ

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۗ إِذْنِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿۲۱۷﴾﴾ میراث بران

کتاب خدا ۲۱۷

۳۲ نکته ای از سوره یس ۲۲۱

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿۲۲۱﴾﴾

اعتراف به گناه پساز خاموشی! ۲۲۱

۳۳ نکته ای از سوره صافات ۲۲۵

﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ ﴿۳۳﴾﴾ ۱ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿۳۳﴾﴾ ۱ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

الْمُؤْمِنِينَ ﴿۳۳﴾﴾ سلام بر کیست؟ ۲۲۵

- ۲۲۹..... ۳۴ نکته ای از سوره ص..... ﴿قَالَ يٰٓإِنۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيۡدِيۡ طۡ اَسۡتَكۡبَرۡتَ اَمْ كُنۡتَ مِنَ اَلۡعٰلِيۡنَ ﴿۲۲۹﴾ دست خدای سبحان!..... ۲۲۹.....
- ۲۳۳..... ۳۵ نکته ای از سوره زمر..... ﴿وَالَّذِيۡ جَآءَ بِالۡصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهٖ ۙ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿۲۳۳﴾ دعوتگران و تصدیقکنندگان قرآن:..... ۲۳۳.....
- ۲۳۷..... ۳۶ نکته ای از سوره فصلت..... ﴿سۡرِيۡهَمۡ ءَايٰتِنَا فِیۡ الۡاَفَاقِ وَفِیۡ اَنۡفُسِهِمۡ حَتّٰی یَتَّبِعِنَ لَهُمۡ اَنۡهُ اَلۡحَقُّ ؕ اُولَٔمۡ یَكۡفِ بِرَبِّكَ اَنۡهُ عَلٰی کُلِّ شَیۡءٍ شَهِیۡدٌ ﴿۲۳۷﴾ ارائه آیات در آفاق و انفس..... ۲۳۷.....
- ۲۴۳..... ۳۷ نکته ای از سوره شوری..... ﴿وَكَذٰلِكَ اُوۡحِیۡنَاۤ اِلَیۡكَ رُوۡحًا مِّنۡ اَمۡرِنَاۙ مَا كُنۡتَ تَدۡرِیۡ مَا اَلۡكِتٰبُ وَلَا الۡاِیۡمٰنُ وَلٰكِنۡ جَعَلۡنٰهُ نُوۡرًا ﴿۲۴۳﴾ مقصود از روح در این آیه چیست؟..... ۲۴۳.....
- ۲۴۷..... ۳۸ نکته ای از سوره زحرف..... ﴿وَسۡئَلٌۭ مِّنۡ اَرۡسَلۡنَا مِنۡ قَبۡلِكَ مِنۡ رُّسُلِنَاۙ اَجَعَلۡنَا مِنۡ دُونِ الرَّحۡمٰنِ ءَالِهَةً یُّعۡبَدُوۡنَ ﴿۲۴۷﴾ گواهی پیامبران بر یکتاپرستی..... ۲۴۷.....
- ۲۵۵..... ۳۹ نکته ای از سوره احقاف..... ﴿قُلۡ مَا كُنۡتَ بِدَعَاۤیِۡمِنۡ الرُّسُلِ وَمَا اَدۡرِیۡ مَا یُفَعۡلُ بِیۡ وَلَا بِكُمۡ ؕ اِنۡ اَتَّبِعِۦۙ اِلَّا مَا یُوۡحٰیۤ اِلَیَّ وَمَا اَنَاۡ اِلَّا نَذِیۡرٌ مُّبِیۡنٌ ﴿۲۵۵﴾ رسول خدا ﷺ و حوادث آینده..... ۲۵۵.....
- ۲۶۱..... ۴۰ نکاتی از سوره فتح..... ﴿اِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتَحًا مُّبِیۡنًا ﴿۲۶۱﴾ لَیۡغَفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنۡ ذَنۡبِكَ وَمَا تَاَخَّرَ وَیُتِمَّرۡ نِعۡمَتُهٗ عَلَیۡكَ وَیَهۡدِیۡكَ صِرَاطًا مُّسۡتَقِیۡمًا ﴿۲۶۱﴾ فتح و آمرزش گناه!..... ۲۶۱.....

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُمْ فَفَارَزَهُ فَاَسْتَغَلَطَ فَاَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ ۚ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٧٠﴾﴾ محمد ﷺ و همراهانش..... ۲۷۰

۴۱ نکته ای از سوره حُجرات ۲۷۹

﴿يَتَأَيُّبُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٧٩﴾﴾ شناسایی اقوام و امتیاز افراد!... ۲۷۹

۴۲ نکته ای از سوره واقعه ۲۸۳

﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ قرآن کریم و فرشتگان پاک!..... ۲۸۳

۴۳ نکته ای از سوره حديد ۲۸۷

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۗ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٨٧﴾﴾ خداوند در مقام غیب!..... ۲۸۷

۴۴ نکته ای از سوره جُمعه ۲۹۳

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوًّا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجْرَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٩٣﴾﴾ تقدیم و تأخیر در واژهها!..... ۲۹۳

- ۴۵ نکاتی از سوره قلم ۲۹۵
- ﴿ رَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿۱﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿۲﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿۳﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿۴﴾ ﴾ سوگند به قلم و نگارش ۲۹۵
- ۴۶ نکته ای از سوره معارج ۲۹۹
- ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ ﴿۱﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿۲﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿۳﴾ ﴾ زمان وقوع عذاب! ۲۹۹
- ۴۷ نکته ای از سوره بلد ۳۰۳
- ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿۱﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿۲﴾ ﴾ سوگند یادکردن یا قسم نخوردن! ۳۰۳
- ۴۸ نکته ای از سوره تکوین ۳۰۵
- ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿۱﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿۲﴾ ﴾ علم یقین و رؤیت دوزخ! ۳۰۵
- ۴۹ نکته ای از سوره عصر ۳۰۹
- ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿۱﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿۲﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصَوْا ﴿۳﴾ ﴾ سوگند به کدام عصر؟! ۳۰۹
- ۵۰ نکته ای از سوره قریش ۳۱۱
- ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿۱﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿۲﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿۳﴾ ﴾ توحید و الفت ۳۱۱

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ۲۹]
«کتابی فرخنده است که آن را به سوی
تو فرو فرستاده‌ایم تا در آیاتش ژرفنگری
کنند و خردمندان از آن اندرزگیرند».

پیشگفتار

منزلت فهم قرآن

دانشمندان علوم عقلی گفته‌اند که اهمّیت هردانشی به «موضوع» آن بستگی دارد و هر علمی که موضوعش مهمتر باشد، اعتبار آن بیشتر است. بر همین اساس «قرآن شناسی» از سایر علوم مهمتر شمرده می‌شود زیرا موضوع آن «کلام الهی» است که به اعتبار دلالتش بر اراده تشریعی خداوند - جَلَّ وَعَلَا - مورد بحث قرار می‌گیرد و بالاترین مباحث معرفتی را دربردارد.

در تأیید آنچه گفته شد، از پیامبر ارجمند اسلام (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) گزارش شده که فرمود:
«مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ، فَقَدْ عَظَّمَ مَا حَقَّرَ اللهُ وَحَقَّرَ مَا عَظَّمَ اللهُ»^(۱)

یعنی: «نعمت قرآن به هرکس داده شود و گمان کند که به کسی از مردمان نعمتی برتر از آن داده شده، بی‌شک چیزی را که خدا کوچک شمرده، او بزرگ پنداشته و چیزی را که خدا بزرگ داشته، او کوچک انگاشته است».

۱- در گزارش این حدیث شریف فرقه‌های گوناگون مسلمین (با اندک تفاوتی در الفاظ) شرکت نموده‌اند. به عنوان نمونه: به اصول کافی، ج ۲، ص ۶۰۴ و مسند الإمام زید، ص ۳۸۷ و الجامع الصغیر فی أحادیث البشیر النذیر، ج ۲، ص ۱۶۵ بنگرید.

به همین دلیل، فهم قرآن کریم از دیدگاه ما مسلمانان دارای اعتبار و منزلتی است که در عرصه معرفت بالاتر از آن نیست. از مسلمانان که بگذریم در میان فرهیختگان مغرب زمین که به شرف اسلام مفتخر نشده‌اند نیز درک و شناخت قرآن منزلتی والا دارد زیرا که این کتاب تابناک، منشأ پیدایش فرهنگ و تمدن عظیمی در جهان شده و بویژه در روزگار گذشته، پیروانش تأثیر انکارناپذیری بر تمدن و فرهنگ غرب نهاده‌اند. ازاینرو دانشمندان بسیاری از غیرمسلمانان همچون **تئودور نولدکه** (آلمانی) و **رژی بلاشر** (فرانسوی) و **ریچارد بیل** (انگلیسی) و دیگران بر فهم و معرفت قرآن کریم همت گماردند و عمری را در راه شناخت تاریخ قرآن و مفاهیم آن سپری کردند، هرچند بنا به عللی بر همه معانی و مقاصد بزرگ قرآنی ره نیافتند.

و شگفت از نویسندگان و پژوهشگران مسلمانی که فکرت و همت خود را بر تفحص درباره اسطوره‌های دروغین و تخیلات بی اثر و فلسفه بافی‌های نافرجام صرف می‌کنند و از تحقیق در کتاب فرهنگ آفرینی چون قرآن حکیم که قرن‌ها بر دل و جان و زندگی میلیاردها تن اثر نهاده خودداری می‌ورزند! باید گفت که:

شب پره گر وصل آفتاب نخواهد رونق بازار آفتاب نگاهد!

فوق میان ترجمه و تفسیر

برای کسانی که در کار پژوهش قرآن کریم می‌کوشند، ترجمه و تفسیر آیات شریفه در درجه نخست از اهمیت قرار دارد. ازاینرو اهتمام بر این دو امر ارجمند بر تحقیق در سایر علوم وابسته به قرآن، مقلّم شمرده می‌شود. در اینجا باید توجه داشت که ترجمه قرآن مجید با تفسیر آن - برخلاف پندار برخی - تفاوتی دقیق دارد. در ترجمه قرآن کریم (یا هر متن دیگری) مترجم تنها موظف است که متن اصلی را به زبان موردنظر برگرداند. بدون آنکه مجملات یا مبهمات آن را توضیح دهد ولی در تفسیر متن، مفسر می‌کوشد تا

از مفاهیم آن کاملاً پرده برداری کند و تا می‌تواند رفع ابهام و دفع اجمال نماید. مثلاً در ترجمه این آیه شریفه (از سوره فتح) که می‌فرماید:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۗ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾ [الفتح:

۲-۱] همین اندازه کافی است که مترجم بنویسد:

«همانا ما تو را فتحی آشکار آوردیم. تا خدا گناه گذشته تو و آنچه را که بازپس آمده پیامزد...».

أما مفسر قرآن باید توضیح دهد که آن فتح آشکار کدامست؟ و فتح مزبور چه پیوندی با گناه پیامبر ﷺ و آمرزش وی داشته است؟ و اساساً گناه پیامبر پاک ﷺ، چه بوده است؟ و چرا در آیه شریفه، علاوه بر گناه پیشین از گناه پسین پیامبر ﷺ نیز یاد شده است؟ و اگر گناه مزبور به معنای «گناه آینده» باشد، آمرزش گناهی که هنوز صورت نگرفته چه معنایی دارد^(۱)!

اگر مترجم بخواهد به تفصیل یا حتی به اختصار در این وادی گام نهد، به فن تفسیر روی آورده و از ترجمه فراتر رفته است.

علت خطا در ترجمه و تفسیر

برای ترجمه قرآن کریم به زبان پارسی، پیشینه‌ای قدیمی باید قائل شد و دیرزمانی است که متأسفانه ترجمه‌های نارسا و احیاناً مغلوط در ایران رواج دارد. اخیراً به همت چند تن از فضلا ترجمه‌های روان و کم نقصی از قرآن کریم در دسترس عموم قرارداد شده که اقدامی مثبت و درخور سپاسگزاری است ولی هنوز تمام ترجمه‌های قرآنی از اغلاط صرفی و نحوی پاک نشده‌اند. به عنوان نمونه، در ترجمه ای که از سوی انتشارات سروش (وابسته به صدا و سیما) در سال ۱۳۶۷ هـ ش در دسترس قرار گرفته، مترجم محترم

۱- ما در همین کتاب - إن شاء الله تعالی - به این پرسشها با استناد به آیات دیگر قرآن پاسخ خواهیم داد و در حقیقت از روش «تفسیر قرآن به وسیله قرآن» استفاده می‌کنیم.

آیه ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ۸۸] را خطاب به پیامبر خدا ﷺ پنداشته است و فعل «لَتَعْلَمَنَّ» را به لفظ مفرد برگردانده! در صورتی که واژه مزبور به صیغه جمع آمده و در اصل «لَتَعْلَمُونَ» بوده است. در اینجا قرآن کریم گروه کافران را تهدید می‌نماید و پیدا است که پیامبر خدا ﷺ را به جای کافران، مخاطب قرار دادن، چه غلط فاحشی به شمار می‌آید.

بنابراین خطای ترجمه‌ها، غالباً از نشناختن واژه‌های قرآنی نشأت می‌گیرد و گاهی هم بی‌خبری نسبت به ترکیب کلام، موجب لغزش مترجم می‌شود (چنانکه نمونه‌های آن را در همین کتاب آورده‌ایم).

أما عمده لغزشها در تفسیر قرآن، با «آراء پیش ساخته مفسران» پیوند دارد. رأی مذهبی یا عقیده دلخواه مفسر در بسیاری از موارد، او را وادار می‌کند تا مفهومی را بر آیات قرآنی تحمیل نماید که با متن سازگاری ندارد. به همین جهت در آثار اسلامی به تأکید آمده که از «تفسیر به رأی» باید پرهیز کرد. کسانی که در تفسیر قرآن مثلاً فلسفه یونانی یا عرفان اسکندرانی یا تصوف هندی یا فلسفه‌های غربی یا فرضیات علمی یا اخبار ساختگی و ضعیف و امثال این امور را دخالت می‌دهند و آن‌ها را با لطائف الحیل بر آیات قرآن تحمیل می‌کنند از مصادیق تفسیرکنندگان به رأی به شمار می‌آیند و در حقیقت سخن امیرمؤمنان علی علیه السلام درباره اینگونه مفسران درست می‌آید که فرمود: «كَأَنَّهُمْ أُثْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامُهُمْ»^(۱) «گویی که ایشان، امامان قرآنند و قرآن، امام ایشان نیست!». البته ما انکار نمی‌کنیم که با ذهن کاملاً تهی از معلومات نمی‌توان به درک قرآن نائل آمد و قرآن فهمی ناگزیر دانش‌هایی را همچون (لغت و صرف و نحو و معانی و بیان و...) می‌طلبد ولی علوم مزبور را به چشم «ابزار فهم قرآن» می‌نگریم و این نگاه بی‌تردید با «تحمیل رأی بر قرآن» تفاوت دارد زیرا در این نگرش ما می‌کوشیم تا با علوم ابزاری، مقاصد قرآن

۱- نهج البلاغه، خطبه ۱۴۷.

کریم را از متن آن دریابیم و پیش از برخورد با متن قرآنی، عقیده ویژه‌ای درباره آن اتخاذ نمی‌کنیم ولی در تفسیر به رأی (که در شرع اسلام نهی شده است) متن قرآن را به سوی آراء پیشین خود می‌کشند و به جای مقصود قرآن، مراد خودشان را جایگزین آن می‌کنند و تفاوت میان این دو امر، واضح است.

و هرچند «تفسیر به رأی» یکی از مهمترین علل پدید آمدن خطا در تفسیر قرآن به-شمار می‌آید ولی علت لغزش در فهم قرآن کریم منحصر و محدود به این موضوع نیست و گاهی دقت نکردن در نکات و قرائن آیات و همچنین غفلت از سیاق و فضای سوره‌ها و به‌ویژه توجه نداشتن به آیات مشابه با یکدیگر (که زمینه تفسیر قرآن به قرآن را فراهم می‌آورند) موجب خطای مفسر در فهم و توضیح قرآن کریم می‌شوند.

کار اصلی ما در این کتاب

باید دانست پژوهش در قرآن کریم زمینه‌های فراوانی دارد که جای برخی از آنها تاکنون خالی مانده است مانند برداشت پیامهایی از قرآن که در روزگار ما، پاسخگوی مشکلات هستند و مانند توضیح روابط و پیوندهای برخی از آیات با یکدیگر که مفسران گذشته بدانها کمتر پرداخته‌اند. ما بحث از این امور را به بخش دیگر از این کتاب (مجلد دوم) موکول کرده‌ایم که به توفیق خداوند - عَزَّ ذِكْرُهُ - به نگارش آنها اهتمام ورزیم. در این بخش از کتاب، بیشتر کوشش ما معطوف به دو امر بوده است. یکی توضیح و تصحیح اغلاطی که در ترجمه‌های متداول قرآن (به‌زبان فارسی) ملاحظه کرده‌ایم و دیگر، پرداختن به آیاتی که مفسران در معنای آنها دچار اختلاف شده‌اند و گاهی وجه صواب را در تفاسیر خود نشان نداده‌اند. در این باره، محور تلاش ما، خود قرآن کریم بوده است و از تفسیر آیات به‌وسیله یکدیگر و گواه گرفتن از آنها، حل مشکلات را طلب کرده‌ایم و اگر توفیقی در این زمینه بدست آمده و سخن تازه‌ای گفته شده همگی مرهون لطف خداوند - جَلَّ و علا - بوده است و بس **و لا حول و لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**.

در اینجا باید - هر چند به اختصار - توضیح داد که هر کس با قرآن مجید اندک آشنایی داشته باشد، می‌داند که قرآن کریم مباحثی را با الفاظ گوناگون، تکرار نموده است و چنانکه خود تصریح فرموده کتابی است که اجزایش همگون و شبیه یکدیگرند ﴿كُتِبَآ مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ۲۳]. از این موضوع می‌توان برای تفسیر قرآن به وسیله شاهدی از خود قرآن، بهره گرفت و این قاعده را «أُمُّ الْقَوَاعِدِ» علم تفسیر شمرد به ویژه نخستین مفسری که بدین شیوه مرضیه پرداخته - چنانکه در تفاسیر شیعه و سنی آورده‌اند^(۱) - خود رسول خدا ﷺ بوده است که آیه ۸۲ از سوره انعام را با آیه ۱۳ از سوره لقمان تفسیر نموده و مهر تأیید بر این روش زده است.

در اینجا ممکن است پرسیده شود که چرا در تفسیر قرآن کریم صرفاً به «احادیث» بسنده نمی‌کنید و تسلیم آن‌ها نمی‌شوید؟ باید پاسخ داد که: اگر تفسیر همه آیات یا بخش بزرگی از آن به گونه‌ای کاملاً مطمئن، از رسول خدا ﷺ به ما رسیده بود، بی‌تردید تفسیری جز آن را نمی‌پذیرفتیم و دیگر تفاسیر را زائد می‌شمردیم و اختلافات تفسیری را به احادیث نبوی ارجاع می‌دادیم ولی چنین تفسیری از پیامبر گرامی ما ﷺ در دسترس نیست و احادیث تفسیری که از آن بزرگوار در کتابها آورده‌اند اولاً به آیات بسیار معدودی از قرآن اشارت دارند و ثانیاً در اسناد آن‌ها به اصطلاح، ضعف و ارسال دیده می‌شود به طوری که اطمینان کافی را جلب نمی‌کنند. از همین رو آورده‌اند که احمد بن حنبل گفته است: «ثَلَاثَةٌ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ، التَّفْسِيرُ وَالْمَلَا حِمُّ وَالْمَغَازِي». «سه چیز است که پایه و اساسی ندارد، روایات تفسیری و اخبار پیش‌آمدهای ناگوار و گزارش (جزئیات) غزوات». و محققان اصحاب وی گفته‌اند مراد احمد آن بوده است که روایات مزبور، غالباً فاقد اسناد صحیح و متصل‌اند. با وجود این، ما به احادیث معدودی که مفسران محترم در خلال تفسیرها از

۱- به عنوان نمونه، به تفسیر التبیان اثر شیخ طوسی و مجمع‌البیان اثر شیخ طبرسی و تفسیر جامع البیان اثر ابوجعفر طبری و مفاتیح الغیب اثر فخرالدین رازی ذیل آیه ۸۲ سوره انعام نگاه کنید.

رسول اکرم ﷺ آورده‌اند، به‌هنگام بحث در آیات شریفه رجوع کرده‌ایم و در صورت موافقت با متن قرآن، از آن‌ها بهره گرفته‌ایم.

اما روایات شیعی که از ائمه اهل بیت علیهم‌السلام درباره تفسیر قرآن جمع‌آوری شده است، متأسفانه این کار مهم در مذهب امامیه از سوی علمای «اخباری» صورت گرفته و کسانی مانند «محدث بحرانی» صاحب تفسیر «البرهان» بدین عمل برخاسته‌اند و محدثان مزبور هیچگاه در صدد برنیامدند تا به «نقد حدیث» پردازند و اخبار را به لحاظ سند و متن بررسی کنند و با مدالیل قرآن بسنجند (چنانکه ائمه اهل بیت علیهم‌السلام بدین کار به تأکید سفارش فرموده‌اند) از اینرو کوشش آن‌ها چندان ثمری به‌بار نیاورده و اخباری را فراهم آورده‌اند که غالباً بی‌اعتبار و ضعیف شمرده می‌شوند و بیشتر، ساخته و پرداخته غالبان به شمار می‌آیند. به‌همین جهت دانشمندان اصول‌گرا و نامدار امامیه که در تفسیر قرآن به تصنیف و تألیف پرداخته‌اند (همچون شریف رضی و شیخ طوسی و شیخ طبرسی و ابوالفتوح رازی و دیگران) راه اخباریها را نسپرده و صرفاً به «تفسیر روایی» روی نیاورده‌اند. ابوجعفر طوسی که در مذهب امامیه وی را «شیخ الطائفه» لقب داده‌اند در آغاز تفسیرش مرقوم داشته است:

«فَإِنَّ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى الشُّرُوعِ فِي عَمَلِ هَذَا الْكِتَابِ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِنَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَمِلَ كِتَابًا يَحْتَوِي عَلَى تَفْسِيرِ جَمِيعِ الْقُرْآنِ وَيَشْتَمِلُ عَلَى فُنُونٍ مَعَانِيهِ. وَإِنَّا سَلَكْنَا جَمَاعَةً مِنْهُمْ فِي جَمْعِ مَا رَوَاهُ وَنَقَلَهُ وَأَنْتَهَى إِلَيْهِ فِي الْكُتُبِ الْمَرْوِيَّةِ فِي الْحَدِيثِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِاسْتِيفَاءِ ذَلِكَ وَتَفْسِيرِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ»^(۱).

یعنی: «آنچه مرا به شروع در کار این کتاب واداشت این بود که هیچکس از یاران خودمان (شیعیان امامی) را در گذشته و حال ندیدم که کتابی بپردازد شامل تفسیر تمام قرآن و فنون و معانی آن. تنها گروهی از ایشان در راه گردآوری روایاتی گام برداشتند که

۱- التبیان فی تفسیر القرآن، اثر شیخ الطائفه طوسی، ج ۱، ص ۱.

خودشان، آن‌ها را گزارش می‌نمودند و در کتب حدیث به ایشان رسیده بود و هیچیک از آنان، حق مطلب را کامل نکرده و تفسیر آنچه را مورد نیاز بوده نیاورده است».

مدتها پس از شیخ طوسی، مفسر نامدار دیگر امامی، یعنی «ابوعلی طبرسی» در آغاز

تفسیر خود چنین نوشت:

«أَنَّ أَصْحَابَنَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لَمْ يُدَوِّنُوا فِي ذَلِكَ غَيْرَ مُحْتَصِرَاتٍ نَقَلُوا فِيهَا مَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَلَمْ يَعْنُوا بِسَطِّ الْمَعَانِي وَكَشْفِ الْأَسْرَارِ»^(۱).

یعنی: «یاران ما - که خدای از ایشان خشنود باد - درباره تفسیر قرآن جز مطالبی مختصر تدوین نکردند و آن‌ها را از اخباری فراهم آوردند که به ایشان رسیده بود و به گسترش معانی و کشف اسرار قرآن نپرداختند».

باتوجه بدانچه گفته شد لازم است **منهج** صحیح تفسیر را در طریقه دیگری بیابیم که از آفات «سطحی‌نگری» و «روایت‌زدگی»^(۲) برکنار باشد و آن جز شیوه‌ای که خود قرآن سفارش نموده نیست یعنی تدبّر و ژرف‌نگری در کلام الهی و احاطه بر جوانب بحث چنانکه فرمود: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: ۲۴]، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [یونس: ۳۹]. و همچنین روش «تفسیر قرآن به قرآن» که رسول اکرم ﷺ به یارانش آموخت. و ما کوشیده‌ایم تا در این کتاب از این روش جدا نشویم و این دو مشعل هدایت را پی گیریم درعین حال، از توجه به روایاتی که با قرآن کریم سازگارند نیز غفلت نورزیده‌ایم. در پایان این پیشگفتار لازم است گفته شود که ترجمه‌های جدید قرآنی درخور قدردانی و بهره‌برداری و سپاسگزاری هستند و همچنین تفاسیر بزرگ و ارزشمند علمای ارجمند اسلامی که جای خود دارند - شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى سَعِيَهُمْ وَزَادَ اللَّهُ أَجْرَهُمْ - پس

۱- مجمع البیان، اثر شیخ ابوعلی طبرسی، ج ۱، ص ۲۰.

۲- روایت‌زدگی غیر از قبول روایات استوار و موثق و به‌ویژه موافق با متن قرآن است که در برخی از موارد، ما آن‌ها را شاهد آورده‌ایم.

اگر در این کتاب انگشت نقد بر پاره‌ای از آن‌ها نهاده‌ایم، نه از باب ناسپاسی بوده است بلکه به نظر این کمترین، برای کشف حقیقت لازمست به نقد آراء بزرگان پرداخت نه آنکه در برابر اقوال ایشان حالت تعبد و پرستش گرفت و البته در هر نقد منصفانه علمی باید به صحت و سقم سخنان - هردو- توجه کرد و از افکار صحیح قدردانی و سپاسگزاری نمود. عَصَمْنَا اللهُ تَعَالَى عَنِ الزَّلَلِ كُلِّهَا بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

۱۴۳۲ هجری قمری برابر با ۱۳۹۰ هجری شمسی

ایران - مصطفی حسینی طباطبائی

«أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ وَالتَّمَسُّوا غُرَابَهُ»

(النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ ﷺ)

به رسم بزرگداشت از مفسر بلند پایه قرآن،
شادروان استاد، میرزا یوسف شعار
رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى دَرَجَتَهُ

نکاتی از سوره فاتحه الكتاب

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

کلمه «الْحَمْدُ» را در دو مین آیه از این سوره، به اختلاف ترجمه نموده‌اند. برخی آن را به معنای «سپاس» آورده‌اند^(۱) که همان معنای شکر است. و بعضی آن را به معنای «ستایش» دانسته‌اند^(۲) که ثنای کسی را به دلیل کمالات ذاتی وی می‌رساند. در ترجمه‌ای دیگر معنای «سپاس و ستایش» را در این سوره و در همه قرآن، به همراه آورده‌اند.^(۳) حقیقت آنست که حمد در زبان عرب به معنای سپاس و ستایش - هر دو - آمده است.

ابن منظور در کتاب «لسان العرب» می‌نویسد:

«إِنَّكَ تَحْمَدُ الْإِنْسَانَ عَلَى صِفَاتِهِ الدَّائِيَّةِ وَعَلَى عَطَائِهِ»

یعنی: «تو آدمی را بر صفات ذاتی وی و همچنین بر بخشایش و کرمش می‌ستایی» ولی نکته ای که در ترجمه‌ها و تفاسیر قرآن از آن غفلت شده اینست که چون در قرآن کریم پس از حمد، ذکر نعمت حق - جَلَّ و عَلا - رفته باشد باید آن را به معنای «سپاس» دانست و اگر پس از حمد، اوصاف خداوندی آید (بدون آنکه از انعام و إحسان وی سخن رفته باشد) معنای «ستایش» برای آن مناسبتر است و با این «ضابطه» می‌توان میان آندو معنا، تفاوت نهاد. مثلاً در آیه شریفه:

۱- به ترجمه آقای محمدمهدی فولادوند نگاه کنید.
 ۲- به ترجمه آقای علی موسوی گرمارودی نگاه کنید.
 ۳- به ترجمه آقای حسین استادولی نگاه کنید.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ۴۳]. [سپاس خدای را که براین (بهشت جاوید) ما را رهبری کرد] حمد را به معنای سپاس باید تفسیر نمود و نیز در آیه ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ۲۸]. (بگو سپاس خدای را که از گروه ستمگران ما را نجات داد). أمّا مثلاً در آیه مبارکه ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ۱۱۱]. (بگوستایش خدای را که فرزندی نگرفت) حمد را در معنای ستایش می‌آوریم زیرا که نیاز نداشتن به فرزند، از شوون کمالیه حقّ است نه احسان بر بندگان. بنابراین، جمله‌های پس از حمد در آیات مذکور، حکم «جمله‌های تعلیلیه» را دارند و علت سزاوار بودن حمد را توضیح می‌دهند.

أمّا کسانی که سپاس و ستایش را در ترجمه هر آیه‌ای به همراه آورده‌اند، از این قاعده دور شده‌اند که هرگاه در کلام جدی، قرینه‌ای بر غلبه یکی از معانی آید، معنای دیگر برکنار می‌شود مگر در جایی که سیاق کلام بر هر دو معنی دلالت کند مانند سوره فاتحه کتاب که پس از ذکر حمد، هم بر مالکیت حق تعالی تصریح شده ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و هم از رحمت او بر بندگان سخن رفته است ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

۱- ربّ در حال اضافه به معنای مالک آمده است در تاریخ عرب می‌خوانیم که عبدالمطلب (نیای پیامبر اکرم ص) به ابرهه حبشی که به قصد ویران کردن کعبه آمده بود گفت: إني أنا ربُّ الإبلِ وإنَّ للبيتِ ربّاً سيمنعه (سیره ابن هشام، ج ۱، ص ۵۰) یعنی «من مالک شترانم و این خانه را مالکی است که از آن حمایت خواهد کرد». در تنزیل عزیز نیز می‌خوانیم: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (پس باید که خداوند این خانه را بندگی کنند). البتّه از لوازم مالکیت، پرورش و اصلاح و تدبیر نیز هست از اینرو در قاموس-های عربی، ذکر معانی مزبور هم رفته است. ولی معنای اصلی آن، همان «مالک» است چنانکه فرمود: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الصافات: ۱۸۰) و مقصود از «رَبِّ الْعِزَّةِ» مالک و خداوند عزّت است.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

کلمه «العالمین» ملحق به جمع مذکر سالم است و برخی از مترجمان آن را به «عالمها»^(۱) یا «جهانها»^(۲) ترجمه کرده‌اند و بیشتر مترجمان آن را به صورت «جهانیان» به پارسی برگردانده‌اند و این ترجمه، صحیح به نظر می‌رسد زیرا هرچند کلمه مزبور، معنای عام دارد ولی در قرآن کریم در خصوص (اهل جهان) بکاررفته است چنانکه می‌فرماید:

﴿يَمْرُؤُا۟ۙ اِنَّ اللّٰهَ اَصْطَفٰنِكَ وَطَهَّرَكَ وَاَصْطَفٰنِكَ عَلٰۤى نِسَا۟ۙ الْعٰلَمِي۟ۙنَ ۝۱۱﴾ (ای مریم، همانا خدا تورا انتخاب کرد و پاکیزه ساخت و تورا نسبت به زنان جهانیان برگزید) و روشن است که مراد از «نِسَا۟ۙ الْعٰلَمِي۟ۙنَ» زنان اهل جهان است و نیز مانند آنچه از قول لوط پیامبر ﷺ به قومش آمده که گفت: ﴿اَتَا۟ۙتُوۡنَ الْفٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُمۡ بِهَا مِنْۢ مِّنۡ اَحَدٍ مِّنۡ الْعٰلَمِي۟ۙنَ ۝۸۰﴾ [الأعراف: ۸۰]. (آیا به کارزشتی روی می‌کنید که هیچکس از جهانیان در این - کار بر شما پیشی نگرفته است؟! و در آیات دیگری از قرآن کریم نیز کلمه مزبور به همین معنی استعمال شده است و از قواعد قرآن‌شناسی آنست که کاربرد لغات را در قرآن به نظر آوریم و مفهومی را که از آن‌ها برمی‌آید بر معانی دیگر ترجیح دهیم به ویژه که می‌دانیم کلمه «عالم» در قرآن کریم تنها با یاء و نون جمع بسته شده (وبه صورت **عوالم** نیامده است) و این گونه جمع را معمولاً برای «ذَوِی الْعُقُوْل» بکارمی‌برند.

ناگفته نماند که علت اختلاف مترجمان را در ترجمه کلمه «عالمین» باید پیروی از مفسران قرآن دانست زیرا که ایشان پیش از مترجمان در این باره به اختلاف سخن گفته‌اند. شیخ ابوالفتوح رازی در تفسیر مشهورش در معنی عالمین می‌نویسد:

۱- به ترجمه آقای جلال الدین فارسی نگاه کنید.

۲- به ترجمه خانم طاهره صفارزاده نگاه کنید.

«صادق گفت ﷺ «هُم أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، اهل بهشت و دوزخند و حسن (بصری) وقتاده و مجاهد می‌گویند عبارت است از جمیع المخلوقات^(۱)».

به نظر ما با توجه به کاربرد قرآنی کلمه مذکور، قول امام صادق ﷺ کاملاً درست است که مراد از عالمین همان جهانیانند چه بهشتی باشند یا دوزخی و نتوان معنای واژه را به جمیع مخلوقات تعمیم داد. خدایتعالی به رسول گرامیش ﷺ فرموده است: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ۱۰۷]. (ما تو را نفرستادیم مگر رحمتی برای جهانیان) و روشن است که عالمین، اهل جهانند، نه درخت و کوه و ستاره و جمیع مخلوقات! باز خطاب به بنی اسرائیل فرمود: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ۴۷]. (من شما را بر جهانیان برتری دادم) یعنی چون در روزگار گذشته به موسی ﷺ ایمان آوردید، بر مردم زمانه برتری یافتید.

فُرطبی اندلسی در تفسیرش «شبه دلیلی» بر عمومیت کلمه «عالمین» آورده و می‌نویسد: «دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا^(۲)». گوید: دلیلش گفتار خدایتعالی است که: فرعون از موسی ﷺ پرسید، رَبُّ الْعَالَمِينَ چیست؟ موسی گفت: خداوند آسمانها و زمین و آنچه میان آندو است (پس موسی ﷺ عالمین را به آسمانها و زمین و مابینهما تفسیر کرد!)».

در پاسخ باید گفت: مقصود موسی ﷺ آن بود که خداوندگار جهانیان همان کسی است که آسمانها و زمین نیز از آن اوست نه آنکه فرعون درباره واژه عالمین اشکال داشت و موسی ﷺ آن را شرح و توضیح داد! در قرآن کریم باز هم شبیه این تعبیر آمده است و در سوره شعراء می‌فرماید ساحران فرعون با دیدن معجزه موسی از ره اخلاص

۱- تفسیر ابوالفتوح رازی، ج ۱، ص ۲۹.

۲- الجامع لأحكام القرآن، ج ۱، ص ۱۰۵.

گفتند: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء: ۴۷-۴۸]. (به خداوند جهانیان ایمان آوردیم، خداوند موسی و هارون). آیا می‌توان گفت که مراد از «عالمین»، موسی و هارون بودند زیرا که ذکر ایندوتن در آیه شریفه پس از «رَبِّ الْعَالَمِينَ» آمده است؟!

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾

در ترجمه کلمه «اهدنا» برخی از مترجمان نوشته‌اند: ما را «ره نما»^(۱) و بعضی دیگر ترجمه کرده‌اند: مارا «راهبر باش»^(۲) و این معنا درست‌تر است زیرا کسی نباید انتظار داشته باشد که خدایتعالی پس از قرآن مجید کتابی فروفرستد و مسلمانان را رهنمایی کند! چراکه قرآن کریم خود بهترین رهنمای خداوندی است چنانکه فرمود: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ۹]. (همانا این قرآن به درست‌ترین راه رهنمایی می‌کند). اما آنچه در سوره فاتحه از خداوند جهانیان درخواست می‌داریم، رهبری برای پیمودن راه است نه رهنمایی بدان راه که به وسیله قرآن مجید صورت می‌پذیرد. به عبارت دیگر: قصد ما از «اهدنا» مفهوم «إرائه طریق» نیست بلکه «إيصال إلى المطلوب» است. ما در پی «هدایت تشریحی» نیستیم، درخواست «هدایت تکوینی» را داریم تا خداوند رحمان و رحیم، ما را دستگیری فرماید به یاری او راه راست را طی کنیم. بنابراین ترجمه «راهبر باش» از «ره نما باش» به مقصود نزدیکتر است.

اما از کلمه «صراط» که در تمام قرآن به صورت مفرد آمده، مقصود «شاهراه» یا «طریق اصلی» است که همه انبیاء خدا ﷺ بر آن طریق رفته‌اند ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ نه راههای فرعی که در شرایع گوناگون به شکلهای مختلف تشریح شده است. چنانکه در

۱- به ترجمه آقای مهدی الهی قمشه‌ای نگاه کنید.

۲- به ترجمه آقای حسین استادولی نگاه کنید.

سوره مائده می‌فرماید: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ۴۸]. (برای هر امتی از شما راه و روشی را مقرر داشتیم) و راه اصلی همان طریق بندگی خدا است که فرمود: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [یس: ۶۱]. (مرا بندگی کنید که اینست راه راست).

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

در پاره‌ای از ترجمه‌ها بدون توجه به اعراب «غَيْرِ»^(۱) و موضع نحوی آن، نوشته‌اند: «نه راه کسانی که بر آن‌ها خشم فرمودی»^(۲)... گویا مترجم محترم واژه «غَيْرِ» را بدل از «صِرَاطَ» پنداشته در حالی که «غَيْرِ» مجرور است و بدل از «الَّذِينَ» در آیه پیشین ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ می‌آید یا نعت و صفت برای «الَّذِينَ» شمرده می‌شود و می‌توان آن را بدل از ضمیر در «عَلَيْهِمْ» دانست و در هر صورت با ترجمه فوق نمی‌سازد و صحیح آنست تا نوشته شود: «که آنان غیر از غضب‌شدگان و گمراهانند».

جای مسرت است که بعضی از مترجمان محترم قرآن، بدین نکته توجه نموده‌اند.^(۳)

۱- غَيْرِ در اصل صفت است به معنای اسم فاعل (یعنی مُغَايِر).

۲- به ترجمه آقای مهدی إلهی قمشه‌ای نگاه کنید.

۳- به ترجمه آقای حسین استادولی نگاه کنید.

نکاتی از سوره بقره

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾

دراینکه چرا سوره کریمه بقره با ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ آغاز شده؟ مفسران به اختلاف سخن گفته‌اند زیرا در زبان عرب، کلمه «ذَلِكَ» برای اشاره به اشیاء دور یا غایب بکار می‌رود، برخلاف «هَذَا» که به شیء نزدیک و حاضر اشارت دارد. شیخ طبرسی در تفسیر «مجمع البیان» از قول فرّاء (متوفی در سال ۲۰۷ هـ ق) نقل کرده که وی گوید معنای آیه آنست که: «هَذَا الْقُرْآنُ، ذَلِكَ الْكِتَابُ الَّذِي وَعَدْتُكَ» (این قرآن، همان کتابی است که پیش از این به تو - ای محمد ﷺ - وعده داده‌ام) و این معنا با ظاهرآیه چندان ملایمتی ندارد ازاینرو فرّاء خود بدین قول بسنده نمی‌کند^(۱). برخی گفته‌اند که «ذَلِكَ» در اینجا به تورات یا انجیل اشارت دارد ولی شیخ طبرسی، این رأی را دور از صواب می‌داند و می‌گوید که آندو کتاب دستخوش تحریف شده‌اند و درآیه شریفه از کتابی سخن رفته که: لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ^(۲). زمخشری در تفسیر کشاف، کلمه ذَلِكَ را اشاره به الف. لام. میم که پیش از آن آمده، برمی‌شمرد و می‌نویسد: «وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْمِ بَعْدَ مَا سَبَقَ التَّكْلِمُ بِهِ»^(۳). و قول وی نیز با اطلاق «الکتاب» پس از ذکر «ذَلِكَ» نمی‌سازد. مفسران سلف چون ابن عباس

۱- به کتاب «معانی القرآن» اثر فرّاء، ج ۱، ص ۱۰ نگاه کنید.

۲- به مجمع البیان، ج ۱، ص ۷۷ بنگرید.

۳- تفسیر کشاف، ج ۱، ص ۳۲.

و مجاهد و عِکْرَمَه و سُدِّي - چنانکه طبری در تفسیرش آورده^(۱) - کلمه ذَلِك را در اینجا به معنای «هذا» تفسیر نموده‌اند، بدون آنکه شاهد و دلیلی را برای آن نشان دهند. در روش تفسیری ما لازم است نخست به دیگر سوره‌های قرآن کریم بنگریم تا از سلیقه قرآن در این باره آگاه شویم سپس به تدبّر و نکته‌یابی در آیه شریفه بپردازیم. با رجوع به سرآغاز برخی از سوره‌های قرآنی ملاحظه می‌کنیم که اسم اشاره به اشیاء دور یا غایب، صریحاً برای آیات قرآنی بکاررفته است. مثلاً در آغاز سوره «نمل» می‌فرماید:

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ «این آیات قرآن و (آیه‌های) کتابی روشن است».

و در آغاز سوره «حجر» می‌فرماید:

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ «این آیات کتاب و (آیه‌های) قرآنی روشن است».

ومی‌دانیم که کلمه «تِلْكَ» مؤنث ذَلِك است و به همان معنی می‌آید و در اینجا به اعتبار «آیات» به صورت مؤنث استعمال شده است. بنابراین نتیجه می‌گیریم که در «ذَلِك الْكِتَابِ» نیز مانند «تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ» قرآن مجید، اشاره به خود دارد. و اکثر مفسران سَلَف که «ذَلِك» را به معنای «هذا» گرفته‌اند، از این معنی دور نشده‌اند لیکن نکته‌ای درسخنشان ناگفته مانده که چرا برای کتاب حاضر، تعبیر «ذَلِك» بکاررفته است؟

آنچه از قرآن کریم برمی‌آید اینست که واژه ذَلِك (یا تِلْكَ) علاوه بر معنای اصلی خود، گاهی برای اشاره به «مقام رفیع» کسی یا چیزی نیز بکارمی‌رود و به قول شیخ محمدجواد بلاغی در تفسیر «آلاء الرحمن»: «وَذَلِكَ مُتَعَارَفٌ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى الْعَظِيمِ الرَّفِيعِ الشَّانِ». گواه این سخن را در سوره شریفه یوسف باید جست آنجا که زلیخا (امْرَأَةُ الْعَزِيزِ)

۱- به جامع البیان، ج ۱، ص ۲۲۸ و ۲۲۹ نگاه کنید.

در حضور یوسف علیه السلام و در مقام تجلیل از وی، به زنان درباری خطاب نموده می‌گوید: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُْمْتَنِّي فِيهِ﴾ [یوسف: ۳۲]. یعنی این فرشته رُخسار^(۱) که شمارا به حیرت افکنده، همانست که درباره وی ملامت کردید! به قول سعدی شیراز:

گوش بینی و دست از ترنج بشناسی روا بود که ملامت کنی زلیخا را!
قرآن مجید در قالب «فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ» به جای «فَهَذَا الَّذِينَ» تجلیل عاشقانه زلیخا را از یوسف علیه السلام نشان می‌دهد^(۲). بنابراین باید گفت که در «ذَلِكَ الْكِتَابُ» رفعت مقام قرآن کریم اراده شده است و لذا می‌توانیم سرآغاز سوره بقره را چنین ترجمه کنیم:
«این نامه (بلندپایه) هیچ شکی در آن نیست^(۳)، رهنمای پرهیزکاران است».

* * *

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ انذار معاندان!

این آیه شریفه که از ایمان نیاوردن کافران سخن می‌گوید، در برابر ایمان آوردن پرهیزکاران قرار دارد ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾. در اینجا برخی از مفسران به اندیشه افتاده‌اند که چرا می‌فرماید کافران را بیم دهی یا بیم ندهی، ایمان نمی‌آورند با اینکه هزاران تن از کفار به اسلام و قرآن گرویده‌اند؟! ناگزیر آیه‌ای را که بر «عموم» دلالت دارد، حمل بر «خصوص» نموده‌اند یعنی ویژه چند تن پنداشته‌اند! چنانکه شیخ طبرسی در مجمع

۱- اشاره به آنست که زنان گفتند: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (یوسف: ۳۱).

۲- اگر یوسف علیه السلام از زنان درباری دور بود و دقیقاً او را نمی‌دیدند البته پیش از سخن زلیخا، نمی‌گفتند:

﴿حَسْبُ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (یوسف: ۳۱).

۳- یعنی در این امر که قرآن از سوی خداوند جهانیان نازل شده جای تردید نیست چنانکه این معنی را در آغاز سوره سجده صریحتر بیان فرموده است: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

البیان از قول بلخی گوید که: این آیه دربارهٔ ابوجهل و پنج تن از خاندان وی نازل شده است! و از قول ابن عباس گوید: این آیه در شأن برخی از علمای یهود آمده است! و سپس شیخ طبرسی چنین نتیجه‌گیری می‌نماید که: «يَجُورُ أَنْ يُخَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَامِّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخَاصُّ»^(۱) (رواست که خدایتعالی عموم را مخاطب قرار دهد و مرادش، افراد خاصی باشند)!

ما اگر به روش قرآنی خود بازگردیم و به بررسی واژه «كُفْر» در دیگر آیات قرآن پردازیم، ملاحظه می‌کنیم که خدای تعالی به صورت «حصر» در سوره عنکبوت می‌فرماید: ﴿وَمَا تَجِدُ بَيِّنَاتِنَا إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ [العنكبوت: ۴۷] (کسی جز کافران به آیات ما جحد نمی‌ورزد) و جحد و جُحود در لغت، برضد «اقرار» است و چنانکه لغوی بزرگ، ابن فارس در کتاب «مقایس اللغة» می‌نویسد: واژه مزبور تنها به کسی نسبت داده می‌شود که چیزی را با وجود آگاهی از درستی آن، انکار نماید «وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ عِلْمِ الْجَاهِدِ بِهِ أَنَّهُ صَحِيحٌ»^(۲) و گواه این معنی در کتاب خدا آمده است آنجا که فرمود: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ۱۴] یعنی: فرعونیان معجزات موسی ﷺ را انکار نمودند در حالی که نفوسشان به یقین رسیده بود و انکار آنان به علت ظلم و تکبر بود! پس اگر این معنی از کفر (نه معانی دیگر) را در آیه شریفه معتبر شماریم البته مشکل عمومیت آن حل می‌شود. و مفهوم آیه بدین صورت جلوه می‌نماید: «همانا کسانی که عناد ورزیدند (و انصاف را به کنار نهادند) مساوی است که آنان را بیم دهی یا بیمشان ندهی، ایمان نمی‌آورند». بنابراین لزومی ندارد تا معنای عام آیه کریمه را به پنج تن از خاندان ابولهب یا چند یهودی لجوج، اختصاص دهیم! اما شأن نزولی که مفسران گزارش نموده‌اند - به فرض صحّت - بنا بر قاعده مشهور، عمومیت آیه شریفه را

۱- به تفسیر مجمع البیان، ج ۱، ص ۹۲ نگاه کنید.

۲- مقایس اللغة، ج ۱، ص ۴۲۶.

تخصیص نمی‌دهد زیرا که: «الْعِبْرَةُ بِمُؤَمِّمِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ» و به قول اهل فن: «مورد، مُخَصِّصِ نِیْسْت!»

* * *

﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾ مهر زدن بر دلها!

این آیه شریفه پس از ذکر عناد کافران از مهنر نهادن خدا بردلها و سمع^(۱) ایشان سخن می‌گوید و پرده افتادن بر دیدگان‌شان را یاد می‌کند. اما اینکه معنای احوال مزبور چیست؟ و چرا این کار به خداوند سبحان نسبت داده شده است؟ پرسش مهمی است که مفسران قرآن را به زحمت افکنده به ویژه معتزلیان و اشاعره که در این باره با یکدیگر به نزاع برخاسته اند!

قاضی عبدالجبار معتزلی در کتاب «تنزیه القرآن عن المطاعن» تعبیر آیه مزبور را نوعی «تشبیه» قلمداد می‌کند و می‌نویسد: «أَنَّهُ تَعَالَى شَبَّهُ حَالَهُمْ بِحَالِ الْمَمْنُوعِ الَّذِي عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةٌ»^(۲) (خدایتعالی حال ایشان را به کسی تشبیه نموده که بر دیدگان‌ش پرده افتاده و مانع رؤیت وی شده است). زمخشری در تفسیر ارزشمند کشاف صریحاً می‌نویسد: «لَا حَتَمَ وَلَا تَغْشِيَةَ ثُمَّ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ»^(۳) (در اینجا مهر زدن و پرده افکندن، معنای حقیقی ندارد، و فقط از باب مجاز آمده است).

۱- بیشتر مفسران «سمع» را در این آیه به معنای مصدری (شنودن) تفسیر کرده‌اند نه به معنای گوش و گفته‌اند که علت مفرد آمدنش همین امر است لِأَنَّ الْمَصَادِرَ التَّلَاثِيَّةَ لَا تَجْمَعُ.

۲- تنزیه القرآن عن المطاعن، ص ۱۴.

۳- تفسیر کشاف، ج ۱، ص ۴۸.

أما اینکه چرا افعال مزبور به خدایتعالی نسبت داده شده؟ زمخشری گوید: «فَلْيَسْبَهُ عَلَيَّ أَنْ هَذِهِ الصِّفَةُ فِي فَرْطِ تَمَكُّنِهَا وَثَبَاتِ قَدِيمِهَا كَالشَّيْءِ الْخَلْقِيِّ»^(۱) (برای اینکه آگاه سازد این حالت - در نفس کافران - از شدت رسوخ و ثباتش همانند چیزی است که خداوند آن را خلق کرده است!) پیداست که این تعبیر مسامحت آمیز را اشاعره نمی‌پذیرند و از اینرو ابن منیر اسکندری در حاشیه کشف سخت بر زمخشری اعتراض می‌نماید ولی خود نیز نمی‌تواند بدرستی از حلّ مشکل برآید و می‌نویسد: «مَا الْمَانِعُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالُ مَخْلُوقَةً لِلَّهِ تَعَالَى وَيُعَاقِبُ الْعَبْدَ عَلَيْهَا لِصَلَحَةِ وَحِكْمَةِ اسْتَأْثَرِ اللَّهُ بِهَا»^(۲) (چه مانعی دارد که این افعال - یعنی مهربانان و پرده افکنان - فعل خدایتعالی و آفریده او باشد؟ و بنده‌اش را هم به خاطر آن‌ها کیفر دهد، بنا بر مصلحت و حکمتی که تنها خود داند)!

ما به روش گذشته، حلّ مشکل را از خود قرآن کریم می‌طلبیم و در آیه ۲۳ از سوره «جاثیه» این آیه روشنگر را می‌یابیم که می‌فرماید:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشْنَوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ۲۳].^(۳)

این آیه کریمه پیش از آنکه مهربان بر سمع و قلب شخص گمراه را ذکر کند، از اینکه وی هوای نفس خود را به خدایی گرفته یاد می‌نماید (اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) و درحقیقت «نفس پرستی» او را مقدمه «فاجعه روحی وی» معرفی می‌کند. آری تسلیم شدن مطلق در برابر وساوس نفسانی، صفای قلب را به تیرگی و حق‌ناپذیری سوق می‌دهد و گوش

۱- تفسیر کشف، ج ۱، ص ۵۰.

۲- حاشیه تفسیر کشف، ج ۱، ص ۵۰.

۳- (به من بگو آنکس که هوای خود را معبود خویش گرفت و خدا با علم [بر احوالش] وی را به گمراهی سپرد و بر سمع و قلبش مهربان نهاد و بر دیده‌اش پرده افکند، آیا پس از خدا کیست که [بتواند] او را هدایت کند؟ پس آیا پند نمی‌گیری؟).

پندنبیوش را ناشنوا می‌سازد و دیدگان باطنی را از رؤیت حقایق بازمی‌دارد و «تکرار گناه، ندای وجدان را خاموش می‌کند». اما این فاجعه از یکسو با عمل گناهکار پیوند دارد و از سوی دیگر به خدای سبحان إسناد داده می‌شود زیرا او قانونگذار دادگری است که مقرر داشته تا نفس پرستی به تیرگی دل بیانجامد و نیروی فهم و انصاف را در تمییز حق، ناتوان کند و همین است معنای ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾.

قرآن مجید در آیه شریفه دیگری نیز که روشنگر و مؤید این معنی است می‌فرماید: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ۱۴]. (چنان که گویند نیست! بلکه آنچه مرتکب می‌شدند مایه زنگار دلهای ایشان شده است).

در همان آیه مورد بحث (از سوره بقره) در ابتدا کفر ورزیدن را به خود کافران نسبت می‌دهد ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و سپس ختم قلوب ایشان را به خدای تعالی منسوب می‌دارد ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ و این معنی با آیه دیگری از سوره کریمه نساء موافقت دارد که فرمود: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ۱۵۵] (بلکه خداوند به علت کفرشان بردلهای آنان مهر زده است). این‌ها همه، قانون عمل و عکس‌العمل و عدالت الهی را نشان می‌دهد. بنابراین، ما همچون اهل اعتزال به دستاویز مجاز^(۱)! خداوند دادگر را از تصرف در نفوس و قانونگذاری روحی برکنار نمی‌دانیم و نیز مانند اشاعره، بندگان خدا را بی اختیار نشمرده خدای سبحان را پدیدآورنده کفر و ضلال در نفوس بی‌گناهان نمی‌پنداریم!

* * *

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بیمار دلان و افزودن بیماری آن‌ها!

۱- الفاظ «حتم» و «غشاوة» و نظایر این‌ها مصادیق روحی دارند، چه آن‌ها را از ظاهرشان گذرداده «مجاز» بدانیم یا در مقام توسع معنا «حقیقت» شماریم.

برخی از مترجمان قرآن، آیه شریفه مذکور را چنین ترجمه نموده‌اند: «در قلب‌هایشان بیماری است و خداوند بیماریشان را افزون کند»^(۱)! مترجم محترم جمله ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ را جمله دعائی گمان کرده که مفهوم نفرین دارد^(۲). درحالی‌که جمله‌ای خبری است به دلیل بیان و تفسیری که خود قرآن کریم از این آیه در سوره مبارکه «توبه» آورده و می‌فرماید:

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْقُمَ زَادَتْهُ هِنْدِهَ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿۱۱۵﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿۱۱۶﴾﴾ [التوبة: ۱۲۴-۱۲۵].

(و آنگاه که سوره‌ای فرودستاده شود، از آنان کسی گوید که: این (سوره) ایمان کدامیک از شما را افزود؟ اما کسانی که ایمان آورده‌اند، ایمانشان را افزون سازد و آنان شادمانی کنند * و اما کسانی که در دل‌های ایشان بیماری است پس پلیدی بر پلیدی‌شان بیافزاید و درحال کفر بمیرند)

از این بیان روشن برمی‌آید که اسناد فعل به خداوند در ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ به اعتبار سوره‌ای است که خدایتعالی فرومی‌فرستد و بیماردلان در پی مخالفت تازه با سوره جدید، بیماریشان افزون می‌شود. بنابراین شبهه «جبر» در این‌مقام مردود است و جمله مذکور (در سوره شریفه بقره) نیز جمله‌ای خبری شمرده می‌شود نه دعائی! باید دانست که اسناد فعل به خدایتعالی گاهی به اعتبار «تکوین» است و گاهی به اعتبار «تشریح» و گاهی به اعتبار «تقدیر».

* * *

۱- به ترجمه آقای داریوش شاهین نگاه کنید.

۲- از مفسران، ابومسلم بحرافه‌های نیز بر این قول رفته است (مجمع البیان، ج ۱؛ ص ۱۰۴).

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ جَاعِلٌ فِی الْاَرْضِ خَلِیْفَةً﴾ نسل آدم ﷺ جانشین چه کسانی؟

در سوره شریفه بقره پس از آنکه درباره آفرینش آسمانها و زمین سخن به میان می‌آید (آیه ۲۹) آفرینش آدمیان را بر روی زمین مطرح می‌سازد و چنین آغاز سخن می‌فرماید: «و (بیاد آر) آنگاه را که خداوندت به فرشتگان گفت همانا من جانشینی در زمین قرار خواهم داد...!» بدینصورت بحث از آفرینش «انسان» پس از خلقت «جهان» پیش آمده است. در اینجا پرسشی به ذهن خطور می‌کند که چرا خدایتعالی فرشتگان را پیش از آفرینش آدمیان از خلقت آنها آگاه ساخت؟ و در این کار چه حکمتی وجود داشت؟ ما، در تفاسیر قرآن سخنی در اینباره نیافتیم. آنچه به نظر می‌رسد اینست که چون قضای الهی بر این امر رفته بود که فرشتگان با آدمیان (در ابلاغ وحی و ضبط اعمال و قبض ارواح...) پیوند داشته باشند از اینرو حضور انسان در صحنه آفرینش، به فرشتگان اعلام شد. به علاوه این خبر با وظیفه‌ای که فرشتگان مدتی بعد بدان مأمور شدند تا سجده بر آدم کنند بی ارتباط نبود چنانکه از سیاق آیات در این سوره برمی‌آید.

از این مسئله که بگذریم، سخن برسر آنست که چرا از آدمیان در آیه کریمه به «خلیفه» تعبیر شده است؟ و مقصود از خلیفه چیست؟! واژه «خلیفه» که در اصل «خلیف» بوده و تاء برای مبالغه بر آن افزوده شده است^(۱) به معنای جانشین می‌آید و برای یکتا یا یک گروه بکار می‌رود^(۲). اما آن یکتا یا گروه چه کس یا چه کسانی بوده‌اند؟ مفسران در اینباره آراء گوناگونی آورده‌اند. قول راجح نزد بسیاری از ایشان آنست که مراد از خلیفه در اینجا «آدم» ﷺ است و مقصود از خلافت وی نیز «جانشینی خدا» بر روی زمین بوده است

۱- مانند «بصیره» و «علامة» و نظایر این‌ها.

۲- مانند لفظ امام که در آیه ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ۷۴) به جای «أئمة» بکار رفته است.

چنانکه شیخ طبرسی در «مجمع البیان» گزارش نموده و می‌نویسد: «أَرَادَ بِالْخَلِيفَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ يَحْكُمُ بِالْحَقِّ»^(۱).

در تفاسیر دیگر نیز شبیه همین معنی را ملاحظه می‌کنیم به ویژه در تفاسیر صوفیه (مانند تفسیر منسوب به ابن عربی) که در این مقام سخن به مبالغه گفته‌اند و خلیفه را قطب عالم امکان و مجرای فیض خدا در زمین و آسمان شمرده‌اند! ولی (باتوجه به اینکه تعبیر خلیفتی یا خلیفه الله در قرآن نیامده) رأی مزبور با دلالت آیه شریفه نمی‌سازد زیرا اولاً اگر خلیفه به معنای «جانشین خداوند» باشد، در آن صورت سخن فرشتگان به کلی بی‌مورد می‌شود که گفتند: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (آیا کسی را در زمین می‌گماری که به فساد در آن می‌پردازد و خونها می‌ریزد؟! مگر شأن جانشین خدا با آن مرتبه والا، از این نسبت‌ها دور و منزّه نیست؟ پس چگونه فرشتگان به کسی که قرار بود به جای خدای سبحان در زمین حکمرانی کند چنین نسبتی دادند؟! طرفداران خلیفه اللهی در اینجا به اندیشه افتاده‌اند تا حلّ مشکل کنند و بنا به گزارش طبرسی گفته‌اند: خدایتعالی به فرشتگان خبر داد که از نسل آدم عليه السلام تباهاکاران خونریزی پدید خواهند آمد و ازینرو فرشتگان سخن مزبور را عرضه داشتند! ولی روشن است که این ادعا در متن قرآن جایی ندارد و تفسیر را به بیرون از متن می‌برد و ظاهر قرآن بلکه نصّ کتاب خدا دلالت بر آن می‌کند که فرشتگان گفته خود را در برابر اعلام ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ عرضه داشتند، نه سخنانی دیگر. ثانیاً فرشتگان پاک از مفاد گفتار خدایتعالی، آفرینش یکتا را درنیافتند بلکه از خلقت نسلی تازه آگاه شدند که به تباهاکاری و خونریزی در زمین می‌پردازد. پس چگونه می‌توان ادعا نمود که خداوند از تعبیر «خلیفه»

۱- مجمع البیان، ج ۱، ص ۱۶۲.

تنها به یکتا عنایت داشته و «آدم صغی»^(۱) را اراده فرموده است؟ تفسیر «المیزان» به خوبی این معنی را پذیرفته که مقصود از خلیفه در این آیه کریمه، تنها آدم علیه السلام نبوده است بلکه عموم فرزندان وی نیز در این مقام دخالت دارند و می‌نویسد: «فَالْخِلَافَةُ غَيْرُ مَقْصُورَةٍ عَلَى شَخْصِ آدَمَ علیه السلام بَلْ بَنُوهُ يُشَارِكُونَهُ فِيهَا»^(۲) (جانشینی، منحصر به شخص آدم علیه السلام نبوده است بلکه فرزندان وی نیز در این امر با او مشارکت دارند). بنابراین، خدایتعالی فرشتگان را از پدید آمدن نسلی به عنوان «خلیفه» در روی زمین آگاه ساخت که البته نسل مزبور با آدم علیه السلام آغاز گردید. اما هنوز پاسخ این سؤال، روشن نشده که چرا عنوان «خلیفه» بر این نسل اطلاق گشته است؟ صاحب تفسیر «المیزان» با وجود آنکه عنوان مذکور را به فرزندان آدم علیه السلام تسری و تعمیم می‌دهد، با اینهمه مرقوم داشته است: «الْخِلَافَةُ الْمَذْكُورَةُ إِنَّمَا كَانَتْ خِلَافَةَ اللَّهِ تَعَالَى»^(۳) (آن جانشینی که ذکرش در این آیه رفته است بی‌تردید جانشینی خدایتعالی است!) ولی مشکل اینجا است که چگونه همهٔ أبناء آدم علیه السلام - حتی تباهکاران و جنایت پیشگانشان - جانشین خداوند سبحان هستند؟! مگر شرط اصلی در جانشینی، تناسب میان «خلیفه» و «مُسْتَخْلَفٌ مِنْهُ» نیست؟ پس چرا باید مفسدان و سفاکان را جانشین خدای سبحان - تعالی شأنه - شمرد؟! شگفت آنکه مفسر دانشمند المیزان، خود بدین نکته واقف است و می‌نویسد: «الْخِلَافَةُ وَهِيَ قِيَامُ شَيْءٍ مَقَامَ آخَرٍ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِكَوْنِ الْخَلِيفَةِ حَاكِمًا لِلْمُسْتَخْلَفِ فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِ الْوُجُودِيَّةِ وَأَثَارِهِ وَأَحْكَامِهِ وَتَدَابِيرِهِ»^(۴) (جانشینی

۱- اشاره است به آیه کریمه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ۳۳).

۲- مفسر محترم واژه «بَلْ» را در اینجا برای «استدراک» آورده‌اند نه «إضراب» که معنای مشهورتر آنست.

۳- تفسیر المیزان، اثر سید محمدحسین طباطبائی، ج ۱، ص ۱۱۶.

۴- تفسیر المیزان، ج ۱، ص ۱۱۶.

۵- تفسیر المیزان، ج ۱، ص ۱۱۵.

قیام چیزی است در جای دیگری و این امر، محقق نمی‌شود مگر اینکه جانشین در همه شئون وجودی و آثار و احکام و تدابیرش از کسی که به جای او قرار گرفته، نمایندگی کند). بنابراین گفته شد، مشکل جانشینی عموم آدمیان از خدای سبحان، قابل حل نیست. اینک به روش گذشته باید به سوی قرآن مجید رفت و ملاحظه کرد که از منظر کتاب الهی آدمیان جانشین چه کسانی می‌شوند؟ آری، قرآن کریم به صراحت دلالت دارد بر اینکه انسانها - خوب یا بد - جانشین یکدیگر در روی زمین می‌گردند چنانکه می‌فرماید:

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ۶۹]. (بیاد آرید زمانی را که - خداوند - پس از قوم نوح شما را جانشین آنان قرار داد).
و نیز می‌فرماید:

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف: ۷۴] (بیاد آرید زمانی را که - خداوند - پس از قوم عاد، شما را جانشین آنان ساخت).
و همچنین می‌فرماید:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [یونس: ۱۴] (سپس شما را بعد از ایشان در زمین، جانشین آنان کردیم).

پس به هدایت قرآن کریم دریافتیم که آدمیان بر روی زمین جانشین یکدیگرند. از اینرو می‌توان گفت که آدم عليه السلام و فرزندانش نیز جانشین شبه انسانهایی پیش از خود بودند که آنان در دوره‌ای از ادوار زمین می‌زیستند و سپس به انقراض و نابودی رفتند چنانکه برخی از روایات دینی نیز بدین امر اشارت دارد. از جمله در تفسیر محمد بن مسعود عیاشی از امام ابو عبدالله صادق عليه السلام آمده است که فرمود: «وَمَا عَلِمَ الْمَلَائِكَةُ بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ لَوْلَا أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا رَأَوْا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

الدِّمَاءِ»^(۱) (اگر فرشتگان کسی را در گذشته ندیده بودند که در زمین به فساد می‌پردازد و خونها می‌ریزد، در آن صورت، بر این گفته خود که: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ علم و آگاهی نداشتند.)!

* * *

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿۲۰﴾ خداوند چه نامهایی را به آدم ﷺ آموخت؟

پس از آنکه فرشتگان در پیشگاه حق - جلّ و علا - عرضه داشتند: «آیا کسی را در زمین می‌گماری که به تباهی در آن می‌پردازد و خونها میریزد؟! و ما تو را منزّه می‌شماریم و ستایش و تقدیس می‌کنیم». خدایتعالی فرمود: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿۲۰﴾ (من می‌دانم چیزی را که شما نمی‌دانید!) و این پاسخی سربسته به درخواست فرشتگان بود و همین اندازه نشان می‌داد که رازی در آفرینش آدمیان وجود دارد که فرشتگان از آن بی‌خبرند، هرچند خداوند سبحان سخن ایشان را در تباهکاری و خونریزی انسان نیز ردّ نفرمود ولی از محدودیت آگاهی آنان از حکمت آفرینش انسان و سرّ خلقت آدمیان خبر داد و این پاسخی در حدّ اجمال بود که شایستگی داشت به تفصیل رود و از آن پرده برداشته شود. پس خدایتعالی همه اسماء را به آدم ﷺ آموخت. اما اینکه اسماء مزبور، نامهای چه اشیاء یا اشخاصی بودند؟ در میان مفسران اختلاف نظر دیده می‌شود. برخی از تفاسیر دراینباره، سه قول آورده‌اند چنانکه شیخ ابوالفتوح رازی در تفسیر «روح الجنان» می‌نویسد:

۱- تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۲۹.

«خلاف کردند در اینکه این نامها چه بود؟ ربیع آنس گفت: نام فرشتگان بود. بعضی دیگر گفتند: نام فرزندان او بود و این قول عبدالرحمن زید است. عبدالله عباس گفت: اسماء اجناس بیاموخت او را كَالجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ چون آدمی و پری و گاو گوسفند^(۱)!»

آلوسی بغدادی در تفسیر «روح المعانی» دو احتمال دیگر را نیز آورده که مراد از اسماء مورد بحث «اسماء الله» یا اسماء ستارگان بوده است^(۲).

در کتب روایی شیعه از امام ابو عبدالله صادق علیه السلام آورده‌اند که فرمود: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَّمَ آدَمَ علیه السلام أَسْمَاءَ حُجَجِ اللَّهِ كُلِّهَا...»^(۳) (خدایتعالی نامهای همه حجّت‌های خود را به آدم علیه السلام آموخت). پس رویهمرفته شش قول در تفسیر اسماء گزارش شده است.

اما باتوجه بدین نکته که خدایتعالی در مقام توضیح و پاسخگویی به فرشتگان، اسماء را به آدم علیه السلام آموخت، همه اقوال (جز قول دوم و ششم) بی اعتبار می‌شوند، چرا که آموزش نامهای خداوند و ملائکه (که فرشتگان آنها را می‌دانستند) و ستارگان و گاو و گوسفندان... هیچ مناسبتی با حلّ مشکل فرشتگان نداشت و اگر دانستن نامهای اخیر فضیلتی به شمار می‌آمد، فرشتگان هم مستعد بودند تا از آن فضیلت برخوردار گردند و آنها را از خداوند - تبارک و تعالی - فراگیرند همچنانکه از آدم، نامهای مورد بحث را فراگرفتند^(۴). آیا دانستن نام

اشیاء، پاسخ این پرسش شمرده می‌شد که فرشتگان گفتند: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ و آیا بدانستن چند نام (ستاره و مرغ و درخت...) لازم می‌آمد که تا

۱- تفسیر ابوالفتوح رازی، ج ۱، ص ۸۴

۲- روح المعانی، ج ۱، ص ۲۱۹

۳- کمال الدین و تمام النعمة، تألیف محمد بن علی بن بابویه، ص ۱۴.

۴- اشاره بدانچه فرمود: فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ...

فرشتگان در برابر آدم عليه السلام سجده کنند؟! از این گذشته، با رجوع به آیات کریمه درمی یابیم که نامهای مزبور، اسماء اشخاص بوده اند، نه اسماء اشیاء! (و مگر نه اینکه فرشتگان نیز درباره اشخاص مشکل داشتند نه اشیاء!) چنانکه می فرماید: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿۳۱﴾﴾ [البقرة: ۳۱] (سپس ایشان را به فرشتگان نشان داد^(۱) و گفت که مرا از نامهای این اشخاص خبر دهید اگر در ادعای خود راستگویید!) ضمیر «هم» و نیز اسم اشاره «هؤلاء» در زبان عرب اصلاً برای موجودات عاقل (ذوی العقول) بکار می روند، نه برای دشت و کوه و گاو و گوسپند! و اگر در جایی از قرآن کریم مجازاً و برخلاف اصل، استعمال شده اند با قرینه ای روشن همراهند. پس اقوال مزبور، گمان آلود و بی دلیل بوده بلکه با ظاهر آیه شریفه مخالفت دارند، هر چند اکثر مفسران بر آنها اعتماد کرده اند!

أما قول دوم و چهارم از این عویصات و اشکالات برکنارند. بنا بر قول ابن زید^(۲)، خدایتعالی اسماء همه فرزندان آدم را بدو آموخت تا به فرشتگان خبر دهد. معنای این سخن آنست که خداوند نسلی را (از طریق آدم عليه السلام) به فرشتگان معرفی کرد که مورد اعتراض کلی آنها قرار گرفته بودند و نتیجه این معرفی، چنان شد که فرشتگان دانستند از میان فرزندان آدم عليه السلام پیامبران و صدیقان و شهیدان و صالحان بسیاری پدید خواهند آمد، همان بندگانی که از تبه کاری و فساد در زمین دوری می گزینند و در راه تقدیس خداوند - تعالی شأنه - و ترویج آئین وی و اقامه عدل و قسط به مجاهدات فراوان و فداکاریهای شگفت آور دست می زنند و به اعمال و رفتاری روی می آورند که

۱- نشان دادن نسل آدم به فرشتگان بنا بر روایت، در صورت «اشباح نورانی» بوده است: عَرَضَ أَشْبَاحَهُمْ وَ هُمْ أَنْوَارٌ فِي الْأُظْلَمَةِ (تفسیر البرهان، ج ۱، ص ۷۳).

۲- عبدالرحمن زید، فرزند زید بن اسلم (از مفسران و فقهای مدینه) بوده و آراء تفسیری وی را طبری در «جامع البیان» آورده است.

از نظر فرشتگان پنهان مانده بود و این غفلت، مایهٔ اعتراض کلی آنان را بر نسل آدم علیه السلام فراهم آورد.

تفسیر ما، هنگامی اوج می‌گیرد که بتوانیم الف و لام را در «الاسماء» برای عهد (و نه جنس) در نظر آوریم و نامها را همان اسامی حجّت‌های خداوند از نیکان و صالحان بدانیم (چنانکه در قول امام صادق علیه السلام آمده است) زیرا که هدف اصلی از معرفی بنی آدم به فرشتگان، شناسایی برجستگان و اصلاحگران بشر بوده است، کسانی که با حضور آنها، بشریت ممتاز و ارزشمند می‌شود. نکتهٔ درخور یادآوری اینست که در دنیا باغبانان به قصد پدید آمدن گل‌های زیبا و معطر بذرافشانی می‌کنند و در عین حال می‌دانند که خارهایی نیز در باغستان ایشان به ظهور می‌رسند. اما ارزش گلها آنچنان در نظر آنان والا و پراهمیت است که پیدایش خارها را نادیده می‌گیرند به ویژه اگر بدانند که خارها در پرورش گلها اثر مثبت دارند. باغبان جهان نیز کاملاً می‌داند که مفسدان و ستمگرانی به همراه نیکان و صالحان در زمین پدید می‌آیند ولی بدون اینکه خود بخواهند، راه مبارزه با زشتی‌ها و بدی‌ها را به روی نیکان می‌کشایند و بدین وسیله، موجب ترقی و تکامل آنان می‌گردند. از اینرو باغبان فرزانهٔ هستی، پدید آمدن نسل بشر را با همهٔ زیبایی‌ها و زشتی‌هایش تصویب فرموده است. چنانکه فرمود: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ۳۱]. (و بدینگونه برای هر پیامبری، دشمنی از مجرمان را گماردیم و همان بس که خداوندت رهنما و یاور باشد). این نکته - ای بود که فرشتگان از آن غفلت داشتند و به وسیلهٔ نخستین انسان برگزیده یعنی آدم علیه السلام از آن آگاهی یافتند و اعتراض خود را به نسل آدمی پس گرفتند^(۱).

* * *

۱- سجدهٔ فرشتگان در برابر آدم علیه السلام نشانهٔ پس گرفتن اعتراض مزبور بوده است.

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ معنای نسخ و حکمت آن

این آیه شریفه در سوره بقره پس از آن آمده که مسلمانان به رسول اکرم ﷺ عرض می‌کردند: یا رَسُولَ اللَّهِ رَاعِنَا! (به سخن ما گوش فراده^(۱)) و یهودیان، کلمه مزبور را با استهزاء ذکر می‌نمودند چرا که «راعنا» در زبان ایشان تقریباً به معنای «شَریرنا» می‌آمد. پس خدایتعالی از گفتن راعنا به رسولش نهی نمود و فرمود: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ۱۰۴] (ای کسانی که ایمان آورده‌اید مگویید «راعنا» و بگویید «آنظُرنا» و سخن را بشنوید و کافران را عذابی دردناک خواهد بود). آنگاه فرمود که کافران از میان اهل کتاب و مشرکان، خیرخواه شما نیستند و سپس، از نسخ آیات سخن به میان آورد که این گفتار، با تبدیل «آنظُرنا» از راه مصلحت» به جای «راعنا» متناسب بود چنانکه در نسخ پاره‌ای از احکام نیز مصالحی رعایت شده است.

دربریخی از ترجمه‌های قرآن، کلمه «ما» را در «ما نَنْسَخْ» نافیه پنداشته‌اند و در برگردان آیه شریفه به فارسی، نوشته‌اند: «ما هیچ حکمی را منسوخ نمی‌کنیم...»^(۲) و برخی دیگر نوشته‌اند: «هیچ آیه‌ای را نسخ یا محو نکنیم...»^(۳) و این، خطای روشنی است زیرا «ما» در اینجا «شرطیه» به شمار می‌آید نه نافیه! و از اینرو فعل پس از خود «نَنْسَخْ» را مجزوم ساخته است (چنانکه یاء در نُسِهَا را نیز حذف نموده) و برای جمله شرطیه، جواب یا جزاء شرط آورده است (که نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا...) باشد.

۱- از قاموس فیروزآبادی برمی‌آید که راعنا به معنای اِسْتَمِعْ لِمَقَالِنَا می‌آید

۲- به ترجمه خانم طاهره صفارزاده نگاه کنید.

۳- به ترجمه آقای ابوالقاسم پاینده نگاه کنید.

۴- «نأت» نیز در اصل «نأتی» بوده و حرف عله، به علامت جزم، حذف شده است.

از این موضوع که بگذریم، آیه کریمه (ما نَنْسَخُ...) به نحو اجمال و به صورت کلی، از نسخ پاره‌ای از احکام قرآنی حکایت می‌کند و آیه ۱۰۱ از سوره شریفه «نحل» نیز این معنا را تأیید می‌نماید که می‌فرماید: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿۱۰۱﴾ (و هرگاه آیتی را به جای آیت دیگر آوریم - و خدا بدانچه فرومی‌فرستد داناتر است - گویند که تو افترا زنده‌ای! چنین نیست بلکه بیشتر ایشان نمی‌دانند). آنگاه در آیه بعد اشارتی به مصلحت نسخ می‌فرماید که مایه تثبیت مؤمنان می‌شود و رهنمود مسلمانان در رویدادها و نویدی برای آنان خواهد بود ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿۱۰۲﴾﴾ [النحل: ۱۰۲].

بنابراین، قول کسانی امثال ابومسلم بحرافهانی که نسخ آیات را اساساً انکار نموده- اند^(۱)، درست نیست.

نوشته‌اند: **یهودیان**، نخستین گروهی بودند که نسخ احکام را تکذیب نمودند بدین دستاویز که نسخ حکم، حکایت از تغییر اراده الهی و پشیمانی ذات حق - سبحانه و تعالی - می‌کند! درحالی که اولاً نسخ در عالم تکوین نیز راه دارد و بر تغییر اراده خداوند دلالت ندارد! چنانکه خدایتعالی آدم (یا موجود نخستین) را بدون پدر و مادر آفرید. اما این قانون را در آفرینش انسانهای بعدی ادامه نداد. ثانیاً قوانین تکوینی یا تشریحی را خدایتعالی برای آفریدگانش وضع نموده - نه برای خودش! - و اوضاع آفریدگان در معرض تحوّل و تغییر است. ازاینرو، قوانین موضوعه نیزگاهی تغییرمی‌کنند. ثالثاً اراده

۱- به کتاب «جامع التأویل لمحكم التنزیل» اثر ابومسلم بحرافهانی که به اهتمام فاضل محترم آقای دکتر محمود سرمدی گردآوری شده، نگاه کنید.

خداوندی از اصل، به موقتی بودن قوانین منسوخه تعلق داشته، نه آنکه ابدیت آنها را اراده فرموده باشد و سپس پشیمان گردد^(۱)! **تَعَالَى اللَّهُ عَنِ هَذَا.**

محلّ تعجب اینجا است که **یهودیان** در «تورات مُحَرَّف» خود از پشیمانی خدای سبحان سخن به میان آورده‌اند و آنگاه بر مسلمانان طعن می‌زنند که به نسخ احکام عقیده دارند و نسخ به پشیمانی و تغییر در ذات حق می‌انجامد! در تورات می‌نویسد: «خداوند دید که شرارت انسان در زمین بسیار است و هر تصوّر از خیال‌های دل وی دائماً محض شرارت است و خداوند پشیمان شد که انسان را بر زمین ساخته بود و در **دل خود محزون گشت**^(۲)! آیا نسبت پشیمانی و حزن به خدای سبحان دادن، عقیده به تغییر در ذات حق نیست؟

درباره نسخ به چند نکته باید توجه داشت. **نخست** آنکه: نسخ در معارف دین (مانند توحید و معاد و امثال این‌ها) راه ندارد و آیاتی که از این مقولات سخن می‌گویند، از منسوخ شدن برکنارند. **دوم** آنکه: نسخ شامل ماجراهای گذشته (مانند قصص انبیاء علیهم‌السلام) نمی‌شود و درست نیست که مثلاً بگویند: **موسی** علیه‌السلام در بیابان آتشی دید. و سپس این خبر منسوخ گردد که **موسی** علیه‌السلام آتش مذکور را در آن بیابان ندید! زیرا که این امر به «**تناقض**» بازمی‌گردد نه «**نسخ**». **سوم** آنکه: نسخ، امور ثابت اخلاقی را دربر نمی‌گیرد یعنی هیچگاه انصاف و عدالت و اخلاص و عفاف و امثال این امور نسخ‌پذیر نیستند زیرا که اساس تربیت دینی بر فضائل اخلاقی استوار است. تنها و تنها نسخ با بخشی از احکام عملی سروکار دارد که به مقتضای تغییر شرائط در عصر نبوی صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم تغییر نموده‌اند و البته پس از «**اکمال دین**» نسخ احکام جایز نیست ولی تغییر موقت آنها بنا بر قواعد فقهی

۱- نسخ حکم شبیه به نسخه موقتی است که پزشک برای بیمار خود اول‌بار، می‌نویسد تا پس‌از آن آماده نسخه نهایی شود و کاملاً بهبود یابد.

۲- تورات (عهد عتیق)، سفر پیدایش، باب ششم.

(چون قاعده لا حَرَجَ و لا ضَرَر و اضطرار و امثال این قواعد) جایزاست و چون موانع رفع شوند و مثلاً حَرَجَ از میان رود، حکم به اصل خود بازمی‌گردد، بر عکس منسوخات که بازگشتنی نیستند.

حکمت نسخ که مبتنی بر تکامل احکام یا تسهیل آنها و به طور کلی تربیت تدریجی مسلمانان بوده در ذیل هر کدام از احکام مزبور، درخور بحث و تحقیق است.

* * *

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ۗ
وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ تَغْيِيرَ قَبْلِهِ وَ عِلْمَ إِلَهِي!﴾

تغییر قبله در صدر اسلام، آزمایش بزرگی برای مسلمانان بود. قرآن کریم در سوره شریفه بقره، تمهیدات کلامی فراوانی را برای این امر بکارگرفته است. در آیه ۱۲۴ سوره بقره، امامت ابراهیم علیه السلام را مطرح فرموده و سپس از خانه کعبه که به همت او و فرزندش اسماعیل علیه السلام تجدید بنا شد، سخن گفته است و دعای ابراهیم علیه السلام را درباره شهر مکه و امت و پیامبر گرامی اسلام صلی الله علیه و آله بازگو نموده است و با این سخنان، اهمیت کعبه را که بانی آن از بانی بیت المقدس عالی‌مقامتر بود یادآوری شود و اذهان مسلمانان را آماده می‌سازد تا به قبله جدید بازگردند و صف خود را از یهود خیانتگر به کلی جدا سازند. ضمناً شبهاتی را که درباره تغییر قبله پیش می‌آید، خاطر نشان می‌فرماید و به آنها پاسخ می‌دهد و در آیه ۱۴۳ تصریح می‌نماید که اساساً قبله گذشته برای آزمایش مقرر شده بود تا خدایتعالی پیروان رسولش را از کسانی که راه ارتداد درپیش می‌گیرند، جدا سازد. در این آیه کریمه دو نکته جای یادآوری و بحث دارد. یکی آنکه برخی از مترجمان قرآن جمله «وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً...» را به صورت جمله شرطی ترجمه نموده و نوشته‌اند: «هرچند

که این امر جز بر هدایت یافتگان دشوار می نمود^(۱)». باتوجه به اینکه کلمه «هرچند» به معنای «اگرچه» می آید باید توجه داشت که کلمه «إِنْ» در جمله مزبور، شرطیه نیست بلکه مخففه از ثقیله است دلیلش هم حرف لام است که بر سر کلمه «لَكَبِيرَةً» ملاحظه می شود. نکته دوم بحثی است که درباره «لِنَعْلَمَ» پیش می آید. برخی پنداشته اند که خدای سبحان، از آینده بشر آگاهی ندارد! و تعبیر «لِنَعْلَمَ» را که نظایری هم در قرآن دارد، دستاویز قول خود قرار داده اند در حالی که مراد از «لِنَعْلَمَ» علمی است که به پاداش و کیفر تعلق می گیرد^(۲) و از این تعلق، پس از به وجود آمدن «معلوم» یعنی عمل خوب یا بد افراد، یاد می شود چنانکه زمخشری در تفسیر کشاف بدین معنی اشاره کرده است^(۳) و البته این علم با آگاهی پیشین خداوند منافات ندارد زیرا که حَقَّتَعَالَى به وصف «عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» موصوفست و از احوال آینده آدمیان نیز خبر دارد چنانکه می فرماید: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿۳۴﴾ [لقمان: ۳۴]

یعنی «... هیچ کس نمی داند که فردا چه دستاوردی خواهد داشت و هیچ کس نمی داند که در کدام سرزمین خواهد مُرد، در حقیقت خدا دانا و باخبر است».

اگر افراد مزبور، در همان آیه ۱۴۳ از سوره بقره تدبّر می کردند، به روشنی درمی یافتند که خدایتعالی پیش از تغییر قبله می دانسته که چه کسی از رسولش پیروی می نماید و چه کسی از اسلام برمی گردد. زیرا در ذیل همان آیه شریفه می فرماید: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ یعنی: (و همانا آن بسیار سنگین و دشوار بود مگر بر کسانی که خدا

۱- به ترجمه آقای عبدالمحمد آیتی نگاه کنید.

۲- آیه کریمه: ﴿أَمْرٌ حَسْبُكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران/۱۴۲) این معنی را به روشنی می رساند.

۳- تفسیر کشاف، ج ۱، ص ۲۰۰.

از پیش هدایتشان کرده بود) پس خداوند پیش از تغییر قبله خبر داشت که هدایت شدگانش از اسلام باز نمی‌گردند و آن‌ها را می‌شناخت چرا که خود، آن‌ها را هدایت کرده بود. بنابراین تغییر قبله، موجب شناخت آنان نشد بلکه مؤمنان ثابت قدم را از سست‌باوران جدا ساخت تا هر کدام، به پاداش و کیفر خود رسند. چنانکه فرمود: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾^(۱) [آل عمران: ۱۷۹]

* * *

۱- «خداوند بر آن نیست که مؤمنان را به حالی که شما بر آن هستید واگذارد، تا آنکه ناپاک را از پاک جدا سازد».

نکاتی از سوره آل عمران

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾

جداسازی محکّمات از متشابهات

قرآن کریم در این آیه مبارکه از دو دسته آیات محکم و متشابه سخن گفته است و مفسران از دیرباز در مقصود قرآن از محکم و متشابه، اختلاف نظر داشته‌اند. آراء مفسران قدیم امثال ابن عباس و مجاهد و قتاده و سدی و جز ایشان را در تفسیر ابوجعفر طبری و ابوعلی طبرسی می‌توان یافت و رأی مفسران جدید را در تفاسیر المنار و المیزان و کاشف و فی ظلال القرآن و أضواء البیان و التفسیر المنیر و امثال این‌ها باید جستجو کرد. گزیده‌ای از آراء مفسران قدیم در تعریف محکم و متشابه از این قرار است:

۱- «المُحْكَمُ النَّاسِخُ وَالتَّمْثَابَةُ الْمَنسُوخُ»^(۱) (محکم، همان آیات ناسخند و متشابه، منسوخ‌اند).

۲- «المُحْكَمُ مَا لَمْ تَتَكَرَّرْ أَلْفَاظُهُ وَالتَّمْثَابَةُ مَا تَكَرَّرَ أَلْفَاظُهُ»^(۲) (محکم آنست که واژه‌هایش مکرر نباشند، برخلاف متشابه).

۳- «المُحْكَمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا وَالتَّمْثَابَةُ مَا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ فَصَاعِدًا»^(۳) (محکم آنست که تنها یک وجه از معنی را دربردارد و متشابه، دو وجه یا بالاتر را به همراه دارد).

۱- به تفسیر طبرسی، ج ۲، ص ۱۵ و تفسیر طبری، ج ۵، ص ۱۹۲ بنگرید.

۲- به تفسیر طبرسی، ج ۲، ص ۱۵ و تفسیر طبری، ج ۵، ص ۱۹۷ بنگرید.

۳- به تفسیر طبرسی، ج ۲، ص ۱۵ و تفسیر طبری، ج ۵، ص ۱۹۷ بنگرید.

۴- «المَحْكَمُ مَا يُعْلَمُ تَأْوِيلُهُ وَالمُتَشَابَهُ مَا لَمْ يُعْلَمِ تَأْوِيلُهُ»^(۱) (محکم آنست که تأویلش معلوم

شود، برخلاف متشابه)

۵- «المَحْكَمُ مَا عُلِمَ المَرَادُ بِظَاهِرِهِ مِنْ غَيْرِ قَرِينَةٍ وَالمُتَشَابَهُ بِخِلَافِهِ»^(۲) (محکم آنست که از

ظاهرش - بدون هیچ قرینه‌ای - مراد آیه معلوم گردد، برخلاف متشابه).

کمترین ایرادی که بر این اقوال می‌توان گرفت آنست که هیچکدام گواه و دلیلی بر درستی خود به همراه ندارند! مفسران جدید هم گاهی برخی از این آراء را پذیرفته‌اند و گاهی بیاناتی دارند که به هرصورت از راهی که ما در اینجا می‌پیماییم جداست، هرچند در سخنانشان نکته‌هایی درخور بهره‌گیری وجود دارد.

ما به روش همیشگی، باید به خود قرآن کریم بازگردیم و بکوشیم تا از اینراه تعریفی از محکم و متشابه بدست آوریم و آندو دسته آیات را از یکدیگر جداسازیم. در قرآن مجید ضمن آیه ۷ از سوره شریفه آل عمران «دو ویژگی» برای متشابهات ذکر شده است. نخست آنکه: ایندسته از آیات، دستاویز «فتنه» برای کج دلان قرار می‌گیرند چنانکه می‌فرماید: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ (اما کسانی که در دلهایشان میل به باطل است، برای فتنه‌جویی در پی متشابهات قرآن می‌روند). دوم آنکه: تأویل متشابهات بر مردمان معلوم نیست ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ بنابراین، محکمت قرآن (برعکس متشابهات) آیاتی شمرده می‌شوند که اولاً دستاویز فتنه‌گری قرار نمی‌گیرند و ثانیاً تأویل آن‌ها روشن بوده برای آشنایان با قرآن معلوم است. در پرتو این ضابطه قرآنی، مناسبت دارد که نمونه‌ای از آیات محکم را در اینجا بیاوریم ولی برای رفع هرگونه تردیدی لازم می‌دانیم تا گواه خود را از سوره‌ای انتخاب کنیم که قرآن کریم آن را «سوره‌ای محکم» خوانده است.

۱- به تفسیر طبرسی، ج ۲، ص ۱۵ و تفسیر طبری، ج ۵، ص ۱۹۹ بنگرید.

۲- به تفسیر طبرسی، ج ۲، ص ۱۴ بنگرید.

ابتدا در سوره مبارکه محمد ﷺ نشانی از آن سوره محکم می‌یابیم که می‌فرماید:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَاِذَا اُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْثِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: ۲۰].

یعنی: «کسانی که ایمان آورده‌اند گویند: چرا سوره‌ای (درباره جهاد) نازل نشده؟ (تا با دشمن ستمگر پیکار کنیم) ولی هنگامی که سوره‌ای محکم فرو فرستاده می‌شود و ذکر کارزار در آن می‌رود، بیماردلان را می‌بینی که به تو می‌نگرند همچون کسی که از ترس مرگ، غش به سراغش آمده است!...»

اینک باید آن سوره محکمی را که ذکر کارزار در آن رفته بیابیم و آیاتش را به عنوان نمونه‌ای از محکمت قرآنی، نشان دهیم. در بررسی قرآن مجید، مقصود خود را در سوره شریفه «صف» ملاحظه می‌کنیم. در آغاز سوره مزبور از کسانی به سختی انتقاد شده که قول مبارزه با ستمگران را داده بودند ولی چون حکم کارزار نازل شد از اقدام به جهاد سرباز زدند و می‌فرماید: ﴿يَتَّيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ۲] (ای مؤمنان! چرا قولی می‌دهید که بدان عمل نمی‌کنید؟! ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ اَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ۳] (نزد خدا سخت ناپسند آید که سخنی بگویند و بدان عمل نکنید). آنگاه محبت خدایتعالی را نسبت به «جهادگران» اعلام می‌دارد که: ﴿اِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُوعٌ﴾ [الصف: ۴] (همانا خداوند کسانی را دوست می‌دارد که صف زده و منظم در راه او کارزار می‌کنند، همچون بنیانی هستند که از فلز ریخته شده است). و بدین ترتیب، سوره کریمه «صف» نمونه‌ای از

محکمت سُوْر قرآنی بشمار می‌رود و آیه‌های «خلل ناپذیرش»^(۱) را با آیات دیگر قرآن باید سنجد تا همه محکمت را که «أَمَّ الْكِتَابِ»^(۲) خوانده شده‌اند، به خوبی شناخت.

اما در مورد **متشابهات**، چنانکه گفتیم دو نشانه روشن در سوره آل عمران برای متشابهات دیده می‌شود که شناخت متشابه را آسان می‌سازد. بنابراین لازمست آیاتی را جستجو کنیم که نشانه‌های مذکور در خلال آن‌ها به نظر آیند. به عنوان نمونه در سوره شریفه «صافات» پس از وصف نعمت‌های بهشتی می‌فرماید: ﴿أَذَلِّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ **إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ** ﴿۶۴﴾ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ** ﴿۶۵﴾ [الصافات: ۶۲-۶۴] (آیا این [بهشت برین] برای پذیرایی بهتر است یا درخت زقوم^(۳)؟* ما آن را برای ستمگران فتنه‌ای ساختیم* آن درختی است که از دل آتش بیرون می‌آید!

از درخت (زشتناک و تلخ زقوم) که خوراک گناهکاران در دوزخ است چند جای قرآن کریم سخن به میان آمده^(۴) و در دو سوره (صافات و اسراء) تصریح شده است که درخت مزبور مایه «فتنه» یا ابتلاء برای مردم ستمگر می‌گردد (خود به گمراهی درافتاده و دیگران را نیز به شبهه می‌افکنند) و در تفاسیر آورده‌اند که مشرکان، ذکر آن درخت را در قرآن مجید به استهزاء می‌گرفتند و می‌گفتند: «كَيْفَ يَكُونُ فِي النَّارِ شَجَرَةٌ وَالنَّارُ تُحْرِقُ

۱- محکم در لغت به همین معنی آمده است (اصل لغت به معنای منع می‌آید و کلام محکم سخنی است که نفوذ هرگونه خللی را در خود منع می‌کند).

۲- أمّ الكتاب به معنای اصل و مرجع کتاب است و نشان می‌دهد که بیکره اصلی قرآن را آیات محکم پوشانده‌اند.

۳- درخت زقوم چنانکه نوشته‌اند درختی است تلخ مزه، بدبو، زشت منظر و شیرهای از آن بیرون می‌آید که چون به پیکر انسان رسد آن را متورم می‌سازد. به کتاب «معجم ألفاظ القرآن الکریم، ج ۱، ص ۵۳۷» نگاه کنید.

۴- علاوه بر سوره صافات به سوره‌های دخان، آیه ۴۳ و ۴۴ و سوره اسراء، آیه ۶۰ نگاه کنید.

الشَّجَرِ»^(۱)! (چگونه ممکن است در آتش درختی بماند با آنکه آتش درخت را می‌سوزاند و از بین می‌برد؟!). أما مؤمنان که به قدرت مطلق آفریدگار - جلّ و علا - ایمان داشتند، آمنا و صدقنا می‌گفتند بی‌آنکه از اسرار نسوختن آن درخت آگاهی داشته باشند که: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾!

این نمونه‌ای قرآنی از تشابهات شمرده می‌شود که هر دو ویژگی آیات متشابه، در آن گردآمده‌اند. نمونه دیگر مربوط به «عدد نگهبانان دوزخ» است. قرآن مجید در سوره کریمه «مدثر» خبر داده که شمار خازنان دوزخ، نوزده فرشته‌اند و در این باره می‌فرماید: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿۳۰﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ۳۰-۳۱] (بر آن [دوزخ] نوزده نگهبان مأمورند و ما مصاحبان آتش را جز فرشتگان قرار ندادیم و شمار آنان را جز ابتلاء و فتنه برای کافران مقرر نداشتیم...) در تفاسیر قرآن آورده‌اند که عدد فرشتگان مزبور، مایه استهزاء کافران گردید و گفتند: چگونه نوزده فرشته، هزاران دوزخی را کفایت می‌کنند؟! **أبوالأشدّ جُمحی** که پهلوان بود، به دیگران گفت: **أَنَا أَكْفِيكُمْهُمْ!** من به تنهایی، شما را در برابر آن‌ها کفایت می‌کنم!^(۲) ولی مؤمنان، خبر قرآن مجید را تصدیق نمودند که نیروی فرشتگان خدا را فوق پندار کافران می‌دانستند، بی‌آنکه راز نوزده فرشته را (که چرا بیشتر یا کمتر نیستند؟) بدانند ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ۳۱].

البته تشابهات قرآن کریم به نمونه‌هایی که آوردیم، محدود نیستند و (ما در اینجا قصد نداریم تا همه تشابهات را به تفصیل بازگو کنیم). مثلاً آیاتی که ذات و صفات خدای سبحان را یاد می‌کنند از مصادیق آیات متشابه شمرده می‌شوند بدین معنی که تأویل

۱- به تفسیر کشاف زمخشری، ج ۴، ص ۴۶ و تفسیر طبری، ج ۱۹، ص ۵۵۹ و دیگر تفاسیر بنگرید.

۲- به تفسیر طبری، ج ۲۳، ص ۴۳۸ نگاه کنید.

آن‌ها بر کسی آشکار نیست زیرا معرفت خلق نسبت به ذات و صفات حق، در مرتبه «علم اجمالی» قرار دارد نه در مقام «کشف تفصیلی» و ازینرو در قرآن مجید می‌خوانیم که: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ۱۱۰] [خداوند سبحان] آنچه را که در پیش رو دارند و آنچه را که در پشت سر، همه را می‌داند ولی دانش آنان او را فرا نمی‌گیرد). غفلت از این مهم، گروهی از مسلمانان را به «فتنه» درافکنده و صفات حق را با خود به قیاس گرفته‌اند و به «تشبیه» و «تجسیم» گرفتار شده‌اند فسبحان الله و تعالی عما يصفون.

بی‌جهت نبوده که امیرمؤمنان علی عليه السلام در خطبه معروف به «أشباح»^(۱) مسلمانان را از فرورفتن در متشابهات منع نمود و از سخن گفتن در کُنه ذات و صفات آفریدگار آن‌ها را برحذر داشت و درحقیقت بدانان اعلام خطر فرمود.

* * *

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا...﴾

راسخان در دانش و تأویل متشابهات

در بحث از محکّمات و متشابهات قرآن، روشن شد که تأویل آیات متشابه بر کسی جز خدایتعالی معلوم نیست ولی چون مفسران قرآن از دیرزمان تاکنون در اینباره اختلاف نموده‌اند، لازمست در اینجا به روشنگری بیشتری پرداخته شود. در آیه شریفه مورد بحث، خداوند سبحان دو ایراد از کژدلان می‌گیرد. یکی آنکه ایشان آیات متشابه را پی می‌گیرند تا فتنه‌گری کنند. دوم آنکه ایندسته، در جستجوی آگاهی از تأویل متشابهات برمی‌آیند. چنانکه می‌فرماید: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

۱- به خطبه ۹۱ نهج البلاغه بنگرید.

تَأْوِيلَهُ ﴿۱﴾ (أما کسانی که در دلهایشان میل به باطل است برای فتنه‌جویی و برای جستن تأویل متشابهات، درپی آن‌ها می‌روند) و اگر دانستن تأویل متشابهات برای بشر جایز بود و راسخان در علم هم آن را می‌دانستند، در آن صورت راه ایراد گرفتن از این مقوله بسته بود و لازم بود که تنها یک ایراد بر کژدلان وارد آید و گفته شود که ایشان حُسن نیت نداشته و قصد فتنه‌گری دارند، همین و بس! بنابراین آگاهی از تأویل متشابهات درخور آدمی نبوده و در انحصار خدایتعالی است و از اینرو «واو» در آغاز جمله ﴿وَأَلْرَاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا...﴾ برای «استیناف» آمده است نه برای «عطف» و از شروع جمله اسمیه جدیدی خبر می‌دهد.

شگفت آنکه همین معنای دقیق را در چهارده قرن پیش حکیم اسلام و امیرمؤمنان علی علیه السلام به روشنی بیان فرموده است^(۱) و در پاسخ کسی که بدو گفت: «یا امیر المؤمنین صِف لَنَا رَبَّنَا مِثْلًا نَرَاهُ عَيَانًا» (ای امیرمؤمنان خداوند ما را چنان برایمان وصف کن که گویی آشکارا او را می‌بینیم!) چنین فرمود:

«فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ: فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَمَّ بِهِ وَاسْتَضَىٰ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَيُّمَّةِ الْهُدَىٰ أَثَرُهُ، فَكُلِّ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَىٰ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَعَلِمَ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ افْتِحَامِ السُّدِّ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنِ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَّىٰ تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيهَا لَمْ يُكَلِّفَهُمُ الْبَحْثَ عَنِ كُنْهِهِ رُسُوحًا، فَاقْتَصَرَ عَلَىٰ ذَلِكِ، وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ».

۱- این خطبه مبارکه «أشباح» نام دارد و در «نهج البلاغه» به شماره ۹۱ ضبط شده است و محمدبن علی بن بابویه در «کتاب التوحید» ص ۵۵ و ۵۶ سند خطبه را آورده است.

یعنی: «ای پرسش کننده، نیک بنگر! آنچه را که قرآن دربارهٔ صفات خداوند، تو را رهنمایی می‌فرماید، از آن پیروی کن و از نور هدایتش روشنی بجوی و هرچیزی که شیطان تو را به دانستن آن، وامی‌دارد که در کتاب خدا بر تو واجب نشده و در سنت پیامبر ﷺ و پیشوایان هدایت اثری از آن نیست، دانش آن را به خدا واگذار که این نهایت حق خداوند بر تو است و بدان که **راسخان در دانش** کسانی هستند که اعترافشان به نادانی دربارهٔ **غیب پوشیده**، ایشان را از ورود به درهای بستهٔ آن، بی‌نیاز ساخته است و خداوند اعتراف آنان را به عجز و نادانی از احاطهٔ بر آن امور، ستایش نموده و فروزرفتن ایشان را در چیزهایی که ادراک کُنه آن‌ها را از راسخان نخواست، **رسوخ در دانش** نامیده است. پس تو نیز به همین اندازه بسنده کن و عظمت خداوند پاک را با عقل خود نسنج که از اهل هلاکت خواهی شد.»

چنانکه ملاحظه می‌شود امام علیه السلام تصریح فرموده که راسخان در علم از شناخت تأویل متشابهات ناتوانند و این امر اختصاص به خدایتعالی دارد. در اینجا ممکن است گفته شود که: در برخی از مآثورات ائمه علیهم السلام خلاف این معنی ملاحظه می‌گردد! پاسخ آنست که: ما موظف هستیم به هنگام «**تعارض آثار**» خبری را بپذیریم که با قرآن مجید موافقت دارد (مانند خطبهٔ علی علیه السلام) و اخبار دیگر را ترک کنیم چنانکه این دستور از ائمهٔ هدی علیهم السلام به گونه‌ای متواتر رسیده است و جای تردید نیست.

باز ممکن است بگویند: چگونه می‌شود که راسخان در دانش، معنای بخشی از کتاب خدا را ندانند؟! پاسخ آنست که: راسخان در علم البته معانی قرآن را درمی‌یابند، آنچه را که نمی‌دانند «**تأویل متشابهات**» است که با برخی از اسرار غیب و امور الهی پیوند دارد چنانکه از شواهد قرآنی و خطبهٔ امیر مؤمنان علیه السلام برمی‌آید. اسراری که در لسان شرع، آن‌ها را «**علم مُستأثَر**» می‌خوانند یعنی اموری که دانش آن‌ها خاص خداوند است. در قرآن مجید هم بدین معنی تصریح شده که برخی از امور غیب را کسی جز خدا نمی‌داند و

می‌فرماید: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ۱۷] (هیچکس نمی‌داند که چه چیزهایی [در عالم غیب] برای ایشان پنهان شده که مایهٔ روشنی دیدگان می‌شود!..).

در اینجا ممکن است گفته شود: هر چند پاره‌ای از امور الهی و اسرار آخرت را جز خدای سبحان کسی نمی‌داند ولی چه مانعی دارد که خدایتعالی امور مزبور را به راسخان در علم آموخته باشد؟ چنانکه صاحب تفسیر المیزان می‌فرماید: «إِنَّ الْعِلْمَ بِالتَّوَلِيلِ مَقْصُورٌ فِي الْآيَةِ عَلَيْهِ تَعَالَى وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ وُرُودَ الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَيْهِ»^(۱) (علم به تأویل متشابهات در آیه قرآن، اختصاص به خدایتعالی دارد ولی این امر، منافی با ورود استثناء در آن نیست).

پاسخ آنست که: این احتمال با خطبهٔ امام علیه السلام سازگاری ندارد زیرا که امام علیه السلام در آن خطبه، سؤال کننده را ترغیب می‌فرماید که در اسرار پوشیدهٔ الهی وارد نشود و بدون اطلاع از آنها، اسرار مزبور را تصدیق کند همانگونه که راسخان در علم آنها را تصدیق نموده‌اند. اینک اگر ادعا کنیم که راسخان در دانش، اسرار غیب را می‌دانند و دانسته تصدیق می‌کنند، بیان امام علیه السلام نقصان می‌پذیرد و دیگر لزومی نداشته تا امیرمؤمنان علیه السلام ایمان راسخان دانش را برای سائل مطرح فرماید!

در پایان این بحث، برای برخی از مفسران، پرسشی پیش آمده که: اساساً چرا در کتاب خدا سخن از متشابهات رفته است، متشابهاتی که تأویل آنها را جز خدا کسی نمی‌داند؟! **فخر رازی** در تفسیر «مفاتیح الغیب» پنج فایده برای ورود متشابهات در قرآن مجید برشمرده است^(۲) که هیچکدام از آنها وافی به مقصود نیست و از اینرو ما از بازآوردن وجوه مزبور، خودداری ورزیدیم. آنچه از رجوع به خودقرآن در این مورد استفاده می‌شود اینست که ایمان آدمی به خداوند و کلام او، از دو راه به کمال می‌پیوندد. یکی از طریق

۱- به تفسیر «المیزان»، ج ۳، ص ۲۷ نگاه کنید.

۲- به تفسیر مفاتیح الغیب، ج ۲، ص ۴۰۳ و ۴۰۴ بنگرید.

دانش و پژوهش و دوّم از طریق تسلیم و تصدیق چنانکه راسخان در دانش با علم به محکّمات قرآن و تدبّر و پژوهش در آنها، مقام اوّل را احراز نموده‌اند و در مقام دوّم که رهیافتن به «علم مُسْتَأْتَر» یا آگاهی از تأویل متشابهات باشد، گویند: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (ما به کلام حقّ ایمان آوردیم، همگی آن از سوی خداوند ما است) و بدینوسیله تسلیم و اخلاص خود را به پیشگاه خدای عزّوجلّ تقدیم داشته‌اند.

* * *

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ قائم به قسط

کیست؟

در ترجمه این آیه شریفه، برخی از مترجمان غفلت غریبی نشان داده‌اند و نوشته‌اند

که:

«خداوند خود بریگانگی ذات اقدسش گواهی می‌دهد و فرشتگان و دانشمندان الهی که بر قسط و عدل مأمورند نیز گواهی می‌دهند...»^(۱) در این ترجمه، علاوه بر اینکه مترجم محترم، فعل ماضی «شَهِدَ» را به صورت مضارع «گواهی می‌دهد» برگردانده، «قَائِمًا بِالْقِسْطِ» را نیز عمل فرشتگان و دانشمندان شمرده است که اگر چنین بود، لازم می‌آمد به صورت «قَائِمِينَ بِالْقِسْطِ» به لفظ جمع آید. بنابراین تعبیر «قَائِمًا بِالْقِسْطِ» به اصطلاح نحوی «حال» برای لفظ جلاله (الله) یا برای ضمیر «هُوَ» است.

بعضی احتمال داده‌اند که «قَائِمًا» در عین آنکه برای لفظ جلاله به کار رفته، منصوب به «مدح» باشد یعنی فعل «أَمْدَحُ» را در تقدیر دارد و گفته‌اند که قیام به عدالت، صفت ثابت حَقِّتَعَالی شمرده می‌شود و متناسب با «حال» نیست که معمولاً تغییر می‌کند. گوینده این قول، احکام نحوی را به مباحث کلامی کشانده! و به هر صورت، می‌توان بدو پاسخ داد که

۱- به ترجمه خانم طاهره صفّارزاده نگاه کنید.

«قَائِمًا بِالْقِسْطِ» برای حَقِّتعالی «صِفَتِ فَعْلٍ» محسوب می‌شود و افعالِ الهی نسبت به خلق تغییر می‌نمایند چنانکه گاهی «فَضْلُ خِدا» یا «رَحْمَتِ او» به جای عدلش شامل احوال خلق می‌گردد که فرمود: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾ [الإسراء: ۸] ضمناً باید دانست که جمله‌های حالیه برای حَقِّتعالی فراوان به کار رفته است. اما البتّه صفات خدا با احوال خلق سنجدیده نمی‌شود زیرا که ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشوری: ۱۱] (هیچ چیزی همانند او نیست).

نکته قابل توجه در آیه شریفه اینست که بدانیم چرا «قَائِمًا بِالْقِسْطِ» بلافاصله پس از «شَهَادَةُ اللَّهِ» ذکر نشده و با تأخیر آمده است؟ ظاهراً علوّ رتبه فرشتگان و دانشمندان، مورد عنایت بوده که شهادت آنان به توحید، قرین گواهی خداوند - جَلَّ ذِكْرُهُ - شده چنانکه این معنی را از محقق تفتازانی نقل کرده اند.

* * *

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦٠﴾ خدای سبحان و فرمانروایان!

در تفسیر این آیه کریمه، برخی از مفسران «مُلک» را به معنای «نبوت» تفسیر نموده‌اند. نه فرمانروایی و پادشاهی! چنانکه به گزارش طبری، از میان مفسران قدیم «مجاهد» بر این قول رفته است^(۱) و فخررازی در تفسیر «مفاتیح الغیب» کوشیده تا رأی وی را تقویت کند و نوشته است: «النُّبُوَّةُ أَعْظَمُ مَرَاتِبِ الْمَلِكِ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ لَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ عَلَىٰ بَوَاطِنِ الْخَلْقِ وَالْجَبَابِرَةُ لَهُمْ أَمْرٌ عَلَىٰ ظَوَاهِرِ الْخَلْقِ وَالْأَنْبِيَاءُ أَمْرُهُمْ نَافِذٌ فِي الْبَوَاطِنِ وَالظَّوَاهِرِ»^(۲). یعنی:

۱- به تفسیر طبری، ج ۵، ص ۳۰۴ نگاه کنید.

۲- تفسیر فخررازی، ج ۲، ص ۴۳۱.

«پیامبری بزرگترین مرتبه فرمانروایی است زیرا دانشمندان تأثیر بسیاری بر باطن مردم دارند و سلاطین بر ظاهر امور مردم حکومت می‌کنند ولی امر پیامبران در باطن و ظاهر مردم نافذ است».

أما این معنا، با آیه شریفه سازگار نیست زیرا در آنجا می‌فرماید: ﴿وَتَنَزَعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ (مُلک را از هرکس بخواهی برمی‌گیری) و هیچ پیامبری را خدای سبحان از مقام نبوت عزل نفرمود و حتی یونس علیه السلام پس از آنکه در کام نهنگ افتاد، دوباره بر بیش از صد هزار تن به رسالت فرستاده شد چنانکه می‌فرماید: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ۱۴۷] فخر رازی، اشکال مزبور را دریافته و درصدد پاسخگویی برآمده است و سعی نموده تا به کمک توجیهاتی آن را برطرف سازد ولی جوهری که ذکر نموده، پذیرفتنی نیست زیرا حدّ اقلّ لازم می‌آید که بدون هیچ قرینه‌ای، آیه شریفه حمل بر «مجاز» گردد. به نظر می‌رسد که طرفداران این تفسیر، خواسته‌اند تا از اشکال مهمّی که به ذهن می‌آید بگریزند و آن اشکال اینست که: خدای سبحان چرا سلطنت را گاهی به نمرود و فرعون و یزید و امثال این ستمگران داده است؟!

در اینجا بزرگان معتزله گام به میدان نهاده‌اند تا اشکال مزبور را حل کنند. ابوعلی جبائی در اینباره گفته است: «هَذَا الْحُكْمُ مُحْتَصٌّ بِمُلُوكِ الْعَدْلِ فَأَمَّا مُلُوكُ الظُّلْمِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا مُلْكُهُمْ بِإِتْيَاءِ اللَّهِ»^(۱) (این حکم ویژه پادشاهان دادگر است اما درباره فرمانروایان ستمگر، روا نیست که گفته شود خداوند پادشاهی را به ایشان داده است!) شبیه همین رأی را از کعبی گزارش کرده‌اند و او نیز اطلاق آیه شریفه را انکار نموده است. اما این - گونه پاسخها به نظر ما، نوعی «دفاعیه منفی» شمرده می‌شود که در پاره‌ای از موارد، نظایر آن را در آثار معتزله می‌بینیم. حقیقت آنستکه تعبیر ﴿اللَّهُمَّ مَلِكًا الْمَلِكِ﴾ در صدر آیه

۱- به نقل فخررازی در تفسیر مفاتیح الغیب، ج ۲، ص ۴۳۲.

کریمه نشان می‌دهد که سلطنت و فرمانروایی به طور مطلق در اختیار خداوند سبحان است بنابراین هرکس به پادشاهی دست یافته، آن را به نحوی از خدایتعالی گرفته است. ما اگر به روش همیشگی خود به قرآن مجید بازگردیم ملاحظه می‌کنیم که خدایتعالی فرمانروایی را نصیب مردم خوب و بد هر دو دسته، فرموده است چنانکه قرآن مجید از قول یوسف صِدِّیق علیه السلام نقل می‌کند که گفت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ﴾ [یوسف: ۱۰۱] (خدای من، تو مرا از فرمانروایی نصیب‌دادی) و همچنین درباره داود نبی علیه السلام می‌فرماید: ﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ۲۵۱] (خداوند بدو فرمانروایی داد!) اما درباره پادشاه ملحدی که با ابراهیم خلیل علیه السلام در موضوع خداشناسی جدل می‌نمود نیز فرموده است: ﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾^(۱) (خداوند بدو فرمانروایی داد!) پس اولاً مُلک به معنای نبوت نیست زیرا ملحدانی هم بدان نائل آمدند! و ثانیاً رأی معتزله که آن را ویژه نیکان و صالحان دانسته‌اند، با مدلول قرآنی نمی‌سازد.

اکنون باید به کمک قرآن مجید ملاحظه کنیم که دادن مُلک به ستمگران، چگونه و از چه راه است؟ قرآن کریم درباره «داده‌های الهی» از سه طریق سخن می‌گوید. از راه تکوین یا تشریح و یا تقدیر! گاهی خدایتعالی از راه تکوین به کسی چیزی می‌بخشد مانند فرزندی که نصیب کسی شود. و گاهی از راه وحی و تشریح چیزی را به کسی می‌دهد چنانکه به موسی علیه السلام فرمود: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ۱۴۴] (پس آنچه را به تو دادم بگیر و از سپاسگزاران باش) و این هر دو مقام، با رضایت خداوند و خیر بندگان همراه است. اما راه سوّم که راه تقدیر الهی باشد، خیر و شرّ هر دو را دربر می‌گیرد^(۲). مانند آنکه در سرزمینی مردم به فساد و گناه روی آورند و محیطی پدید آید برای پیشرفت ستمگران آنگاه خدای سبحان از تسلط اشرار بر آنان - به دلیل

۱- سوره بقره، آیه ۲۵۸

۲- چنانکه در حدیث نبوی آمده... و (أن) تُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرُّهُ (التّاج الجامع للأصول، ج ۱، ص ۲۵).

فسادشان - جلوگیری نکنند و در نتیجه، ستمگران از امکانات خدادادی برای سلطه بر آن قوم بهره‌گیرند و بر ایشان چیره‌شوند چنانکه در قرآن کریم می‌خوانیم بنی‌اسرائیل به سبب فساد و سرکشی در فلسطین ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ۴] گرفتار تسلط دشمنان خود شدند و به سختی سرکوب گشتند و خدایتعالی این امر را به خود نسبت می‌دهد و می‌فرماید: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ۵] یعنی: «گروهی از بندگان خود را بر شما گماردیم که سخت توانمند بودند پس در میان خانه‌ها (برای دستگیری شما) به جستجو پرداختند» و گروه مزبور همانگونه که در تاریخ یهود^(۱) آمده، بابلیان بودند که به سرکردگی پادشاه خود یعنی: نبوخذ نصر^(۲) (که در میان عرب به بُخْتُ النَّصْر مشهور است) بر بنی اسرائیل هجوم آوردند و به دستگیری و کشتار آنان پرداختند و این تقابل تاریخی، نمونه‌ای از تقدیرهای الهی شمرده می‌شود. (سلطه و فرمانروایی دیگر ستمگران بر مردم فاسد و ستم‌پذیر نیز این چنین است).

نتیجه آنست که حکومت جبّاران از راه وحی و تکوین نیست تا مورد رضایت خدای سبحان و مایه خیر باشد. والبتّه فرمانروایان جبّار هم در پیشگاه خداوند، مسئول اعمال خویشند و غلبه و عزّت کوتاه مدتشان نباید مایه فریب مردم گردد. دلیل روشن ناخشنودی خدایتعالی از آنان اینست که خداوند - جَلَّ و عَلا - پیامبران خود چون ابراهیم و موسی عَلَيْهِمَا السَّلَام را به سوی جبّارانی مانند نمرود^(۳) و فرعون ارسال فرمود تا به مخالفت با ایشان پردازند و با کفر و ستم آنان مبارزه کنند و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

* * *

۱- به جلد اول تاریخ یهود ایران، اثر حبیب لوی نگاه کنید.

۲- نام این شخص در قرآن کریم نیامده و تنها از محاجّه وی با ابراهیم عليه السلام در سوره بقره آیه ۲۵۸ سخن رفته است.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ^۱ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

مُسْلِمُونَ ﴿۱۶﴾ فراخوانی اهل کتاب به توحید

آیه شریفه فوق یکی از مشهورترین آیات قرآن به شمار می‌آید و در نامه رسول اکرم ﷺ به امپراتور روم شرقی نیز از آن یاد شده است. ولی متأسفانه در بیشتر ترجمه‌های پارسی، به درستی آن را ترجمه نکرده‌اند. به عنوان نمونه، یکی از مترجمان می‌نویسد: «بگو: ای اهل کتاب، بیایید از آن کلمه حق که میان ما و شما یکسان است (و همه حق می‌دانیم) پیروی کنیم و آن کلمه اینست که به جز خدای یکتا هیچکس را نپرستیم و چیزی را با او شریک قرار ندهیم و برخی، برخی را به جای خدا به ربوبیت تعظیم نکنیم...»^(۱)

دومی می‌نویسد: «بگو: ای اهل کتاب، بیایید از آن کلمه‌ای که پذیرفته‌ما و شماست پیروی کنیم آنکه جز خدای را نپرستیم و هیچ چیز را شریک او نسازیم...»^(۲).

سومی ترجمه کرده است: «بگو ای اهل کتاب، بیایید بر سر سخنی که بین ما و شما یکسان است بایستیم که جز خداوند را نپرستیم و برای او هیچ‌گونه شریکی نیاوریم...»^(۳).

چهارمی می‌نویسد: «بگو ای اهل کتاب، بیایید بر سر کلامی که بین ما و شما مشترک است بایستیم که جز خدای را بندگی نکنیم و هیچ‌کس را [در قدرت و تدبیر] با او شریک تلقی نکنیم و در برابر خدا افرادی از خودمان را صاحب اختیار خود نگیریم...»^(۴)

۱- به ترجمه آقای مهدی الهی قمشه‌ای نگاه کنید.

۲- به ترجمه آقای عبدالمحمد آبتی نگاه کنید.

۳- به ترجمه آقای بهاء‌الدین خرّمشاهی بنگرید.

۴- به ترجمه آقای علی اکبر طاهری قزوینی نگاه کنید.

پنجمی مرقوم داشته است: «بگو ای اهل کتاب، بیایید به سوی سخنی که میان ما و شما یکسان است که جز خداوند یگانه را نپرستیم و چیزی را همتای او قرار ندهیم...»^(۱).
 ندهیم...»^(۱).

ما پنج نمونه از ترجمه‌ها را انتخاب کردیم تا نشان دهیم که چه اندازه در برگردان این آیه شریفه به پارسی، غفلت شده است باینکه ترجمه‌های مزبور، برجسته و درخور اهمّیت شمرده می‌شوند. اما متأسفانه مترجمان آن‌ها - شاید ناخودآگاه - گمان کرده‌اند که این آیه کریمه، خطاب به «مسیحیان اولیّه» است که از توحید خالص منحرف نشده بودند و از اینرو نوشته‌اند: «به سوی کلمه‌ای بیایید که همه آن را حقّ می‌دانیم» و یا «پذیرفته ما و شما است» و یا «میان ما و شما یکسان است» و یا «میان ما و شما مشترک است»...! و آن کلمه^(۲) هم اینست که غیرخدا را شریک وی ندانیم و غیر او را عبادت نکنیم. غافل از آنکه خطاب آیه شریفه در درجه اول، به اهل کتاب معاصر با پیامبرگرمی اسلام ﷺ است که به تثلیث و ابن‌اللهی مسیح و پرستش وی عقیده داشتند (و هنوز هم دارند!) و قرآن مجید صریحاً اعلام نموده است که: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ۳۱] (آنان علمای دینی و راهبان خود را - غیر از خدا - به اربابی گرفته‌اند و نیز مسیح پسر مریم را..). پس چگونه می‌توان آن‌ها را به سوی سخنی فراخواند که پذیرفته ما و ایشان است؟! بنابراین، کلمه «سواء» که در این آیه شریفه به کار رفته چنانکه مفسران قدیم امثال طبری و طبرسی آورده‌اند به معنای «عدل» است. یعنی قرآن کریم، اهل کتاب را که از توحید منحرف شده بودند، به سوی سخنی

۱- به ترجمه آقای ناصر مکارم شیرازی بنگرید.

۲- مراد از «کلمه» در اینجا «کلام» یعنی سخن است مانند کلمه «لا إله إلا الله». به قول ابن مالک: «وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدْ يَوْمٌ»

عادلانه میان مسلمانان و ایشان فراخوانده است، نه سخنی که پذیرفته آنان باشد! آنها متأسفانه، شرک و انسان‌پرستی را پذیرفته بودند (و امروز هم برآن هستند)!

شیخ طبرسی در «مجمع البیان» آیه کریمه را چنین تفسیر می‌نماید:

قُلْ (یا مُحَمَّد) یا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا (أَيُّ هَلُمُّوا) إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ (أَيُّ عَدَلٍ) بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ (أَيُّ عَادِلَةٍ لَا مِيلَ لَهَا)^(۱). یعنی: «بگو ای محمد که ای اهل کتاب، به سوی سخنی بیابید که میان ما و شما عادلانه است یعنی انحراف از حق در آن نیست». طبری نیز در تفسیرش بر همین قول رفته است و از قول قتاده آورده که: سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ یعنی: عَدَلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ^(۲).
قرینه صحت این تفسیر آنستکه در پایان همین آیه می‌فرماید: فَإِنْ تَوَلَّوْا (پس اگر روی گردانند!) در صورتیکه آنها توحید ربوبیت را پذیرفته بودند، دیگر بحث از روی گرداندن پیش نمی‌آمد زیرا صدرآیه با ذیلش نمی‌ساخت!

أما دومین ایراد بر بعضی از این ترجمه‌ها، مربوط به کلمه (لَا يَتَّخِذُ) است که صیغه مفرد مذکر غایب شمرده می‌شود و شگفت آنکه آن را با (لَا تَتَّخِذُ) یعنی صیغه متکلم مع الغیر، خلط کرده‌اند! وبه جای آنکه در ترجمه ﴿وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بنویسند: «و برخی از ما برخی دیگر را - غیر خدا- به اربابی نگیرد» واژه‌های «نگیریم» و «نسازیم» و «نیاوریم» و «نکنیم» را به کار برده‌اند!

* * *

۱- تفسیر مجمع البیان، ج ۳، ۱۰۵.

۲- تفسیر جامع البیان، ج ۵، ص ۴۷۸.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿۱۱۱﴾ فَرِحِينَ
بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَدَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿۱۱۲﴾ شادمانی شهیدان!

این دو آیه کریمه در مورد شهدای غزوه «أُحُد» نازل شده‌اند ولی چنانکه پیش‌ازین گفتیم: «مورد، مخصّص نیست» وازینرو هر دو آیه، عموم شهدای راه خدا را دربرمی‌گیرند. در ترجمه این دو آیه برخی از مترجمان در دو موضع، به خطا افتاده‌اند. یکی آنکه گمان کرده‌اند که فعل نهی «لَا تَحْسَبَنَّ» جمع است و آن را به صورت «نپندارید»^(۱) و یا «شمارید»^(۲) به فارسی برگردانده‌اند! با آنکه فعل مزبور، مفرد است و با نون تأکید ثقیله همراه شده و لازمست به صورت «البته مپندار» ترجمه شود. دوّم آنکه برخی، فعل «يَسْتَبْشِرُونَ» را در آیه کریمه به معنای «بشارت می‌دهند»^(۳) آورده‌اند که این نیز خطاست و استبشار در قرآن مجید به معنای «شادمان شدن» بکار رفته است نه «بشارت دادن»^(۴) چنانکه می‌فرماید: ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعِيكُمْ الَّذِينَ بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ [التوبة: ۱۱۱] (پس بدان داد و ستدی که کرده‌اید شادمان باشید) و یا می‌فرماید ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿۱۱۲﴾ [التوبة: ۱۲۴] (پس کسانی که ایمان آورده‌اند، ایمانشان را می‌افزاید و آنان شادمان می‌گردند). یا می‌فرماید: ﴿ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ۴۵] (و چون ذکر غیر خدا آورده شود در آن هنگام ایشان شاد می‌گردند!) و امثال این آیات.

۱- به ترجمه آقای مهدی الهی قمشه‌ای و خانم طاهره صفارزاده نگاه کنید.

۲- به ترجمه آقای داریوش شاهین بنگرید.

۳- به ترجمه آقای عبدالمحمّد آبتی و آقای قمشه‌ای نگاه کنید.

۴- در «المصباح المنیر» اثر فتومی آمده است: بَشِيرٌ بَكْدَا (بَشِيرٌ) مثل: فَرِحَ يَفْرَحُ وَزَنًا وَ مَعْنَى وَ هُوَ الإِسْتِبْشَارُ أَيْضًا (ص ۴۹)

شهادای راه خدا چون به نعمت و فضل إلهی دست یابند، علاوه بر اینکه خود شادمان می‌گردند، دربارهٔ دوستانشان که در جبههٔ نبرد به پیکار می‌گذرانند نیز مسرور خواهند شد زیرا که درمی‌یابند آن‌ها هم چون گام در جهان دیگر نهند از نعمت‌ها و فضل خداوند بهره‌مند می‌شوند. و این ماجرا را با **تمثیلی** می‌توان توضیح داد: گروهی همدل و همراه را در نظر گیریم که در پی فتح قلّه‌ای بلند رهسپار کوه بس عظیمی شده‌اند و از راههای دشوار و خطرناک می‌گذرند ولی برخی از ایشان زودتر از دیگران به قلّه می‌رسند و چون با خستگی و عطش فراوان به مقصد رسیدند، با جایگاهی مصفاً و چشمه‌های آب زلال و نسیمی جان‌نواز و گلها و گیاهانی فرح‌بخش روبرو می‌شوند. در اینجا دستهٔ پیشرو که به قلّه کوه رسیده بودند خود، شاد می‌شوند و به علاوه، برای دوستانی که در راه هستند نیز مسرور خواهند شد که با پیوستن به ایشان از آنهمه صفا و زیبایی بهره می‌گیرند. حال شهیدان راه خدا این چنین است بلکه صد چندان برتر!

کسانی که فعل «یَسْتَبْشِرُونَ» را به جای «یُبَشِّرُونَ» ترجمه نموده‌اند گویا چنان پنداشته‌اند که شهداء پس از کشته شدن، به سراغ یاران زندهٔ خود می‌آیند تا بدانها بشارت دهند! و این پندار البته برخلاف نصّ آیهٔ کریمه است که از عدم پیوستگی آندو دسته حکایت می‌نماید و می‌فرماید: ﴿لَمْ يَلْحَقُوا﴾.

در اینجا به دو نکتهٔ تفسیری نیز لازمست اشاره کنیم. یکی آنکه شهیدان به لحاظ حیات دنیوی، مرگ را چشیده و مُرده‌اند چنانکه در قرآن مجید می‌خوانیم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ۱۸۵] (هر نفسی چشندهٔ مرگ است). پس حیات آنان در مرحلهٔ دیگری از عالم هستی ادامه می‌یابد که فهم عادی از ادراک آن ناتوان است از اینرو در سورهٔ کریمه بقره می‌فرماید ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقره: ۱۴۵] (بلکه ایشان زنده‌اند ولی شما درک نمی‌کنید). دوّم آنکه تعبیر ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ در این آیات برای اظهار «لطف و کرامت خداوند» بکار رفته است نه برای هر جایگاهی که حقّ تعالی در آنجا

حضور احاطی دارد! از اینرو درباره اهل بهشت می فرماید ﴿هُم دَاوِرٌ أَسْلَمَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ۱۲۷] (برای آنان سرای سلامت است نزد خداوندگارشان) یا می فرماید: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿۱۰۰﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿۱۰۱﴾﴾ [القمر: ۵۴-۵۵] (همانا متقیان در باغستانها و کنار نهرها جای گیرند * در قرارگاه راستین نزد پادشاهی توانمند!) بنا به گزارش قرآن مجید، همسر یکتاپرست فرعون، در دعاء به درگاه حق - جَلَّ وَ عَلا - می گفت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ۱۱] (خدای من! مرا خانه‌ای در بهشت نزد خود بساز). گویی که همسر فرعون گفته است: خداوندا مرا خانه‌ای در بهشت عطا کن که زیر سایه لطف خودت باشد (نه در کاخ فرعون!) آری معنای تعبیرات قرآنی را غالباً از خود قرآن باید آموخت.

* * *

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّهِمْ خَيْرًا لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّهِمْ لِيَزِدَّادُوا إِثْمًا وَهُمْ

عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿۱۷۸﴾ لام عاقبت، نه لام تعلیل!

در ترجمه‌های متداول از قرآن کریم غالباً حرف «لام» را در عبارت ﴿لِيَزِدَّادُوا إِثْمًا﴾ چنان به فارسی برگردانده‌اند که معنای تعلیل فعل و غرض خداوند را می‌رساند. یعنی خدای سبحان از آنرو به کافران مهلت می‌دهد که آنان برگناهانشان بیافزایند! درحالی‌که حرف «لام» در اینجا از عاقبت و نتیجه مهلت خداوندی حکایت می‌کند نه از مهلت خداوند به قصد افزایش گناه!

مترجمان محترم البته بدین نکته توجه داشته‌اند ولی به هرصورت، ترجمه‌های ایشان در ذهن خواننده پارسی زبان، همان معنای ناصواب را القاء می‌کند. چنانکه یکی از ایشان

مَرَقُومٌ دَاشْتَه: «به آن‌ها مهلت می‌دهیم تا بیشتر به گناهانشان بیفزایند»^(۱) دومی می‌نویسد: «به آنان مهلت می‌دهیم تا گناهکارتر شوند»^(۲). سوومی نوشته‌است: «فقط مهلتشان می‌دهیم تا گناهشان بیشتر شود»^(۳). چهارمی مرقوم نموده: «ما به آنان مهلت می‌دهیم فقط برای اینکه بر گناهان خود بیفزایند»^(۴). پنجمی نوشته: «همانا مهلتشان می‌دهیم تا بر گناه خود بیفزایند»^(۵).

واضح است که اگر آیه شریفه بدین شکلها ترجمه شود، به گمان افراد می‌افکند که خدای سبحان با افزایش گناهان موافقت دارد و کافران در این باره مطیع خدا هستند و از خواست او پیروی می‌کنند! و در این صورت، وعده عذاب ایشان در پایان آیه ﴿وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ به کلی بی‌تناسب می‌شود!

راه حل این مشکل - مانند نظایر آن - رجوع به خود قرآن مجید است و قرآن کریم برای حرف لام (علاوه بر معنای تعلیل افعال و غرض از آن‌ها) معنای عاقبت و نتیجه فعل را نیز بکار برده است که به تناسب موضوع باید رعایت شود. مثلاً در سوره قصص می‌فرماید: ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ۸] روشن است که خانواده فرعون، موسی عليه السلام را در کودکی از آب نگرفتند تا مایه دشمنی و اندوهشان گردد به ویژه که زن فرعون بدو گفت: ﴿قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ۹] (او نور چشم من و تو است! وی را مکشید چه بسا سودمان دهد یا ما به فرزندیش بگیریم). بنابراین معنای آیه کریمه چنین است که: خانواده

۱- به ترجمه آقای عبدالمحمد آیتی نگاه کنید.

۲- به ترجمه آقای مسعود انصاری بنگرید.

۳- به ترجمه آقای ابوالقاسم پاینده نگاه کنید.

۴- به ترجمه آقای ناصر مکارم بنگرید.

۵- به ترجمه آقای جلال الدین مجتوبی نگاه کنید.

فرعون، موسی علیه السلام را (از آب) برگرفتند ولی سرانجام وی دشمن و مایه اندوهشان شد. در آیه مورد بحث نیز حرف لام، برای عاقبت آمده و لازمست آیه شریفه را بدینصورت ترجمه نمود: «کسانی که کافر شدند البته نپندارند مهلتی که به ایشان می‌دهیم، به نفع آنهاست، جز این نیست که به آنان مهلت می‌دهیم و در نتیجه بر گناه (خود) می‌افزایند و عذابی خوارکننده دارند». این معنا را مفسران فرّق، به خوبی دریافته‌اند. از معتزلیان، قاضی عبدالجبار در کتاب «تنزیه القرآن عن المطاعین» آیه شریفه را بدرستی توضیح داده است^(۱). از امامیه، شیخین (طوسی و طبرسی) در تفسیرشان حقّ مطلب را اداء کرده‌اند و شواهدی از شعر و نثر در این باره نشان داده‌اند (مانند قول شاعر:

أموالُ الدّوی المیراثِ نَجَمُهَا ودورُنَا الخرابِ الدّهْرِ نَبیْهَا^(۲)
و قول معروف: لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ^(۳))

أما أشاعره، اساساً نمی‌پذیرند که حرف «لام» یا غیر آن در قرآن کریم برای تعلیل افعال الهی و بیان غرض وی بکار رفته باشد! چنانکه فخر رازی در تفسیرش می‌نویسد: «إِنَّ عِنْدَنَا يَمْتَنِعُ تَعْلِيلُ أَفْعَالِ اللَّهِ لِعَرَضٍ يَصْدُرُ مِنَ الْعِبَادِ فَأَمَّا أَنْ يَفْعَلَ تَعَالَى فِعْلاً لِيَحْضَلَ مِنْهُ شَيْئاً آخَرَ فَهَذَا غَيْرُ مُمْتَنِعٍ»^(۴). هرچند سخن رازی محلّ اشکال است^(۵) ولی در هر صورت، او نیز حرف لام را در آیه مورد بحث برای عاقبت دانسته است.

۱- به کتاب «تنزیه القرآن عن المطاعین»، ص ۸۳ نگاه کنید.

۲- سرانجام دارایی‌های خود را برای ارث بردن گرد می‌آوریم * و خانه‌هایمان را برای ویران کردن روزگار می‌سازیم!

۳- در نهایت برای مُردن بزایید و برای ویران ساختن، بنا کنید! (اینست عاقبت امر در کار دنیا).

۴- نزد ما تعلیل افعال الهی برای اغراض خاص چنانکه از بندگان سر می‌زند، محال است ولی اینکه خدای تعالی کاری کند که از آن چیز دیگری حاصل آید، ممتنع نیست.

۵- زیرا قول مزبور با آیاتی چند سازگار نیست از جمله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاریات: ۵۶) که اگر حرف لام در (لِيَعْبُدُونِ) برای غرض نبوده و عاقبت امر را برساند،

* * *

در آنصورت همه جن و انس سرانجام باید عبادتگر خدا شوند و نیز در آیه ﴿لَيَقُومَنَّ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾
(الحديد: ۲۵) همین مشکل پیش می آید.

نکاتی از سوره نساء

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ...﴾ معنای این استثناء

چیست؟

ازدواج با ارحام نزدیک مانند مادر، خواهر، خاله، عمه... در اسلام حرام شده است (نساء: ۲۳) ولی در پاره‌ای از مذاهب - مانند آئین زرتشت - ازدواج با ارحام نزدیک (مثل خواهر) جایز بود و آن را **خویدوده** (یا خویتودس) می‌گفتند^(۱).

در عرب دوران جاهلیت، رسم براین بود که پس از مرگ پدر، پسر بزرگتر وی «زن پدر» را به میراث می‌برد و اگر او را برای نکاح نمی‌پسندید، به دیگری می‌بخشید! و آیه ۱۹ از سوره شریفه نساء ناظر به همین کار ناپسند است که می‌فرماید:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ﴾

(ای کسانی که ایمان آورده‌اید بر شما حلال نیست که زنان را به میراث برید...) و در آیه ۲۲ از همین سوره به تأکید آمده است: «با زنانی که پدران آن‌ها را به ازدواج خود درآوردند، زناشویی نکنید، مگر آنچه پیش از این گذشت...».

سخن در معنای ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ۲۳]^(۲) است که مراد از آن چیست؟

برخی گفته‌اند معنایش اینست که: «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ فَدَعُوهُ فَهُوَ جَائِزٌ لَكُمْ» (مگر آنچه پیش از این گذشت که آن را واگذارید ولی برایتان جائز است)!! **أَمَّا أَبُو الْقَاسِمِ بَلْخِي** (از ائمه

۱- به کتاب «وندیداد» با توضیح آقای هاشم رضی (ج ۲، ص ۹۲۵ به بعد) نگاه کنید.

۲- این بخش از آیه، در آیه ۲۳ سوره نساء تکرار شده است ﴿أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

معتزله) به گزارش شیخ طبرسی گفته است که: این رأی بر خلاف «اجماع» بشمار می‌آید و در آئین اسلام سابقه ندارد. **قُطِرُبَ** (محمد بن مُستنیر) که از بزرگان نحو و شاگرد سبویه بوده گفته است معنای استثناء مزبور اینست که: «لَکِنَ مَا سَلَفَ فَاجْتَبِیْهُ وَدَعُوهُ» (ولی از آنچه پیش از این گذشت دوری گزینید و آن را رها سازید). این تفسیر نیز در خور آیه شریفه نیست هرچند برخی از مفسران چون **أَبِي السُّعُودِ** آن را پسندیده‌اند^(۱). زیرا هیچ معنایی را - جز تأکید برای **لَا تَنْکِحُوا** - افاده نمی‌کند و به قول اهل فن: «التَّاسِيسُ خَيْرٌ مِنَ التَّأْکِیدِ»!

راه حلّ مشکل، رجوع به قرآن و یافتن نظایر این استثناء است. در سوره شریفه **مَائِدَه** پس از آنکه حکم تحریم شکار در حال **إِحْرَام** را بیان می‌فرماید، در پی آن گوید: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ [المائدة: ۹۵] (آنچه را پیش از این گذشت، خدا عفو نمود). شبیه این تعبیر را در سوره **انفال** می‌یابیم که می‌فرماید: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ۳۸] (به کافران بگو: اگر (از کفر) باز ایستند، آنچه پیش از این گذشت مورد عفو قرار می‌گیرد). بنابراین می‌توان گفت که در استثنای ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ نیز همین معنا اراده شده که خطاب به **مُؤْمِنَان** می‌فرماید: «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذَلِكَ النَّكَاحِ فَإِنَّهُ مَعْفُوءٌ عَنْهُ!» (مگر آنچه از زناشویی مزبور در گذشته روی داد که عفو شده است). و البته تعبیر «عفو» نشان می‌دهد که این کار قبلاً هم ناپسند بوده و با اعلام تحریم از سوی قرآن زشتی آن آشکارتر شده است چنانکه در دنباله آیه مزبور می‌فرماید: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَنِحْشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (همانا آن عمل، زشتکاری و مایه خشم (خداوند) و بدراهی

۱- **أَبِي السُّعُودِ** در تفسیرش به عنوان «قول اول» می‌گوید: «مُفِيدٌ لِّلْمُبَالِغَةِ فِي التَّحْرِيمِ». سپس می‌افزاید که

این کلام به تعلیق بر محال می‌ماند!

است). چنین وصفی البتّه، ناپسندی ازدواج مزبور را قبل از تحریم قرآن کریم نیز نشان می‌دهد.

* * *

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ^ط وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾ رجوع به مسؤولان امور

این آیه شریفه کسانی را سرزنش نموده است که چون از اخبار ویژه‌ای آگاه می‌شدند، آن‌ها را در میان مردم پراکنده می‌کردند با آنکه لازم بود اخبار مزبور را به رسول خدا ﷺ و فرمانداران خودشان گزارش کنند. اما آیا اُولی الامر یا فرمانداران آنان چه کسانی بودند؟ این مسئله در میان مفسران محلّ اختلاف است و در تعیین مصدق اُولی- الامر، به تفاوت سخن گفته‌اند. در اینجا لازمست ابتدا درباره مفهوم اُولی الامر تحقیق کنیم سپس به تعیین مصداق آن‌ها پردازیم. اُولی الامری که در این آیه شریفه ذکر آن رفته، کسانی بودند که مسئولیت «امن» و «خوف» مسلمانان را برعهده داشتند چنانکه در آیه کریمه با «من بیائیه» کلمه امر توضیح داده شده است و می‌فرماید (أمرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ). پیدااست که چنین امری، از نوع احکام دینی و حلال و حرام نبوده است زیرا تبلیغ و انتشار احکام مزبور منع نشده ولی آیه شریفه از «إذاعه» یعنی انتشار اخبار امن و خوف در میان مردم نهی می‌کند. بنابراین، امر مورد بحث به اصطلاح زمان ما «امور نظامی» و اخبار مربوط به صلح و جنگ است. اینک باید دید که مرجع اخبار مذکور در صدر اسلام - غیر از پیامبر اکرم ﷺ - چه کسانی به‌شمار می‌آمدند؟ گروهی از مفسران قدیم آن‌ها را علماء و فقهای دانسته‌اند که با رسول خدا ﷺ ملازم بودند چنانکه حسن بصری و قتاده بن دعامة و زجاج و جزایشان براین قول رفته‌اند. برخی از مفسران اشعری مانند فخر رازی قول مزبور را تقویت نموده و گفته‌اند: آنچه وابسته به امن و

خوف است که ذکرش در آیه شریفه آمده، ویژه اخبارنظامی نیست تا به علماء مربوط نباشد بلکه شامل همه احکام تکلیفی می‌گردد چنانکه رازی می‌نویسد: «الْأَمْنُ وَالْخَوْفُ حَاصِلٌ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِبَابِ التَّكْلِيفِ»^(۱). ولی رأی وی با مفاد آیه شریفه نمی‌سازد زیرا چنانکه گفتیم آیه کریمه انتشار اخبارمزبور را منع می‌نماید و در صورتی که آن اخبار، احکام تکلیفی را بازگو می‌کردند، انتشار آن‌ها ممنوع نبود. بعضی از ائمه معترله چون ابوعلی جبائی گفته‌اند که مراد از فرمانداران، امرای سپاه بوده‌اند، نه علماء و فقهاء! چنانکه جبائی گفته است: «هَذَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ أَوْلَى الْأَمْرِ مَنْ لَهُ الْأَمْرُ عَلَى النَّاسِ بِوِلَايَةٍ»^(۲). یعنی: «این سخن (که مراد از فرمانداران، علماء هستند) روا نیست زیرا اولی الامر کسانی هستند که از فرمانروایی و ولایت بر مردم برخوردارند (و در روزگار پیامبر ﷺ علماء چنین مقامی نداشتند)».

از مفسران شیعی، صاحب تفسیر «المیزان» نیز این قول را نپسندیده است که مراد از فرمانداران، علماء باشند و در اینباره می‌نویسد: «إِنَّمَا خَبَرْتُهُمْ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَمَوْرِدُ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾ هِيَ الْأَخْبَارُ الَّتِي هِيَ أَعْرَاقُ سِيَاسِيَّةٍ»^(۳) (آگاهی و تخصص علماء در فقه و حدیث و امثال اینهاست ولی آیه شریفه در مورد أمن و خوف آمده و به اخباری که رگه‌های سیاسی دارند مربوط می‌شود).

نظر مذکور صحیح است زیرا چنانکه گفتیم آیه کریمه از اذاعه (یا انتشار) اخبار مزبور نهی فرموده است و این موضوع با اخبارنظامی یا صلح و جنگ مناسبت دارد، نه با مسائل فقهی. بنابراین، اولی الامر در این آیه شریفه همان فرماندهان سپاه و والیان عصر رسول اکرم ﷺ بودند. اما صاحب تفسیر «المیزان» این رأی را نپذیرفته و فرمانداران را «امامان

۱- به تفسیر مفاتیح الغیب، ج ۳، ص ۲۷۱ نگاه کنید.

۲- به تفسیر التبیان، اثر شیخ طوسی، ج ۱، ص ۴۵۳ بنگرید.

۳- تفسیر المیزان، ج ۳، ص ۲۰ بنگرید.

معصوم» می‌شمرد. ولی اولاً همه امامان علیهم‌السلام در روزگار رسول خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم حضور نداشتند تا بنا به مفاد آیه شریفه جای ملامت از افراد باشد که چرا به امامان علیهم‌السلام رجوع نکردند؟! و جز امام علی علیه‌السلام کسی از ائمه علیهم‌السلام با رسول اکرم صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم معاصر نبود و حسین علیه‌السلام نیز پس از هجرت رسول خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم زاده شدند و در زمان نزول این سوره (نساء) کودک بودند و در امور سیاسی و نظامی، مرجع مردم شمرده نمی‌شدند. ثانیاً امامان اهل بیت علیهم‌السلام غالباً در تقیه به سر می‌بردند و گاهی (همچون موسی بن جعفر علیه‌السلام) گرفتار زندان بودند و مرجع امور نظامی و سیاسی و امن و خوف قرار نمی‌گرفتند ولی آیه شریفه از جمعی سخن می‌گوید که امور مردم را برعهده داشتند و آنان در عصر رسول خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم به گواهی تاریخ جز فرمانداران سپاه و والیان شهرها کسی نبود و البته امام علی علیه‌السلام هم یکی از آنان بلکه سرآمدشان به شمار می‌آمد.

* * *

نکاتی از سوره مائده

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ۗ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾

طهارت اهل کتاب

در این آیه شریفه، طعام اهل کتاب برای مسلمانان حلال شده و طعام مسلمین نیز برای اهل کتاب حلال گشته است. یعنی مسلمانان اجازه دارند اهل کتاب را به میهمانی دعوت کنند یا ضیافت ایشان را بپذیرند. اینک باید تحقیق کرد که مقصود از «طعام» در آیه مزبور چیست و آیا همه خوردنیها را دربردارد یا غذای مخصوصی از آن، اراده شده است؟ فقیه نامدار امامیه، احمد بن محمد مشهور به مقدس اردبیلی در کتاب «زُبْدَةُ الْبَيَانِ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ» در تفسیر این آیه می‌نویسد: «فَقَوْلُهُ تَعَالَى «طَعَامُهُمْ حِلٌّ لَكُمْ» يُرَادُ بِهِ الْحُبُوبُ»^(۱). چنانکه ملاحظه می‌شود مرحوم مقدس اردبیلی «طعام» را به معنای «حُبُوب» یعنی دانه‌های غذایی همچون گندم و جو و غیره تفسیر نموده است (ضمناً در نقل آیه کریمه دچار خطا شده). دانشمند و فقیه دیگری از امامیه، به نام مقداد بن عبدالله سیوری مشهور به فاضل مقداد نیز در کتاب «كَنْزُ الْعِرْفَانِ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ» همین قول را از امامیه گزارش نموده می‌نویسد: «وَأَمَّا أَصْحَابُنَا فَحَمَلُوا الطَّعَامَ هَيْهِنَا عَلَى الْحُبُوبِ وَشَبَّهَهَا مِنَ الْجَامِدَاتِ»^(۲). یعنی: «أَمَّا يَارَانِ مَا، طَعَامَ رَا دَرَايِنَجَا بَر دَانِه‌هَي غِذَائِي وَ مَا نَدَ آن‌هَا از مواد جامد، حمل نموده‌اند».

۱- به زبده البيان، كتاب الطهارة، ص ۳۹ نگاه كنيد.

۲- به كنز العرفان، ج ۲، كتاب المطاعم و المشارب، ص ۳۱۱ بنگريد.

در معاجم لغت عربی نیز می‌خوانیم که اهل حجاز، واژهٔ طعام را برای مطلق اغذیه و مخصوصاً در مورد «گندم» به کار می‌بردند چنانکه جوهری در کتاب «صِحَاحُ اللُّغَةِ» آورده است: «الطَّعَامُ: مَا يُؤْكَلُ وَرَبِّهَا خُصَّ بِالطَّعَامِ الْبُرِّ»^(۱) (طعام، شامل چیزهای خوردنی می‌شود و چه بسا در مواردی، مخصوص گندم است).

با وجود این‌ها باید انصاف داد که طعام در آیهٔ کریمه به معنای عام خود (مَا يُؤْكَلُ) به کار رفته است همانگونه که در برخی از آیات ملاحظه می‌شود مانند: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ [آل عمران: ۹۳] (هر خوراکی بر بنی اسرائیل حلال بود مگر آنچه که اسرائیل پیش از نزول تورات بر خود حرام کرد). حتی لفظ طعام در قرآن برای غذاهای گوشتی نیز استعمال شده است چنانکه خدایتعالی به بنی اسرائیل می‌فرماید: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ...﴾ [البقرة: ۶۱] (زمانی را به یاد آرید که گفتید ای موسی ما هرگز بر غذایی یکنواخت شکیبایی نمی‌ورزیم) و مقصود بنی اسرائیل از «طعام واحد» غذایی مرکب از «مَن» و «سَلْوَى» (یعنی مرغ بریان) بود به طوری که در آیهٔ ۵۷ از سورهٔ شریفهٔ بقره آمده است: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى﴾.

اما دلیل برآنکه در آیهٔ مورد بحث، واژهٔ «طعام» به «حُبُوب» اختصاص ندارد اینست که لفظ طعام، دو بار در آیهٔ مزبور آمده و بار دوم می‌فرماید: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ یعنی: «طعام شما مسلمانان نیز برای اهل کتاب حلال است» از طرفی تردید نیست که مسلمین اجازه دارند علاوه بر حبوب، انواع غذاهای خود را - پخته و ناپخته - به اهل کتاب بفروشند یا هدیه دهند. همچنین باید توجه داشت که اگر مراد از «طعام» گندم و جو... بود، حلال بودن آن‌ها به اهل کتاب اختصاص نداشت، مگر شرعاً نمی‌توان گندم و جو را

۱- به مختار الصحاح، ص ۲۳۶ نگاه کنید.

به غیر اهل کتاب فروخت یا بخشید؟ از این‌ها گذشته، از سیاق آیه کریمه یعنی ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ...﴾ فهمیده می‌شود که قرآن کریم در مقام انعام و امتنان، سخنان مزبور را به میان آورده و این امر، با محدود ساختن غذا به گندم و جو... منافات دارد. اما مقدس اردبیلی هرچند در بخش طهارت از کتاب خود، طعام را به معنای حبوب دانسته ولی در بخش «أطعمه و أشربه» از همان کتاب گوید: «وَقِيلَ الْمُرَادُ أَعْمٌ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ فَكُلُّ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ طَعْمُهُمْ فَهُوَ حِلٌّ مَا لَمْ يُعْلَمْ تَحْرِيمُهُ مِنْ دَلِيلٍ مِثْلِ الْمَغْضُوبِ وَالنَّجِسِ وَهَذَا الْقَوْلُ غَيْرُ بَعِيدٍ لِأَنَّهُ الْمُبَادِرُ فَيَنْبَغِي الْحَمْلُ عَلَيْهِ»^(۱). یعنی: «و گفته شده که مراد از طعام، اعم از حبوب است چنانکه از ظاهر آیه برمی‌آید. پس هرچیزی که صدق طعام کند، حلال است مگر حرمتش با دلیلی جداگانه معلوم شود مانند اینکه غذایی غصبی یا نجس باشد. و این قول بعید نیست زیرا متبادر به ذهن است و جادارد که آیه بر آن حمل شود».

فاضل مقداد نیز در پایان بحث خود در بخش «مطاعم و مشارب» به همین نتیجه

رسیده است و می‌نویسد:

«إِنَّ عِنْدِي فِي كَلَامِ الْأَصْحَابِ إِشْكَالًا تَقْرِيرُهُ: أَنَّ الْحُبُوبَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْجَامِدَاتِ دَاخِلَةٌ فِي الطَّيِّبَاتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ وَعَطْفُ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ نَصُّ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِلَّا لِئِنَّكَ أَوْ فَضِيلَةَ كَعَطْفِ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ. فَأَيُّ نَكْتَةٍ هَذَا اقْتَضَتْ الْإِخْرَاجَ وَالْعَطْفَ عَلَى قَوْلِكُمْ^(۲)!؟»

یعنی: «نزد من در مورد سخن اصحاب (فقهای امامیه) اشکالی هست و تقریرش چنین است که: حبوب و غیر آن از مواد غذایی همگی در کلمه «طیبات» داخل هستند در آنجا که خداوند می‌فرماید (امروز، طیبات برای شما حلال شده است) بنابراین لزومی نداشته که

۱- به زبدة البیان، کتاب المطاعم و المشارب، ص ۶۳۴ نگاه کنید.

۲- به کنز العرفان، ج ۲، ص ۳۱۲ نگاه کنید.

حَقَّتَعَالَى از حُبُّوبِ اهل کتابِ ذکری به میان آورد و اگر تصوّر شود که این امر از باب **عطف خاص بر عام** است، اهل بلاغت تصریح کرده‌اند که چنین عطفی جایز نیست مگر برای نکته‌ای یا فضیلتی - مانند فضیلت جبرئیل و میکائیل بر فرشتگان دیگر که در آیه ۹۸ از سوره بقره به عنوان عطف خاص بر عام آمده است - ولی در این امر که به قول شما، گندم اهل کتاب علاوه بر عموم طیبّات، بر مسلمین حلال شده! چه نکته‌ای وجود دارد که لازم آمده از طیبّات خارج گردد و به آن عطف شود؟!».

ملاحظه می‌کنید که **فاضل مقداد** نیز با این اشکال فنی، قول مشهور میان اصحاب را جدّاً به خطر افکنده است و لذا با اطمینان می‌توان گفت که مراد آیه شریفه، حلال بودن عموم غذاهای اهل کتاب برای مسلمانان است، نه خصوص گندم یا جو. «إِلَّا مَا أَخْرَجَهُ الدَّلِيلُ»^(۱) (چنانکه در سخن مقدّس اردبیلی گذشت). و از اینجا بدین نتیجه می‌رسیم که اهل کتاب، ذاتاً نجس نیستند (برخلاف قول مشهور) زیرا در گذشته اهل کتاب، مانند سایرین بیشتر غذاها را با دست می‌شستند و پخت و پز می‌کردند و در صورتی که ایشان

ذاتاً ناپاک بودند، طعام آن‌ها بر مسلمانان حلال نبود. این مسئله، امروز نیز از مسائل قابل توجه است که اگر اهل کتاب را ناپاک پنداریم دچار **عُسر و حَرَج** شدیدی خواهیم شد و به ویژه برای مسلمانانی که در مغرب زمین زندگی می‌کنند مشکلات فراوانی به بار می‌آید ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ۷۸]^(۲).

علاوه بر این، در آیه شریفه، نکاح با زنان پاکدامن اهل کتاب نیز به مسلمانان اجازه داده شده «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» و اگر قرار باشد که زنان مزبور ذاتاً ناپاک باشند، زندگی کردن با همسری که همواره نجس است بی‌شکّ مایه عُسر و

۱- مانند گوشت خوک و مُردار و شراب که به نصّ قرآن کریم تحریم شده است.

۲- و خدا بر شما در دین حرج قرار نداد.

خَرَجَ خواهد بود. پس طهارت اهل کتاب از دیدگاه قرآن کریم امری مسلّم است. در اینجا شبهه‌ای پیش آمده که قرآن کریم (درسوره توبه، آیه ۲۸) می‌فرماید: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (جز این نیست که مشرکان، پلیدند) و اهل کتاب، عقایدشان به شرک آلوده شده لذا پاک شمرده نمی‌شوند! ولی این سخن، استوار نیست زیرا مراد از «المشركون» در آیه شریفه، بت پرستانند، به قرینه آنکه در پی جمله مذکور می‌فرماید: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (پس به مسجد الحرام بعد از امسالشان نزدیک نشوند). ولی اهل کتاب را با مسجد الحرام کاری نبود و آن را محترم نمی‌شمردند و قبلاً هم بدانجا نمی‌آمدند و قبله ایشان در سرزمین فلسطین بود و بت پرستان به مسجد الحرام رفت و آمد می‌کردند.^(۱) به‌علاوه، در نجاست مشرکان اختلاف است که آیا مراد از آن، پلیدی ظاهری است؟ یا باطنی نظیر آنچه فرمود: ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [یونس: ۱۰۰] یعنی: «خداوند) پلیدی را بر کسانی می‌نهد که عقل را به‌کار نمی‌برند».

* * *

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ کشتن یکتن برابر با کشتن همه مردم!

چرا به گفته قرآن مجید، هرکس بی‌گناهی را بکشد چنانست که همه مردم را کشته باشد و چون کسی را از مرگ نجات دهد همانند نجات همه مردم است؟! خدای سبحان که در کلام خود، غلو و افراط را روا نمی‌دارد پس مقصود از آیه کریمه چیست؟ مفسران

۱- در قرآن مجید «المشركين» به كفار اهل کتاب عطف شده است مانند ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ...﴾ - ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ...﴾ و امثال این‌ها) و معطوف غیراز معطوف علیّه است.

سَلَف و خَلَف در اینباره آراء گوناگونی اظهار داشته‌اند. در تفسیر مجمع‌البیان از قول عبدالله بن عباس روایت شده که در معنای آیه شریفه گفت: یعنی «إِنَّ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا عَدَلَ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»^(۱) (مراد آنست که هرکس پیامبری یا پیشوای دادگری را بکشد بکشد چنانست که همه مردم را کشته باشد). این قول با ظاهر آیه شریفه نمی‌سازد زیرا از عموم (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا) خصوصِ قتل پیامبر و امام بر نمی‌آید. قول دیگر از آن ابوعلی جبائی و عبدالجبار همدانی (از معتزلی‌ها) است چنانکه در کتاب «تنزیه القرآن عن المطاعن» قاضی عبدالجبار نوشته است: «أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ يُقْتَدَى بِهِ وَيُسَهَّلُ سَبِيلَ الْقَتْلِ لِغَيْرِهِ»^(۲) عَظُمَ إِثْمُهُ كَمَا قَالَ ﷺ: مَنْ سَنَّ سُنَّةَ سَيِّئَةٍ فَعَلَيْهِ وَرُزُّهَا وَوَزُرُّ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(۳) (از آنروکه شخص قاتل، سرمشق سایرین قرار می‌گیرد و راه کشتن را برای دیگران آسان می‌سازد، گناهش بزرگ شمرده می‌شود چنانکه رسول خدا ﷺ فرمود: هرکس سنت بدی را پایه گذاری کند، گناه آن و گناه کسانی که تا روز رستاخیز بدان عمل می‌کنند، برعهده او است). این قول هرچند از رأی نخستین بهتر به نظر می‌رسد ولی تنها با بنیانگذار قتل (یعنی پسر آدم ﷺ) که برادرش را کشت) تطبیق می‌شود. به علاوه، نسبت به قتل‌های پنهان که کسی (جز خدا) از آنها آگاه نشده تا سرمشق قرار گیرد، شمول ندارد و با عمومیت آیه کریمه موافق نیست.

قول دیگر را ابوجعفر طبری در تفسیرش از ابن زید نقل کرده که وی گفته است: «يَجِبُ عَلَيْهِ الْقَتْلُ مِثْلُ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»^(۴). (کشتن قاتل یکتا، همانگونه واجب است که وی همه مردم را کشته باشد). در اینجا ابن زید از قصاص مُشابهه درباره کسی که

۱- مجمع‌البیان، ج ۲، ص ۸۱

۲- در تنزیه القرآن به جای «لِغَيْرِهِ» کلمه «و غَيْرِهِ» آمده که درست نیست.

۳- تنزیه القرآن عن المطاعن، ص ۱۱۶.

۴- جامع‌البیان، ج ۸، ص ۳۵۴.

یکتن یا همه را کشته باشد سخن گفته ولی قرآن کریم در این آیه از قصاص بحثی ندارد و ماهیت عمل را در قتل فردی و جمعی، مشابه می‌شمارد و آیندو امر با یکدیگر تفاوت دارند. تفسیر ابن زید شبیه رأی مجاهد است که کیفر مشابه آخروی را در مورد قتل فردی و جمعی، مطرح نموده و گفته است: «لَوْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا كَانَ جَزَاءُهُ جَهَنَّمَ...»^(۱) (اگر کشته‌ی یکتن، همه‌مردم را هم کشته باشد باز کیفر او دوزخ خواهد بود!) به نظر می‌رسد که مفسران جدید، از قدماء به تفسیر صحیح آیه شریفه نزدیک‌تر شده‌اند و دقت بیشتری در فهم آیه نموده‌اند. در تفسر مشهور «المنار» که بر سایر تفاسیر در عصر جدید تقدم دارد، در برابر این سؤال که چرا قتل یکتن با قتل همگان مقایسه شده؟ می‌نویسد: «لِأَنَّ الْوَاحِدَ يُمَثَّلُ النَّوعِ فِي جُمْلَتِهِ فَمَنْ اسْتَحَلَّ دَمَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ يَسْتَحِلُّ دَمَ كُلِّ وَاحِدٍ كَذَلِكَ»^(۲) (زیرا که فرد انسانی نماینده نوع بشر است بنابراین، کسی که خون فرد بی‌گناهی را به ناحق حلال شمارد، خون هر بی‌گناهی را نیز حلال خواهد شمرد). تفسیر «المیزان» و «فی ظلال القرآن» هم بر این قول رفته‌اند و سخنانی نزدیک به آن را آورده‌اند.

سخن این مفسران را باید توضیح داد تا مطلب روشن‌تر گردد. معلوم است قاتلی که فرد بی‌گناهی را می‌کشد، قصد انتقام گرفتن از وی را ندارد (زیرا ستمی در حق او روا نداشته) بلکه اغراض خاصی، قاتل را به این جنایت برانگیخته است پس اگر قاتل مزبور، با هرانسان بی‌گناه دیگری روبرو شود و همان اغراض در میان آید، قصد کشتن وی را نیز خواهد کرد. به همین قیاس، چنانچه مثلاً شخصی ملاحظه کند که فرد ناشناسی در رودی خروشان افتاده و در معرض هلاکت قرار دارد. آنگاه همت بر نجات وی بر بندد و او را از مرگ رهایی دهد، البته در صورتی که شخص دیگری را به چنان حالی ملاحظه کند، از نجات وی نیز دریغ نخواهد ورزید. بنابراین عمل آن نجات دهنده، ارزش عمومی دارد و

۱- جامع البیان، ج ۸، ص ۳۵۱.

۲- تفسیر المنار، ج ۶، ص ۳۹۹.

محدود به فرد خاص و معینی نیست. مفسران جدید، این معنی را بدرستی دریافته‌اند و از اینجا معلوم می‌شود که قرآن کریم - قرن‌ها پیش از این - برای نشان دادن زشتی «قتل نفس» و اهمیّت «نجات جان انسان» بر چه نکته روانشناختی و ظریفی تکیه نموده که حتی بسیاری از دانشمندان و مفسران از درک آن ناتوان مانده‌اند!

* * *

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

رَاكِعُونَ ﴿۱۰۰﴾ ولایت مؤمنان بر یکدیگر

در میان شیعه امامیه شهرت دارد که آیه شریفه فوق، درباره انفاق علی علیه السلام در رکوع نماز نازل شده است. ولی متأسفانه روایات این موضوع، خالی از اختلاف و اشکال نیست. مثلاً در روایت محمدبن مسعود عیاشی آمده که علی علیه السلام نماز نافله می‌خواند «وَهُوَ رَاكِعٌ فِي صَلَاةٍ تَطَوُّعٍ»^(۱) و در روایت محمد بن یعقوب کلینی آمده که امام علیه السلام در رکعت دوم از نماز ظهر بود «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ علیه السلام فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ وَقَدْ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ»^(۲). باز در روایت عیاشی می‌خوانیم که علی علیه السلام انگشتی خود را به سائل بخشید «فَنَزَعَ خَاتَمَهُ فَأَعْطَاهُ السَّائِلَ»^(۳) ولی در روایت کلینی آمده است که حضرتش جامه خویش را بدو بخشید «فَطَرَحَ الْحُلَّةَ إِلَيْهِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَيْهِ أَنْ أَحْمِلَهَا»^(۴). در همین روایت آمده که جامه مزبور

۱- تفسیر عیاشی، ج ۱، ص ۳۲۷.

۲- الأصول من الکافی، ج ۱، ص ۲۸۹.

۳- تفسیر عیاشی، ج ۱، ص ۳۲۷.

۴- الأصول من الکافی، ج ۱، ص ۲۸۹.

هزار دینار قیمت داشت «عَلَيْهِ حُلَّةٌ قِيَمَتُهَا أَلْفُ دِينَارٍ»^(۱) و بعید است که امام علی علیه السلام با آن زهد و پارسایی جامه هزار دیناری بر تن داشته باشد. در تفسیر «المیزان» به روایت از ابن عباس آورده که انگشتری علی علیه السلام از طلا بود! «خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ»^(۲) و در مذهب امامیه مسلم شده که انگشتری طلا به دست کردن برای مردان جایز نیست. بنابراین، روایات مزبور از خطا و غلط مصون نمانده است. باینهمه می توان پذیرفت که امام علیه السلام از مصادیق درجه اول و روشن این آیه کریمه باشد (به طوری که خواهد آمد).

محمد بن جریر طبری در تفسیرش به سند خود ذیل همین آیه از امام أبوجعفر باقر علیه السلام گزارش نموده که به ایشان گفته شد: «مَنْ الَّذِينَ آمَنُوا؟ قَالَ: الَّذِينَ آمَنُوا. قِيلَ بَلَّغْنَا إِيَّاهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» (مراد از الَّذِينَ آمَنُوا در این آیه کیست؟ فرمود: مؤمنانند! گفته شد به ما رسیده که این آیه در حق علی بن ابی طالب نازل شده است). امام باقر علیه السلام در پاسخ فرمود: «عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا»^(۳) (علی بن ابی طالب از مؤمنان است). یعنی آیه شریفه از مؤمنان سخن می گوید و علی علیه السلام هم از مؤمنان شمرده می شود و آیه کریمه در عین عمومیت شامل آن حضرت نیز می گردد.

أما در مقام تفسیر و تدبر در آیه شریفه، به چند نکته باید توجه داشت.

اول آنکه اسم موصول (الَّذِينَ) و افعال و ضمائر آیه به لفظ جمع آمده است «يُؤْتُونَ» - «يُؤْتُونَ» - «هُمْ» - «رَاكِعُونَ» و حمل جمع بر مفرد، خلاف اصل به شمار می آید و قرینه روشن لازم دارد و اگر چنین کاری صورت گیرد برای نکته ای است که در کلام لازم آید. شیخ طبرسی در «مجمع البیان» گوید آیه شریفه در خصوص علی علیه السلام نازل شده و علت آنکه به لفظ جمع آمده اینکار بر سبیل تفخیم و بزرگداشت صورت گرفته است. وی

۱- همان مدرک.

۲- تفسیر المیزان، ج ۶، ص ۲۲.

۳- تفسیر طبری، ج ۸، ص ۵۳۱.

می‌نویسد: «وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ قَدْ يَعْبُرُونَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ عَنِ الْوَاحِدِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ»^(۱). ولی مقام آیه شریفه، مقام تعظیم نیست زیرا در آن صورت به جای «رَسُولُهُ» در آیه کریمه، لفظ «رَسُولُهُ» را ذکر می‌فرمود که بزرگداشت رسول خدا ﷺ بیش از تعظیم علی ﷺ لازم می‌آمد. و اگر گفته شود که با لفظ «رَسُول» تجلیل و بزرگداشت همراه است و نیاز به جمع بستن آن نیست. گوییم با لفظ «مُؤْمِن» نیز تشریف و تجلیل وجود دارد پس لازم نبود که به لفظ جمع آید. به نظر من نکته درست را زمخشری در تفسیر «كشاف» دریافته است و می‌نویسد: «جِيءَ بِهِ عَلَى لَفْظِ الْجَمْعِ وَإِنْ كَانَ السَّبَبُ فِيهِ رَجُلًا وَاحِدًا لِيَرَعَبَ النَّاسُ فِي مِثْلِ فِعْلِهِ»^(۲) (آیه بر لفظ جمع آمده هرچند سبب نزول آن یکتا - علی ﷺ - بوده است تا مردم در عمل به نظیر کار وی رغبت بندند). بنابراینچه زمخشری گفته: سبب نزول آیه، دلیل نمی‌شود که الفاظ آیه شریفه شکل عام به خود نگیرد و خصوصی شود زیرا قرآن کریم برای هدایت عموم نازل شده است. ازاینرو ملاحظه می‌کنیم که عمل علی ﷺ قبل از نزول آیه، صورت پذیرفته ولی لفظ آیه شریفه به صورت أفعال مضارع آمده «يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» نه ماضی! و تمام کسانی را که بدان عمل تاسی کنند دربرمی‌گیرد. در اینجا مشکلی وجود دارد که اگر علی ﷺ در حال رکوع، انگشتی یا جامه‌ای را به فقیر بخشیده باشد، آیا لازم است که همه مؤمنان در حال رکوع نمازشان بدینکار اقدام کنند؟! البته پاسخ، منفی است و چنانکه گفتیم لازم نیست الفاظ آیه شریفه عیناً با سبب نزول آن منطبق باشد زیرا در نزول آیات، به مقاصد کلی و وسیعتری عنایت شده است و لذا برخی از مفسران جمله «وَهُمْ رَاكِعُونَ» را جمله حالیه برای «يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» دانسته‌اند (نه يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) که به جمله مذکور نزدیکتر است و گفته‌اند: «الأقربُ يَمْنَعُ الأبعد». با این توضیح که اصطلاحاً رکوع در نماز، همان خم شدن به شمار می‌آید

۱- مجمع البیان، ج ۶، ص ۱۲۹.

۲- كشاف، ج ۱، ص ۶۴۹.

ولی رکوع در زکوة، انفاق به همراه خضوع است چرا که «رکوع» در اصل لغت به معنای «خضوع» می‌آید همانگونه که در «لسان العرب» اثر ابن منظور می‌خوانیم (الرُّكُوعُ: الخُضُوعُ)^(۱) و در قرآن کریم نیز آمده است: ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا﴾ [ص: ۲۴] یعنی: «خاضعانه به زمین افتاد». قرآن مجید در سوره توبه نسبت به منافقان می‌فرماید: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ۵۴] یعنی: «انفاق نمی‌کنند مگر درحالی که ایشان کراهت دارند» و درباره مؤمنان برعکس منافقان می‌فرماید: ﴿يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ۶۰] یعنی: «می‌دهند آنچه داده‌اند درحالی که دل‌هایشان ترسان است» در آیه مورد بحث نیز می‌فرماید: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ یعنی «زکات می‌دهند درحالی که خاضعند». به هر صورت، آیه شریفه مفهوم وسیعی را دربر دارد و ولایت عام مؤمنان را بر یکدیگر می‌رساند چنانکه در سوره شریفه توبه فرمود: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ۷۱] یعنی «مردان و زنان با ایمان، یاوران یکدیگرند». و این معنا منافی با آن نیست که سبب نزول آیه کریمه، انفاق امام علی علیه السلام در راه خدا باشد که الحق مصداق کامل آیه قرآنی بوده است و انکار همه روایاتی که در این باره آمده - چنانکه بعضی بر آن رفته‌اند - ناموجه است.

* * *

﴿يَوْمَ تَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ﴾

﴿۱۱﴾ پاسخ پیامبران در روز رستاخیز

این آیه کریمه نشان می‌دهد که خداوند سبحان در روز رستاخیز همه پیامبران خود را گرد می‌آورد و از ایشان می‌پرسد: مردم دعوت شما را چگونه اجابت نمودند؟ پیامبران

۱- لسان العرب، ج ۸، ص ۱۳۳.

ﷺ در پاسخ می‌گویند: ﴿لَا عَلِمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (مارادراینباره دانشی نیست تویی که خود از همه امور پنهانی کاملاً آگاهی). در اینجا رسولان خدا از پاسخ پرسش خداوند، اظهار بی اطلاعی می‌کنند. بنابراین لازمست پرسش خداوند را پی گیریم و معنای آن را بهتر دریابیم تا به علت ناآگاهی رسولان از پاسخ به پرسش مزبور پی ببریم. سؤال **ماذا أُجِبْتُمْ؟** یک پرسش عام و فراگیر به شمار می‌آید. یعنی ای رسولان من، عموم کسانی که در دنیا دعوت شمارا دریافتند، چه واکنشی از ایمان و کفر و طاعت و معصیت در برابر آن نشان دادند و در باطن هرکس چه گذشت؟ به علاوه، کسانی که پس از وفات شما با آن دعوتها روبرو شدند، چگونه بدانها پاسخ دادند؟ این پرسش وسیع با آگاهی از نیت مردم و احوال شخصی آنان به ویژه با احوال آیندگان، پیوند دارد و علم و احاطه بر آن‌ها، مخصوص ذات احدیت - تعالی شأنه - است از اینرو پیامبران حق، پس از نفی آگاهی خود از این امور پنهانی، با تأکید و به صورت حصر می‌گویند: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (همانا تنها تو هستی که بر همه پنهانی‌ها آگاهی کامل داری).

أما بیشتر مفسران - بی توجه به وسعت سؤال خداوند - گمان کرده‌اند که چون پیامبران ﷺ مدتی در میان مردم زیسته‌اند و شاهد حوادثی در روزگار خود بوده‌اند، نباید در برابر سؤال حقتعالی، سخن از **لا علم لنا** به میان آورند و لذا هرکدام به توجیه و تأویلی دست آویخته‌اند تا نفی را به اثبات مبدل سازند و از **لا علم لنا** معنای **إن لنا علماً** را بدر آورند! از مفسران قدیم، **حسن بصری** و **مجاهد** گفته‌اند که پیامبران ﷺ از ترس روز رستخیز، علم و آگاهی خود را موقتاً از دست می‌دهند و به قول **مجاهد**: «فَيَفْرَعُونَ، فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ؟ قَالُوا: لَا عِلْمَ لَنَا»^(۱) (پیامبران می‌ترسند، پس خدایتعالی می‌پرسد: چگونه به شما پاسخ داده شد؟ گویند: ما را دانشی نیست). غافل از آنکه خداوند - **جَلَّ ذِكْرُهُ** - در

۱- تفسیر جامع البیان، ج ۹، ص ۱۱۱.

قرآن کریم اعلام فرموده که نیکوکاران از ترس روزرستاخیز مصون خواهند بود چنانکه می‌فرماید: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعِ يَوْمِئِذٍ مُّؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ۸۹] (هرکس کردار نیکو آورد، پاداش بهتری دارد و ایشان در آنروز از ترس ایمن خواهند بود). اساساً خدای سبحان در کتابش خبر داده است که مردم پاک در همان لحظه قبض روح، مژده ورود به بهشت را از فرشتگان خدا دریافت می‌دارند، بنابراین دیگر جای ترس و وحشت برای ایشان باقی نمی‌ماند چنانکه می‌فرماید: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ۳۲] (کسانی که فرشتگان، قبض روحشان می‌کنند درحالی که افراد پاکی هستند، فرشتگان بدانها گویند: درود بر شما باد، به سبب اعمالی که می‌کردید به بهشت درآید). پس چه معنا دارد که ادعا کنیم پیامبران نیکوکار و پاک خداوند، در روز معاد از وحشت و هراس به فراموشی می‌افتند و لا علم لنا می‌گویند؟!

برخی دیگر از اصحاب تفسیر، به «حذف و تقدیر» در آیه شریفه قائل شده‌اند که برخلاف اصل است و بدون قرینه واضح در کلام، نتوان آن را پذیرفت چنانکه در مجمع البیان، به روایتی از ابن عباس گزارش شده که گفت: «إِنَّ الْمُرَادَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»^(۱) (مراد آنست که ما را در اینباره دانشی نیست جز آنچه که تو به ما آموختی!) و معلوم نیست برای چه نکته بلاغی، استثنای آیه حذف شده است!

از مفسران معاصر، برخی اظهار این سخن را از سوی پیامبران به «رعایت ادب حضور»^(۲) و «طریق تأدب»^(۳) حمل نموده‌اند. ولی رعایت ادب، اقتضا ندارد تا پیامبران پاک با داشتن علم، از خود نفی علم کنند که معاذ الله به کذب می‌انجامد بلکه مقتضی

۱- مجمع البیان، ج ۶، ص ۲۳۰.

۲- تفسیر المیزان، ج ۶، ص ۲۱۶.

۳- تفسیر استاد زحیلی (التفسیر المنیر) ج ۷، ص ۱۰۷.

است عرض کنند «اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِمِنَّا» (خداوندا تو از ما به اجابت مردم آگاهتری) چنانکه در حدیث مشهور آمده که رسول خدا ﷺ از یاران خود پرسید: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» (آیا می‌دانید که غیبت چیست؟) اصحاب، اظهار ادب نموده عرض کردند: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ» (خدا و رسولش بهتر می‌دانند) و نگفتند: هیچ نمی‌دانیم (لا عِلْمَ لَنَا)

برای حلّ نهایی مسئله، بنا بر روش همیشگی باید به خود قرآن کریم بازگردیم. در پس آیه مورد بحث از سوره شریفه مائده، خدایتعالی از عیسی بن مریم عَلَيْهِمَا السَّلَام یاد می‌کند و می‌فرماید که در روز رستاخیز از وی درباره امتش می‌پرسد و این از باب «ذکر خاص بعد از عام» محسوب می‌شود زیرا که اُمّت مسیح ﷺ بیش از سایر اُمم در حق پیامبرشان به غلو افتاده‌اند تا آنجا که گفتند: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (خدا همان مسیح پسر مریم است)! خدای سبحان از مسیح می‌پرسد که: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (آیا تو به مردم گفته‌ای که من و مادرم را غیر از خدا، دو معبود بشمار آرید؟! عیسی ﷺ این نسبت را از خود نفی می‌نماید و عرض می‌کند که: ﴿مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ۱۱۷] (جز این چیزی به مردم نگفتم که خدا را بندگی کنید که او صاحب اختیار من و شماست و بر ایشان گواه بودم تا زمانی که در میان آنان بصرمی‌بردم ولی چون مرا وفات دادی، تو بر آنها مراقب بودی و تو بر هر چیز گواهی). این آیه شریفه، جمله لا عِلْمَ لَنَا را تفسیر می‌کند و دلالت دارد بر اینکه پیامبر حق، پس از وفاتش از احوال اُمّت خود بی‌خبر است و مسئولیت این امر هم برعهده وی نیست. شهادت او، مقید به شرط حضورش در میان اُمّت است، برخلاف شهادت خدایتعالی که لا بشرط و مطلق شمرده می‌شود. پس چون

رسول حق در برابر این پرسش کلی و فراگیر قرارگیرد که: مردم دعوت شما را چگونه اجابت کردند؟ جایز است که بگوید: «لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ».

از اینجا به خطای برخی از مفسران معاصر می‌توان پی برد که گوید چون خدایتعالی، پیامبران را «گواهان بر خلق» قرار داده است بنابراین جمله «لَا عِلْمَ لَنَا» بر طریق ادب در پیشگاه پادشاه هستی گفته خواهد شد چنانکه می‌نویسد:

«لَا عِلْمَ لَنَا» جَزَى عَلَى الْأَدَبِ الْعُبُودِيِّ قِبَالَ الْمَلِكِ الْحَقِّ^(۱).

باید گفت: در صورتیکه گواهی انبیاء علیهم‌السلام را بر اُمتشان «مطلق» فرض کنیم با توجه به سخن مسیح علیه‌السلام که گوید: كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، لازم می‌آید که قاعده استوار «حمل مطلق بر مقید» را به فراموشی نسپاریم. علاوه بر این، قرآن کریم نشان می‌دهد که گواهی انبیاء در دنیا بر اُمت‌های خود، شهادت علنی و ظاهری بوده، نه باطنی! به دلیل آنکه نوح نبی علیه‌السلام اظهار داشته است: ﴿وَمَا^(۲) عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿۸۸﴾﴾ [الزخرف: ۸۸] إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿۸۹﴾﴾ [الشعراء: ۱۱۲-۱۱۳] (من چه دانشی به آنچه می‌کرده‌اند، دارم؟ حساب ایشان جز بر عهده خدای من نیست، اگر این امر را بفهمید!).

آری! انبیاء علیهم‌السلام آنچه را که در روزگار خود ملاحظه می‌کردند، هنگامی که مقتضی باشد در آخرت ابراز می‌دارند مثلاً پیامبر اکرم اسلام صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم در دنیا از کافران قومش به خدایتعالی شکایت می‌برد که: ﴿يَرْبِّ إِنَّ هَذَا قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿۸۸﴾﴾ [الزخرف: ۸۸] (خدای من، اینان قومی هستند که ایمان نمی‌آورند) و در آخرت هم به شیوه شکایت از کافران قریش، سخن خواهد گفت چنانکه می‌فرماید: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿۳۰﴾﴾ [الفرقان: ۳۰] (پیامبر گوید: خدای من، همانا قوم این

۱- تفسیر المیزان، ج ۶، ص ۲۱۶.

۲- کلمه «ما» در آیه شریفه یا «نافیه» است و یا «استفهامیه» که بر انکار دلالت دارد.

قرآن را مهجور قرار دادند). أمّا شکایت از دشمنان علنی با خبر داشتن از اعمال نهانی مردم و آینده اقوام تفاوت دارد و این علم ویژه حق تعالی است و پیامبران علیهم السلام جز لا علم لنا در برابر پرسش از آن، پاسخی ندارند چنانکه در آیه شریفه تصریح شده است.

* * *

نکاتی از سورهٔ أنعام

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾ ^(۱) به اشتباه

افکندن یا لباس پوشاندن؟!

در سورهٔ شریفهٔ انعام از قول کافران آمده که گفتند: لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ یعنی: چرا بر او (پیامبر) فرشته‌ای (آشکار) فرودستاده نشده است؟! خدایتعالی بدین ایراد، دو پاسخ در قرآن کریم داده است. یکی آنکه اگر فرشته‌ای فرستاده بودیم و بازهم ایشان ایمان نمی‌آوردند، مستحق هلاکت می‌شدند ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ ^(۲). پاسخ دوم همانست که در آیهٔ نهم از همین سوره می‌خوانیم و یکی از مترجمان مشهور آن را چنین ترجمه نموده است: «و چنانچه فرشته‌ای نیز به رسالت فرستیم هم او را به صورت بشری درآوریم و بر آنان همان لباس که مردمان پوشند بپوشانیم» ^(۱)! مترجم دیگر مرقوم داشته: «و اگر می‌گردانیدیم او را فرشته‌ای، هرآینه می‌گردانیدیم او را مردی و هرآینه می‌پوشانیدیم بر ایشان آنچه می‌پوشند» ^(۲)!

برخی از مفسران جدید نیز متأسفانه شبیه همین ترجمه را در تفسیر خود آورده و نوشته‌اند: و اگر او (پیامبر) را فرشته‌ای قرار می‌دادیم، او را به صورت مردی درمی‌آوردیم و همان لباسی را که مردم می‌پوشند بر آنان می‌پوشانیدیم» ^(۳)!

۱- به ترجمهٔ آقای الهی قمشه‌ای نگاه کنید.

۲- به ترجمهٔ آقای شیخ عباس مصباح زاده بنگرید.

۳- به تفسیر کاشف (اثر آقای محمدباقر حجّتی و آقای بی‌آزار شیرازی) ج ۳، ص ۲۸۰ نگاه کنید.

خطای این مترجمان از آنجا ناشی شده که فعل «لَبَسْنَا» را به جای «لَبَسْنَا» به فتح باء ترجمه کرده‌اند و لَبَسْنَا (که از مصدر لَبَس می‌آید) چون با کلمه «عَلَى» قرین شود معنای «خلط و اشتباه» می‌دهد، نه معنای جامه پوشاندن که مصدرش «لَبَس» به ضمّ اوّل بوده و در آیه شریفه نیامده است. ابن منظور در معجم «لسان العرب» می‌نویسد: اللَّبْسُ بِالضَّمِّ: مصدرٌ قولك لَبَسْتُ الثَّوبَ. و اللَّبْسُ بِالْفَتْحِ مصدرٌ قولك لَبَسْتُ عَلَيْهِ الأَمْرَ: خَلَطْتُ.^(۱)

و آنگاه (ابن منظور) آیه شریفه را چنین توضیح می‌دهد:

«كَانَ رُؤْسَاءُ الْكُفَّارِ يَلْبِسُونَ عَلَى ضَعْفَتِهِمْ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا هَلَّا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَكًا؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا فَرَأَوْهُ (يعني الملك) رَجُلًا لَكَانَ يَلْحَقُهُمْ فِيهِ مِنَ اللَّبْسِ مِثْلَ مَا لَحِقَ ضَعْفَتَهُمْ مِنْهُ»^(۲) (سران کفار امر پیامبر ﷺ را بر ضعفای خود مشتبه می‌کردند و می‌گفتند: چرا بر ما فرشته‌ای فرورستاده نشده است؟ خدایتعالی در پاسخ ایشان فرمود: و اگر فرشته‌ای فرورستاده بودیم و آن‌ها، فرشته مزبور را به صورت مردی می‌دیدند، نظیر همان اشتباه بدانان می‌رسید که به ضعفای ایشان رسیده است). یعنی باز هم کافران می‌گفتند: این مرد، بشری همانند ما است و فرشته نیست! بنابراین، جمله «لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ» را لازمست بدینصورت ترجمه کرد که: «بر ایشان همان اشتباهی را فراهم می‌آوردیم که هم اکنون در آن اشتباه هستند». پس سخن از جامه بر تن کردن در اینجا مطرح نیست که لزومی در گفتن آن نبوده است زیرا که اگر فرشته خداوند، به صورت مردی درآید و به سوی قومی فرستاده شود، البتّه با پیکر عریان نخواهد آمد! و ذکر اینکه «جامه مردمان بر تن وی می‌پوشانیم» سخنی حشو و زائد شمرده می‌شود و در خور کلام خداوند نیست.

۱- لسان العرب، ج ۶، ص ۲۰۲.

۲- لسان العرب، ج ۶، ص ۲۰۴.

باید اذعان نمود: نخستین کس از مترجمان جدید قرآن که این نکته را به خوبی دریافته، شادروان ابوالقاسم پاینده بوده است. وی در مقدمه زیبای خود بر ترجمه‌اش معنای صحیح «لَبَسَ» را یادآور شده و سپس مترجمانی چند بر شیوه او رفته‌اند و بحمد الله تعالی، آیه شریفه را بدرستی ترجمه کرده‌اند.

* * *

﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُوْنٰ مِنَ الْمُوْقِنِيْنَ ﴿۷۵﴾﴾

ملکوت آسمانها و زمین

در تفسیر آیاتی که از ابراهیم خلیل علیه السلام سخن می‌گویند، برخی از مفسران به اشتباهات غریبی دچار شده‌اند. از جمله آن‌ها، معنای مَلَكُوتِ آسمانها و زمین در سوره شریفه انعام است. واژه ملکوت که چهار مرتبه در قرآن کریم آمده به معنای مُلک یا پادشاهی و فرمانروایی است چنانکه ابن منظور در کتاب «لسان العرب» می‌نویسد: «مُلْكُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَكُوتُهُ: سُلْطَانُهُ وَعَظْمَتُهُ»^(۱) بنابراین ملکوت خداوند در آسمانها و زمین، فرمانروایی شکوهمند او بر کائنات، شمرده می‌شود که بر طبق آیه ۷۵ سوره انعام این فرمانروایی بر ابراهیم علیه السلام آشکار شد و او به یقین رسید. آیا شناختن ملکوت خدا برای دیگر مردمان نیز امکان‌پذیر است یا نه؟ قرآن کریم به این پرسش، پاسخی روشن می‌دهد و در آیه ۱۸۵ از سوره اعراف می‌فرماید: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُوْنَقَدْ أَقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ ۗ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُوْنَ ﴿۱۸۵﴾﴾ (آیا در فرمانروایی آسمانها و زمین و هرچه خدا آفریده است نگریستند و اینکه شاید سرآمد عمر ایشان نزدیک شده باشد؟ پس به کدامین سخن بعد از آن - قرآن - ایمان

۱- لسان العرب، ج ۱۰، ص ۴۹۲.

خواهند آورد؟). این آیه کریمه به وضوح دلالت دارد بر اینکه عموم مردم می‌توانند با نگاه عقلی در نظام آسمان و زمین، به فرمانروایی با شکوه آفریننده جهان پی ببرند و کاملاً روشن است که مراد از رؤیت و نظر، دیدار ظاهری نیست بلکه بینش باطنی و عقلی است. آیه ۷۵ از سوره شریفهٔ انعام، صورت **اجمالی** مشاهده و تفکر ابراهیم علیه السلام را برای شناخت فرمانروایی خداوند مطرح می‌سازد و سپس **اجمال** را به **تفصیل** می‌برد و نشان می‌دهد که ابراهیم علیه السلام چگونه با طلوع و افول ستاره و ماه و خورشید، به فرمانروای این نظام بدیع پی برد. ولی برخی از مفسران که با اعتماد به روایات ضعیف و حکایات عجیب، عادت به ورود در غرائب دارند، ملکوت خداوند را بدین معنا پنداشته‌اند که ابراهیم علیه السلام چندتن را مشاهده کرد که در پنهانی زنا می‌کنند! و آن‌ها را نفرین نموده روانهٔ دیار مرگ ساخت تا سرانجام خدای سبحان او را از این بدخواهی بازداشت! در تفسیر **المیزان** به نقل از تفسیر محمدبن مسعود **عیاشی** چنین آمده است: «لَمَّا رَأَى (إِبْرَاهِيمُ علیه السلام) مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ التَّفَتَّ فَرَأَى رَجُلًا يَزِي فَدَعَا عَلَيْهِ فَمَاتَ ثُمَّ رَأَى آخَرَ فَدَعَا عَلَيْهِ فَمَاتَ حَتَّى رَأَى ثَلَاثَةً فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَمَاتُوا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّ دَعْوَتَكَ مُجَابَةٌ فَلَا تَدْعُ عَلَى عِبَادِي فَإِنِّي لَوْ شِئْتُ لَمْ أَخْلُقْهُمْ» ^(۱) (چون ابراهیم علیه السلام ملکوت آسمانها و زمین را دید نگاه کرد و مردی را دید که زنا می‌کند پس وی را نفرین نمود و آن مرد به هلاکت رسید سپس مرد دیگری را دید پس او را هم نفرین نمود و هلاک شد تا آنجا که بر سه تن نفرین کرد و همگی مُردند! آنگاه خداوند بدو وحی کرد که ای ابراهیم، دعای تو اجابت می‌شود ولی بندگان مرا نفرین مکن که اگر می‌خواستیم، آنهارا نمی‌آفریدیم... تا آخر حدیث). تفسیر مذکور می‌خواهد این مفهوم را برساند که مراد از نظر در ملکوت آسمانها و زمین، رؤیت عموم اشیاء چه آشکار و چه پنهان است! و چنانکه ملاحظه شد این تفسیر با آیه ۱۸۵ سوره کریمهٔ اعراف نمی‌سازد و به علاوه، ارتباط آیه ۷۵ سورهٔ انعام

۱- تفسیر المیزان، ج ۷، مقایسه شود با تفسیر عیاشی، ج ۱، ص ۳۶۴.

با آیات بعد را به کلی انکار می‌نماید، همان آیاتی که از تفکر ابراهیم علیه السلام در اجرام سماوی برای دستیابی به معرفت خداوند و نفی شرک بحث می‌کند.

*

*

*

نکاتی از سورهٔ اعراف

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا﴾ عقیده به جبر یا تقلید از

پدران؟

زمخشری دربارهٔ تفسیر این آیه شریفه از قول حسن بصری آورده است که: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الْعَرَبِ وَهُمْ قَدَرِيَّةٌ مُجْرِيَّةٌ يُحْمِلُونَ ذُنُوبَهُمْ عَلَى اللَّهِ وَتَصَدِيقُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا»^(۱)...

یعنی: «خدایتعالی، محمد ﷺ را به سوی عرب فرستاد درحالی که ایشان عقیده به جبر داشتند و گناهان خود را به خدای سبحان نسبت می دادند و گواه درستی این معنا، آیه شریفه است که می فرماید: چون آنان به کارزشتی می پردازند گویند که پدرانمان را بر اینکار یافتیم و خدا ما را بدان امر کرده است!»

برخی از مفسران برجسته شیعه نیز در تفسیر آیه مزبور، بر همین رأی اعتماد نموده اند چنانکه شیخ ابوالفتوح رازی در تفسیرش می نویسد:

«وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا، و ما را خدای فرموده است. و این برای آن گفتند که ایشان مذهب جبری گفتندی. گفتند اگر خدایتعالی خواستی ما را بگردانیدی از این، و ما را اکراه کردی در خلاف این. فهدا معنی قوله: وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا. و این قول برابر قول مُجْبِرَان است»^(۲).

أما از پاسخی که خداوند - جَلَّ وَعَلَا - به سخن مشرکان می دهد، امر دیگری استنباط می شود که متأسفانه بر این مفسران پوشیده مانده است. پاسخ حَقَّتَعَالَى آنست که می -

۱- به تفسیر کشاف، ج ۲، ص ۹۹ نگاه کنید.

۲- به تفسیر ابی الفتوح رازی، ج ۲، ص ۳۸۴ بنگرید.

فرماید: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ط أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (تأ) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴿[الأعراف: ۲۸] (بگو: همانا خدا، به زشتکاری فرمان نمی‌دهد، آیا نادانسته به خدا نسبتی می‌دهید؟! * بگو خداوندم به عدالت فرمان داده است...).

از این پاسخ فهمیده می‌شود که بحث بر سر «امر تشریعی» یعنی قانونگذاری خدا بوده نه «امر تکوینی» که واداشتن و اجبار آدمی به کارهای زشت باشد! مشرکان عرب می‌گفتند: پدران ما نیز به کارهایی همانند ما می‌پرداختند لذا اعمال ما سابقه و «مشروعیت» دارد. آن‌ها بر کارهای منحرفانه خود (مانند طواف عریان پیرامون خانه کعبه) رنگ دینی می‌زدند و می‌گفتند: **وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا** (خدا این امور را به ما دستور داده است)! قرآن کریم در پاسخ ایشان می‌فرماید: اعمال شما، منکر و زشت است و خدایتعالی به کارهای زشت امر نمی‌کند، خدا به عدالت فرمان داده است. از اینرو اعمال پدرانتان هم - مانند زشتکاری شما - برخلاف دستور و قانون الهی بوده است و استناد به آن‌ها موجه نیست. پیداست که این بحث درباره امر تکوینی همچون جبر پیش نیامده و با تشریح خدا پیوند دارد. اگر مشرکان عقیده جبر را پیش کشیده بودند و امر تکوینی را در نظر داشتند، مفهوم پاسخ خدایتعالی بدین صورت درمی‌آمد که: خداوند هرگز شما را به فحشاء مجبور نمی‌کند، بلکه به عدالت وادار کرده است و شما در اجرای عدالت مجبور هستید! و چنانچه کلام خدا چنین مفهومی را دربرداشت در آن صورت اعتراض به اعمال زشت مشرکان معنا نداشت!

ما اگر هماهنگ با رسم پیشین خود، به آیات دیگر از قرآن مجید رجوع کنیم و شاهدی برای تفسیر مذکور بجوییم، نظیر همین ادعا و پاسخ را در کتاب خدا می‌یابیم. در سوره شریفه نحل از قول مشرکان آمده است که گفتند: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ حُنَّ وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [النحل: ۳۵] (اگر خدا می‌خواست ما هیچ چیزی غیر او را نمی‌پرستیدیم، نه ما و نه پدرانمان!). سپس خدای سبحان به آنان چنین پاسخ می‌دهد که:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ۳۶] (به یقین، ما در هر امتی رسولی فرستادیم - با این پیام - که خدا را پرستید و از پرستش هر معبودی غیر خدا، دوری گزینید). روشن است که آن ادعا و این پاسخ، متناسب با بحث جبر نیست. جبری انکار نمی‌کند که پیامبران به توحید دعوت نموده‌اند، جبری می‌گوید خداوند، ما را به پذیرفتن شرک وادار کرده است و لذا ما گناهی نداریم! در پاسخ آن‌ها از اراده و اختیار انسانی باید سخن گفت، سخن از دعوت رسولان به توحید، هنگامی منطقی به نظر می‌رسد که مشرکان، بت پرستی را به فرمان و قانونگذاری خدا نسبت داده باشند.

شگفت است که علامه زمخشری با وجود تبخّر در تفسیر قرآن، آیه سوره نحل را نیز - مانند سوره انعام - حمل بر عقیده جبر نموده است و در ذیل آن می‌نویسد: «وهذا مذهب المجبرة بعینه»^(۱) (این عقیده مشرکان، عیناً همان مذهب اهل جبر است) و ظاهراً با این تطبیق، قصد دارد بر «اشعریان» طعنه زند که آنان نیز همانند بت پرستان عرب می‌اندیشند! شگفت‌تر از ادعای زمخشری، دفاع اشعری‌ها است که آیه شریفه در سوره نحل را حمل بر معنای جبر نموده‌اند ولی می‌گویند: «قاله المشركون استهزاء وأهل السنة اعتقاداً» (مشرکان سخن مزبور را از راه استهزاء گفته‌اند ولی اهل سنت - یعنی اشعریان - از روی اعتقاد این سخن را می‌گویند)! چنانکه ابوالبركات نسفی در دفاعیه‌اش اظهار داشته است!^(۲) غافل از آنکه اساساً مقام بحث در سوره انعام و نحل، مقام تشریح و قانونگذاری خدا است بدانگونه که گذشت. افسوس که معانی قرآن کریم در پاره‌ای از موارد، به سبب اختلافات مذاهب، از آذهان مفسران برجسته دور مانده و مورد غفلت قرار گرفته است!

* * *

۱- به تفسیر کشاف، ج ۲، ص ۶۰۴ نگاه کنید.

۲- به تفسیر کشاف، ج ۲، حاشیه صفحه ۶۰۴ نگاه کنید.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ اسماء خدا یا

آیات او؟!!

در آیه شریفه فوق، دستور داده شده تا خدایتعالی را با «نیکوترین نامها» بخوانیم زیرا کلمه «حُسْنَى» مؤنث «أَحْسَن» به معنای نیکوتر است. بنابراین ترجمه‌های قرآنی که «الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» را به «نامهای نیک» برگردانده‌اند^(۱)، خالی از تسامح نیستند. بخشی از نامهای مزبور در قرآن کریم آمده است چنانکه در سوره اسراء می‌فرماید: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ۱۱۰] و در سوره حشر می‌خوانیم: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ۲۴] و در سوره طه می‌فرماید: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ۸].

از این آیات شریفه برمی‌آید که مراد از اسماء حُسْنَى، نامهای ملفوظ خداوندی است که شأن عِلْمِيَّت یا معانی وصفی دارند مانند الله، الرَّحْمَن، الْخَالِق، الْبَارِئ، الْمُصَوِّر و امثال این‌ها.

ولی در بعضی از تفاسیر مانند تفسیر عیاشی و فیض کاشانی و المیزان از قول امام صادق علیه السلام آورده‌اند که در تفسیر آیه ۱۸۰ از سوره اعراف فرمود: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (به خدا سوگند که ما نیکوترین نامهای خدا هستیم). تا آنجا که صوفی مشهور سلطان محمد گنابادی در تفسیر «بیان السَّعَادَة» مرقوم داشته است: «الْمَقْصُودُ الْأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِتَوْسُطِ الْأَسْمَاءِ الْبَشَرِيَّةِ الصُّعُودِيَّةِ»^(۲)! (مقصود آنست که خدایتعالی فرمان داده تا به واسطه نامهای

۱- به ترجمه‌های قرآنی اثر آقایان: ناصر مکارم شیرازی، مسعود انصاری، ابوالقاسم پاینده، مهدی الهمی - قمشه‌ای، محمد مهدی فولادوند و مصباح‌زاده نگاه کنید.

۲- به تفسیر بیان السَّعَادَة، جزء ۹، ص ۳۰۹ نگاه کنید.

بلندمرتبه بشری، او را بخوانیم! شگفتا که نامهای برترین خداوند در عرصه تفسیر، به بهترین نامهای بشری تبدیل شده است!

باید دانست که در کتاب خدا هیچگاه از مخلوقات الهی (چه موجودات سافله و چه نفوس عالیه) به عنوان «أسماء الله» تعبیر نشده بلکه همه را «آیات الله» خوانده است چنانکه به طور نمونه درباره مریم و عیسی - عَلَیْهِمَا السَّلَام - می فرماید: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الانبیاء: ۹۱] «او (مریم) و پسرش را آیتی برای جهانیان قرار دادیم» و هرآیتی نیز اسمی دارد که لزوماً از اسماء حسنی شمرده نمی شود مانند نوح، ابراهیم، موسی، عیسی، محمد و جز اینها و گاهی هم که مردمان، نامهایی چون کریم و عظیم و عالم و قادر و امثال اینها را برای غیرخدا به کار می برند، نباید آنها را همچون صفات الهی، نامحدود و «مطلق» تصور کنند.

علاوه براین، جمله ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ به دلیل تقدّم مبتدای آن بر خبرش، افاده «حصر» می نماید یعنی بهترین نامها، مخصوص خداست. بنابراین نمی توان آیات تکوینی خدا را به جای اسماء حسنی نهاد (و آنها را با امامان علیهم السلام تطبیق داد) زیرا همه آیات تکوینی از آن حقتعالی است نه تنها نیکوترین آیات! برعکس اسماء که فقط نیکوترین آنها را باید بر خدا اطلاق نمود و این نکته متأسفانه از نظر مفسران نامبرده مخفی مانده است.

اما حدیثی که نقل شد، از جمله احادیث آحادی است که به دلیل عدم ملایمت با قرآن کریم، اعتبار لازم را ندارند.

نکاتی از سورهٔ انفال

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَئِنْ أَلَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَئِنْ أَلَّهَ رَمَى﴾ فعل خدا و

فعل رسول

این آیه کریمه در میان مفسران فرقی اسلامی، محلّ گفتگو و تفاوت آراء قرار گرفته است. در عین حال، مفسران اتفاق نظر دارند که این آیه از ماجرای در غزوهٔ بدر سخن می‌گوید. در آن جنگ، رسول خدا ﷺ مشتی خاک را برگرفت و به سوی سپاه دشمن افکند و فرمود: **شاهت الوجوه** (این چهره‌ها زشت باد). در پی این حادثه بلافاصله طوفانی شدید از خاک و شن برخاست و خاک را بر سر و چشم دشمن فروریخت و مؤمنان فرصت یافتند تا بردشمن بتازند و صفوفشان را درهم شکنند چنانکه ابوجعفر طبری و ابوعلی طبرسی و دیگران در تفاسیر خود گزارش نموده‌اند^(۱). در سورهٔ شریفهٔ انفال که از حوادث غزوهٔ بدر سخن رفته است از رویداد مزبور با «اشاره» یاد شده چنانکه اسلوب قرآن کریم در حکایت از حوادث صدر اسلام چنین است. آنگاه در میان آیات سورهٔ انفال می‌فرماید: «پس شما آنان را نکشتید ولی خدا آنها را کشت و تو آنگاه که (مشتی خاک را) افکندی، نیافکندی ولی خدا افکند!» در تفسیر این عبارت قرآنی، مفسران فرقی، هر کدام (موافق با مذهب کلامی خود) سخنی خاص آورده‌اند. اشاعره که همهٔ افعال بشر

۱- مولوی در دیوان مثنوی از این حادثه چنین تعبیر نموده است:

ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فَتَنَّهُـاى	صد هزاران خرمن اندر خفته‌ای
أَفْتَابِىْ دَرِ يَكْـوِى ذَرَّة نَهْـان	ناگهان آن ذره بگشاید دهان
ذَرَّة ذَرَّةٌ كَرْدَدُ أَفْـلَـاكَ وَ زَمِـىن	پیش آن خورشید چون جست از کمین!

را از نیک و بد، به خدای سبحان نسبت می‌دهند و آفریده بلاواسطه خدا می‌شمرند، گفته‌اند: آیه شریفه دلالت دارد بر اینکه ثبوت فعل برای غیر خدا، امری مجازی است و فاعل حقیقی در همه افعال، خدا است و بس! چنانکه ابن منیر در حاشیه کشاف می‌نویسد: «أَنَّ اللَّهَ أَثْبَتَ الْفِعْلَ لِلْخَلْقِ وَنَفَاهُ عَنْهُمْ وَلَا يَحْمِلُ لِذَلِكَ إِلَّا أَنْ تُبَوِّتَهُ لَهُمْ مَجَازًا وَالْفَاعِلُ الْخَالِقُ حَقِيقَةً هُوَ اللَّهُ تَعَالَى»^(۱). (خداوند - در این آیه - فعل را برای خلق اثبات فرموده و سپس از ایشان نفی کرده است و این کار را بر هیچ چیزی نمی‌توان حمل کرد جز آنکه گفته شود ثبوت فعل برای خلق، امری مجازی است و فاعل و آفریننده حقیقی افعال، خدایتعالی است). معتزلی‌ها که به آزادی اراده و اختیار بشر قائلند و افعال وی را به خود او نسبت می‌دهند در تفسیر آیه شریفه گفته‌اند که: چون خدایتعالی خاک را به دیدگان دشمن فرورد از اینرو فعل مزبور را به خود نسبت داد همانطور که اصل عمل را در عبارت آیه، به رسولش منسوب فرمود. چنانکه قاضی عبدالجبار معتزلی در کتاب «تَنْزِيهِ الْقُرْآنِ عَنِ الْمَطَاعِنِ» آورده است: «أَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرْمِي يَوْمَ بَدْرٍ وَاللَّهُ تَعَالَى بَلَغَ بِرَمِيَّتِهِ الْمُقَاتِلَ فَلِذَلِكَ أَضَافَهُ تَعَالَى إِلَى نَفْسِهِ كَمَا أَضَافَ الرَّمِيَّةَ أَوْلَا إِلَيْهِ»^(۲) (پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ در روز بدر مستی از خاک را برگرفته به سوی دشمن افکند و خدایتعالی آن را به جنگاوران دشمن رسانید از اینرو خداوند، فعل مزبور را به خود نسبت داد چنانکه در آغاز کلام آن را به پیامبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منسوب داشت). و باین تفسیر، فعل خدا را از فعل بشر تفکیک نموده است. در برخی از تفاسیر شیعه چون تفسیر شیخ ابوالفتوح رازی می‌خوانیم که: «حَقَّقَتَعَالَى اَيْنَ فِعْلٍ رَا اِضَافَهُ بَا خُودِ كَرْدَ اَزْ اِنْجَا كِه تَوْفِيقَ وَ تَسْديدَ وَ تَسْبِيبَ وَ تَأْيِيدَ اَزْ اَوْ بُوْد.»^(۳) و این قول را می‌توان میان رأی اشاعره و مفوضه دانست که مفهوم «الْأَمْرُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ» را بیاد می‌آورد.

۱- به حاشیه ابن منیر بر تفسیر کشاف (ج ۲، ص ۲۰۷) نگاه کنید.

۲- تنزیه القرآن عن المطاعن، ص ۱۵۹.

۳- به تفسیر روح الجنان و روح الجنان، اثر ابوالفتوح رازی، ج ۲، ص ۵۲۰ بنگرید.

صوفیان معنای آیه شریفه را به مقام اتحاد یا جمع حمل کرده‌اند. عبدالرزاق کاشانی در «شرح منازل السائرین» می‌نویسد: قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى. وجه الإِسْتِشْهَادِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْجَمْعِ سَلْبُ الرَّمِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ صُدُورِهِ عَنْهُ ظَاهِرًا كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: إِذْ رَمَيْتَ. فَإِثْبَاتُهُ لِلَّهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى فَنَاءِ رَسْمِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَقِّ بِالْكُلِّيَّةِ فَكُلُّ مَا صَدَرَ عَنْهُ فَعَلَ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ مَعْنَى الْجَمْعِ^(۱) (وجه گواه آوردن این آیه بر مقام جمع، آنست که آیه مزبور از پیامبر ﷺ سلب رمی نموده است باینکه ظاهراً این فعل از او سرزده چنانکه می‌فرماید: إِذْ رَمَيْتَ! پس اثبات رمی برای حق تعالی دلالت بر آن دارد که پیامبر ﷺ از حیث تعین بکلی در حق فانی بود و هرچه از وی صادر می‌شد، فعل خدایتعالی بود و این همان معنای جمع است).

بدینصورت مذاهب اسلامی هرکدام، رأی ویژه مذهبی خود را در تفسیر آیه کریمه نشان داده‌اند.

برای تفسیر صحیح آیه شریفه باید به چند نکته توجه داشت: نخست آنکه آیه مزبور به اتفاق مفسران، از امری «معجزه‌آمیز و خارق‌العاده» حکایت می‌نماید، نه از احوال عادی. بنابراین نمی‌توان آن را به همه اعمال بشری تعمیم داد و مانند اشاعره نتیجه گرفت که: پس همه افعال عباد، ازسوی خداوند آفریده می‌شوند و آنان در پدید آوردن اعمال خود، هیچ نقشی ندارند! قیاس معجزات با اعمال عادی، قیاسی مع الفارق و باطل است. دوم آنکه در معجزات انبیاء ﷺ غالباً بدایت فعل به پیامبر نسبت داده شده و نهایت آن، به حق تعالی. چنانکه موسی ﷺ عصا را می‌افکند و خدا آن را به صورت افعی نیرومندی درمی‌آورد. یا عیسی ﷺ گِل را به شکل پرنده‌ای می‌سازد و در آن می‌دمد، و خدایتعالی آن را پرنده حقیقی می‌کند ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ۴۹] در آیه مورد بحث نیز

۱- شرح منازل السائرین، باب الجمع، ص ۲۶۲.

فعل رسول ﷺ از فعل خدا تفکیک می‌شود زیرا فعل «رَمَى» از افعال متعدی و مفعول طلب است ولی مفعول‌ها در این آیه حذف شده‌اند و لازمست بدینصورت در تقدیر گرفته شوند:

وَمَا رَمَيْتَ [الطُّوفَانَ] إِذْ رَمَيْتَ [قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ] وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى [ذَلِكَ الطُّوفَانَ].

یعنی: «تو (آن طوفان را) به راه نینداختی در آن هنگام که (مشتی خاک را) ریختی ولی خدا (آن طوفان را) به راه انداخت».

بدینصورت بدایت معجزه به پیامبر خدا ﷺ نسبت داده شده و نهایتش (مانند دیگر معجزات) منسوب به خدایتعالی می‌شود و قول صوفیه در این مقام، خالی از اعتبار است.^(۱) سوّم آنکه نظریه «تسیب» که ذکرش در تفسیر ابوالفتوح آمده برای عبارت ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ کاملاً صحیح و موافق با نصّ آیات در سوره شریفه انفال است چنانکه در آنسوره از نزول ملائکه به فرمان الهی و تثبیت مؤمنان و بیم افکندن در دل‌های کافران و دخالت فرشتگان در پیکار، به وضوح سخن رفته است و به اعتبار همین «تسیب» فعل مذکور، به خدایتعالی منسوب می‌شود کَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرُّعْبَ فَاصْطَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْطَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ۱۲].

* * *

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ خمس قرآنی!

۱- قول صوفیه در فناء، با آیات تقریبی قرآن کریم مانند: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ (التوبه: ۴۳) و امثال آن نیز سازگاری ندارد زیرا اگر هرکاری پیامبر اکرم ﷺ انجام می‌داد عیناً فعل خدایتعالی بود، در آن صورت ازسوی خداوند ملامت نمی‌شد.

خُمس یکی از اعداد کسری به‌شمار می‌آید که بنا بر آیه فوق، بر غنائم مسلمانان تعلق می‌گیرد و باید در راه خدا مصرف شود. آیه شریفه به اتفاق مفسران قرآن، پس از «غزوه بدر» نازل شده و ناظر به اموالی است که در جنگ مزبور بدست مسلمین افتاد. لفظ «غنیمت» در زبان عرب غالباً برای دستاوردهای مالی که در جنگ از دشمن برجای می‌ماند، استعمال می‌شود چنانکه شیخ طبرسی در تفسیر «مجمع البیان» می‌نویسد: «الْغَنِيمَةُ مَا أُخِذَ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الْحَرْبِ مِنَ الْكُفَّارِ بِقِتَالٍ»^(۱) (غنیمت چیزی است که از اموال پیکارگران کفار، در جنگ با آنها گرفته شده است). این واژه در قرآن مجید دو بار به شکل فعل ماضی (غَنِمْتُمْ) بکار رفته است (انفال: ۴۱ و ۶۹) و کلمه «مَغَانِم» نیز که از همان ریشه می‌آید در سوره نساء (آیه ۹۴) و فتح (آیات ۱۵ و ۱۹ و ۲۰) دیده می‌شود. سیاق این آیات شریفه همگی در زمینه پیکار با کافران متجاوز و متخاصم است و از اینرو اکثر مفسران، خُمس را در آیه ۴۱ از سوره انفال به منزله مالیاتی می‌دانند که از غنائم جنگی باید کسر شود و در راه خدایتعالی مصرف گردد.

أما برخی از اهل تفسیر به مناسبت آنکه واژه غنیمت گاهی برای اموری وسیعتر از بازمانده‌های جنگ بکار می‌رود (مانند اینکه گویند: «اغْتَنِمُوا فُرْصَ الْخَيْرِ»، فرصت‌های نیک را غنیمت شمارید) معنای آیه را تعمیم داده‌اند و آن را شامل ارباح مکاسب و دستاورد غواصان و ملّاحان و فرآورده گنجها و معادن و جز این‌ها نیز دانسته‌اند چنانکه صاحب تفسیر «المیزان» مرقوم داشته است:

«... إِنَّ الْحُكْمَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا يُسَمَّى غَنَمًا وَغَنِيمَةً سِوَاءَ كَانَ غَنِيمَةً حَرْبِيَّةً مَأْخُودَةً مِنَ الْكُفَّارِ أَوْ غَيْرَهَا مِمَّا يُطَلَّقُ عَلَيْهِ الْغَنِيمَةُ لُغَةً كَأَرْبَاحِ الْمَكَاسِبِ وَالْمَلَاخَةِ وَالْمُسْتَخْرَجِ مِنَ الْكُنُوزِ وَالْمَعَادِنِ وَإِنْ كَانَ مَوْرِدُ نَزْوِلِ الْآيَةِ هُوَ غَنِيمَةُ الْحَرْبِ فَلَيْسَ لِلْمَوْرِدِ أَنْ يَحْتَصَّ»^(۲).

۱- مجمع البیان، جزء ۹، ص ۱۴۸

۲- المیزان، ج ۱۰، ص ۹۱.

یعنی: «این حکم به چیزهایی وابستگی دارد که نام غنیمت بر آنها نهاده می‌شود، خواه غنیمتی باشد که از راه جنگ با کفار گرفته شده یا از غیر این طریق مانند عموم چیزهایی که در لغت نام غنیمت بر آنها اطلاق می‌گردد چون سودهای کسب و معامله یا منافع غواصی و ملاحی یا آنچه از معادن استخراج می‌کنند و هر چند مورد نزول آیه، غنیمت جنگ است ولی مورد، مخصّص نیست!»

باید گفت صحیح است که مورد مخصّص نیست از اینرو حکم آیه شریفه تنها شامل «غنائم جنگ بدر» نمی‌گردد و غنائم جنگهای دیگر را نیز به طور عموم دربرمی‌گیرد. ولی حکم آیه از غنیمت جنگی به سود معاملات یا ملاحی و غواصی تسری پیدا نمی‌کند زیرا قرائن و سیاق مطلب، آیه شریفه را به موضوع جنگ اختصاص می‌دهد و مورد نزول، غیر از «قرائن تخصیص دهنده» است.

در آیه ۳۹ از سوره مبارکه انفال خدا تعالی می‌فرماید: ﴿وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾^(۱). آنگاه حکم غنیمتی را که بدست می‌آید تعیین می‌فرماید: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(۲). به علاوه در ذیل همان آیه غنیمت می‌خوانیم: ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَلْجَمَعَانِ﴾^(۳). چنانکه ملاحظه می‌شود آیه شریفه غنیمت، در محاصره قرائنی قرار دارد که همگی از رویداد جنگ حکایت می‌نمایند و ربطی به ملاحی و غواصی و بازرگانی ندارند! معنای عدم تخصیص مورد، تعویض موضوع نیست، توسعه در افراد آن است. یعنی حکم مزبور اختصاص به جنگ بدر (مورد

۱- و با آنها کارزار کنید تا فتنه از میان برود...

۲- و بدانید که از هر چیز غنیمت گرفتید...

۳- اگر شما به خدا و به آنچه بر بنده خویش فرو فرستادیم ایمان دارید، در روز جدایی (حق از باطل)،

در روزی که دو گروه (مؤمن و کافر) بایکدیگر برخورد نمودند...

نزول) ندارد و حکمی کلی برای همه جنگهاست چنانکه تعبیر (من شیء) نیز انواع کالاهای دشمنان را که در جنگ به جای گذاشته‌اند، دربر می‌گیرد.

آری، پرداخت خمس کنوز و معادن و... واجب است ولی طریق اثبات آن، سنت بشمار می‌آید، نه قرآن. اما درخصوص «خمس ارباح مکاسب» مشکلات حل نشدنی، وجود دارد که یکی از فقهای معاصر در «کتاب الخمس» بدانها اشاره فرموده^(۱) و در هر صورت، جای بحث از آن در فقه است نه در تفسیر قرآن کریم.

* * *

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ خدا ما را کافی است

قرآن کریم ضمن آیاتی چند با تأکید و تکرار، خدایتعالی را «کافی» برای بندگان خود معرفی نموده و این عنوان را خاص وی قلمداد کرده است بطوری که در سوره شریفه زمر به صورت «استفهام انکاری» می‌فرماید: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ۳۶] «آیا خدا بنده‌اش را کافی نیست؟» با وجود این در آیه کریمه ۶۴ از سوره انفال برای بیشتر مترجمان قرآن و برخی از مفسران اشتباهی پیش آمده و کفایت خدا را به دیگران نیز تسری داده‌اند. آیه شریفه مزبور به گواهی آیات متعدّد دیگر، این معنا را می‌رساند که خداوند، پیامبر خود و پیروان وی را بسنده است ولی مترجمان فارسی قرآن، بر این قول رفته‌اند که خداوند و مؤمنان راستین، پیامبر ﷺ را کفایت می‌کنند! چنانکه یکی از ایشان در ترجمه آیه فوق، می‌نویسد: «ای پیامبر، خداوند و مؤمنانی که از تو پیروی می‌کنند، برای حمایت تو کافی است^(۲)». دیگری مرقوم داشته است: «ای پیامبر، خدا و کسانی از

۱- به «کتاب الخمس» اثر آیت الله منتظری از صفحه ۱۴۹ تا ۱۵۲ نگاه کنید.

۲- به ترجمه قرآن از آقای ناصر مکارم شیرازی بنگرید.

مؤمنان که پیرو تواند، تو را بس^(۱)». سوّمی می‌نویسد: «ای رسول ما، خدا تورا کفایت است و مؤمنانی که پیرو تواند^(۲)». چهارمی نوشته است: «ای پیامبر برجسته، خدا تورا بس است و نیز کسانی از مؤمنان که پیرو تو هستند^(۳)». پنجمی می‌نویسد: «ای پیامبر، خداوند و مؤمنانی که از تو پیروی می‌کنند، تورا بسند^(۴)». ششمی می‌نویسد: «ای پیامبر، خدا و مؤمنانی که از تو پیروی کردند تو را بس است^(۵)». هفتمی می‌نویسد: «ای پیامبر، خدا تورا بس است و مؤمنانی که تورا پیروی کرده‌اند^(۶)» هشتمی نوشته است: «ای پیامبر، تورا خداوند و مؤمنان پیرو تو، بس^(۷)»...

این مترجمان، جمله «وَمَنْ اتَّبَعَكَ» را عطف به لفظ جلاله «الله» دانسته‌اند درحالی‌که جمله مزبور به معنای «وَحَسْبُ مَنْ اتَّبَعَكَ...» می‌آید یعنی: خدا برای مؤمنانی که پیرو تو هستند نیز کافی است. گواه این معنا آیات متعدّد قرآنی است که کفایت را در انحصار خدایتعالی می‌شمرد چنانکه می‌فرماید:

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ۱۷۳]. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ۱۲۹]. ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ۳۸]. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ۳]. ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [التوبة: ۵۹].

- ۱- به ترجمه قرآن از آقای محمدمهدی فولادوند نگاه کنید.
- ۲- به ترجمه قرآن از آقای مهدی الهی قمشه‌ای بنگرید.
- ۳- به ترجمه قرآن از آقای محمد صادقی تهرانی نگاه کنید.
- ۴- به ترجمه قرآن از آقای عبدالمحمد آیتی بنگرید.
- ۵- به ترجمه قرآن از آقای جلال مجتبی‌ی نگاه کنید.
- ۶- به ترجمه قرآن از آقای حسین استادولی بنگرید.
- ۷- به ترجمه قرآن از آقای علی موسوی گرماردی نگاه کنید.

در تمام این آیات شریفه، مقام کفایت به خداوند اختصاص داده شده و به هیچ وجه ذکری از دیگران نرفته است به ویژه آیه کریمه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ که به روشنی مفهوم **حصر** را می‌رساند.

از ترجمه‌های فارسی قرآن که بگذریم در برخی از تفاسیر فارسی نیز این خطا ملاحظه می‌شود چنانکه در تفسیر «کاشف» آمده است: «در آیه فوق خطاب به پیامبر می‌فرماید: **خدا و پیروان با ایمانت تورا کفایت می‌کنند**»^(۱).

بعضی از تفاسیر عربی، هردو قول را نقل کرده‌اند، مثلاً در «المیزان» مؤلف محترم می‌نویسد: «**قَالَ الرَّادُّ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - يَكْفِيكَ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَبِمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**» (مراد آنست که - **والله أعلم** - خداوند به یاری خود و به یاری مؤمنانی که از تو پیروی کردند، کفایت می‌کند). آنگاه در پی سخن مزبور گوید: «**وَرُبَّمَا قِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى: حَسْبُكَ اللَّهُ وَحَسْبُ مَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**»^(۲) (چه بسا گفته شده معنای آیه اینست که: خدا تورا و پیروان مؤمنان را کافی است).

پیدا است که مؤلف، قول دوم را که با «**رُبَّمَا قِيلَ**» آورده، ضعیف تر از رأی نخست می‌شمرد.

شاید این اشتباه از آنجا ناشی شده باشد که ملاحظه کرده‌اند در دو آیه قبل، قرآن کریم می‌فرماید:

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ

وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ [الأنفال: ٦٢] یعنی: «و اگر خواستند بر تو نیرنگ زنند پس خدا تو را کافی است، او همان کسی است که به یاری خود و مؤمنان، تورا تأیید فرمود».

۱- تفسیر کاشف، اثر آقایان محمدباقر حجتی و بی‌آزار شیرازی، ج ۵، ص ۲۱۸.

۲- تفسیر المیزان، ج ۹، ص ۱۲۴.

ولی چنانکه ملاحظه می‌شود، این آیه شریفه نیز «کفایت» را تنها به خدایتعالی نسبت می‌دهد و به‌هنگام سخن از «تأیید پیامبر» ذکر مؤمنان را به میان می‌آورد. پس تردید نباید داشت که انحصار کفایت به خداوند، امری مُسَلَّم و قرآنی محسوب می‌شود و خدا اهل توکل را کافی است اما راه پشتیبانی و کارسازی یا رفع مشکل را خود بهتر می‌داند و در هر صورت، امرش نافذ و حکمش قطعی و ردّ نشدنی است ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [یوسف: ۲۱].

*

*

*

نکته‌ای از سوره توبه

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ الْبِفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۗ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١١٠﴾﴾ منافقان
ناشناخته و عذاب آنان!

در این آیه شریفه چند نکته هست که باید مورد توجه مذاهب تفسیری قرار گیرد. نخست آنکه آیه کریمه تصریح نموده در عصر نبوی، افرادی منافق در مدینه حضور داشته‌اند ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ الْبِفَاقِ﴾ و واضحست که آنان خود را از یاران رسول خدا ﷺ معرفی می‌نمودند. بنابراین، افراط برخی از مفسران سنی که سعی دارند همه اصحاب رسول الله ﷺ را از مؤمنان راستین به‌شمار آورند، گمانی باطل و نوعی خوش‌خیالی است و با نص قرآن کریم سازش ندارد مگر آنکه برای لفظ «صحابه» حدود و قیود مشخصی قائل شویم، نه آنکه همه معاصران رسول اکرم ﷺ را که به دیدار پیامبر ﷺ نائل آمدند، صحابه پیامبر شماریم.

از سوی دیگر برخی از مفسران شیعی نیز کوشیده‌اند تا اکثر پیشگامان مهاجروانصار را که در آیه ۱۰۰ از همین سوره ستوده شده‌اند، مردمانی بی‌ایمان و منافق معرفی کنند که این نیز انصافاً ادعائی باطل و تهمت‌نا رواست و با مفاد آیه شریفه^(۱) نمی‌سازد و به «تخصیص اکثر» می‌انجامد که درخور کلام خدا نیست و در سخنان جدی جایی ندارد.

دوم آنکه در آیه کریمه تصریح شده که پیامبر خدا ﷺ، منافقان مزبور را نمی‌شناخته است ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ ولی بیشتر مفسران پافشاری غریبی دارند که نشان دهند رسول خدا ﷺ همه منافقان روزگارش را می‌شناخته و از احوال خصوصی آنان آگاه بوده است! چنانکه به عنوان نمونه، یکی از ایشان می‌نویسد: «البته این اشاره به علم عادی و معمولی پیغمبر است ولی هیچ منافات ندارد که او از طریق وحی و تعلیم الهی به اسرار آنان کاملاً واقف گردد»^(۲)! باید پرسید: وقوع این امر از کجا و در کدام آیه به اثبات رسیده که خدای سبحان به تعلیم خود، پیامبر ﷺ را از اسرار منافقان کاملاً آگاه ساخته است؟! هیچ مدرک موثقی در میان نیست و حتی برخلاف این تصور، قرآن کریم دلالت دارد بر اینکه برخی از منافقان نزد پیامبر ﷺ می‌آمدند و از بی‌اعتباری زندگی دنیا و پارسایی خود چنان سخن می‌گفتند که رسول خدا ﷺ را به شگفتی می‌افکندند درحالیکه سرسختانه با او دشمنی داشتند! چنانکه می‌فرماید: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ۲۰۴] (از مردمان کسی است

۱- چنانکه می‌فرماید: ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ «پیشگامان نخستین از مهاجرین و انصار و کسانی که با نیکوکاری از آنان پیروی کردند، خدا از ایشان راضی شده و آنان نیز از خدا خشنود گشتند و برای ایشان باغستانهایی فراهم آورده که نهرها بر زمین آن‌ها روان گردد درحالی که همیشه در آن باغها زندگی می‌کنند و رستگاری بزرگ همین است».

۲- تفسیر نمونه، ج ۸، ص ۱۱۲.

که گفتارش درباره زندگی این دنیا تو را به شگفتی می‌آورد و خدا را بر آنچه در دل دارد گواه می‌گیرد و حال آنکه سخت ترین دشمنان است!

آری امکان شناسایی منافقان از راه وحی، قابل انکار نیست و قرآن کریم از امر مزبور در سوره محمد ﷺ چنین یاد می‌کند: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [محمد: ۳۰] (اگر بخواهیم آنان را به تو نشان می‌دهیم پس ایشان را به سیمایشان می‌شناسی) ولی هنگامی که از وقوع این شناسایی سخن می‌گوید، کار را به امور وحیانی نسبت نمی‌دهد و می‌فرماید ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ۳۰] (همانا ایشان را از شیوه گفتارشان می‌شناسی) و رسول اکرم ﷺ در وصف منافقان فرموده است: «الْمُنَافِقُ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اتَّخَمَ خَانَ»^(۱) (منافق چون به سخن پردازد، دروغ می‌گوید و چون وعده دهد، خلاف می‌کند و چون امین شمرده شود، خیانت می‌ورزد!) با اینهمه، از آنجا که منافقان اغلب به ظاهر سازی و پنهان کاری می‌پرداختند، شناسایی اسرار قلبی همه ایشان برای پیامبر ﷺ میسر نبود (چنانکه در آیه ۲۰۴ سوره بقره گذشت) و از اینرو قرآن کریم در سوره توبه که پس از سوره محمد ﷺ نازل شده، خطاب به رسول گرامی اسلام ﷺ می‌فرماید: ﴿تَعْلَمُهُمْ حَسْبُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ۱۰۱] (تو آنان را نمی‌شناسی، ما آنان را می‌شناسیم!) پس پافشاری در اینکه رسول اکرم ﷺ همگی منافقان را کاملاً می‌شناخته است! وجهی ندارد و با مفاد آیه شریفه نمی‌سازد. مفسران مزبور، می‌خواهند تا رفعت شأن رسول خدا ﷺ را به اثبات رسانند، غافل از آنکه با کلام خدا مخالفت می‌ورزند! درحقیقت مقام خاتم پیامبران ﷺ، چنان والا است که نیازی بدین توجیهاات ندارد!

۱- الجامع الصغیر، تألیف سیوطی، ج ۱، ص ۱۳۹.

سوّم آنکه آیه کریمه خبرمی دهد که منافقان دوبار (پیش از قیامت) گرفتار عذاب خواهند شد ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ۱۰۱] و مفسران در اینباره به اختلاف سخن گفته اند و ابوجعفر طبری و ابوعلی طبرسی اقوال آنان را آورده اند. در اینجا بنای ما - مانند گذشته - بر رجوع به خود قرآن کریم استوار است که از دو نوع عذاب درباره منافقان سخن می گوید. نخست در همین سوره شریفه (توبه) می فرماید: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ [التوبة: ۸۵] (اموال و فرزندان ایشان تورا به شگفتی نبرد جز این نیست که خدا می خواهد آنها را بدانوسیله در دنیا عذاب کند!) و معلوم است که چون کسی به زندگی پس از مرگ، بی عقیده باشد، همینکه مال یا فرزندانش در معرض آسیب و هلاک قرارگیرند، چه عذابی را متحمل می گردد؟! دوّم ضربه های روحی است که پس از مرگ (و پیش از قیامت) بر آنان وارد خواهد شد چنانکه در سوره انفال آمده است: ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الأنفال: ۵۰] (آنگاه که فرشتگان، کافران را می میرانند، بر رویها و پشتهای آنان ضربه می زنند).

* * *

نکته‌ای از سوره یونس

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۗ^ع
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ خطای صرفی!

این آیه شریفه از آیاتی است که به سوابق پیامبر اسلام ﷺ اشاره دارد و پیشینه وی را نشانه‌ای بر درستی ادعای او می‌شمرد زیرا که پیامبر ﷺ مدت چهل سال قبل از رسالتش در میان قوم خود زندگی کرد و در خلال سالهای مزبور، هیچکس درباره مباحث قرآنی کمترین سخنی از وی نشنید که اگر وحی خداوندی در کار نبود و قرآن مجید کار خود او بود قطعاً در آن مدت، بخشی از مباحث قرآن را - لاقلاً در میان نزدیکانش - مطرح می‌نمود. پس منشأ نزول آیات را بر نفس مطهر وی در جای دیگری باید جستجو کرد.

متأسفانه برخی از مترجمان قرآن در برگردان فارسی این آیه مهم، دچار خطا شده‌اند و معنای جمله «وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ» را درنیافته‌اند و چنین پنداشته‌اند که کلمه «أَدْرِيكُمْ» صیغه متکلم وحده از فعل مضارع است که با ضمیر «كُم» همراه شده! درحالی که کلمه مزبور، صیغه مفرد غائب از فعل ماضی است که به مفعول «كُم» تعلق گرفته و اگر فعل متکلم مضارع بود، به شکل «أَدْرِيكُمْ» می‌آمد. بنابراین ترجمه صحیح آیه شریفه چنین است که: «بگو اگر خدا خواسته بود، این قرآن را بر شما نمی‌خواندم و نه او از آن آگاهتان می‌ساخت همانا عُمَری را پیش از قرآن در میان شما بسربردم پس آیا اندیشه نمی‌کنید؟»

همانگونه که گفته شد چندتن از مترجمان قرآن در اینجا به خطای صرفی افتاده‌اند چنانکه یکی از ایشان می‌نویسد: «بگو اگر خدا می‌خواست من آن را بر شما تلاوت نمی‌

کردم و شما را از آن آگاه نمی‌ساختم^(۱)! (و البتّه جمله اخیر درست نیست). دیگری نوشته است: «من قرآن را بر شما تلاوت نمی‌کردم و نه شما را از آن باخبر می‌ساختم^(۲)! سوّمی مرقوم داشته است: «بگو اگر خواسته بود خدای، نخواندمی آن را بر شما و نه اعلام کرده بودم شما را به آن^(۳)! چهارمی ترجمه نموده است: «بگو اگر خدا می‌خواست من تلاوت نمی‌کردم آن را برایتان و نمی‌نمودم از آن آگاهتان^(۴)! پنجمی نوشته است: «بگو (ای رسول) اگر خدا نخواستی هرگز بر شما تلاوت این قرآن نمی‌کردم و شما را به احکام و حقایق آن آگاه نمی‌ساختم^(۵)!»

به طوری که ملاحظه شد تمام این ترجمه‌ها، فعل ماضی «أَدْرَيْكُمْ» را صیغه متکلم وحده از مضارع گمان کرده‌اند و گرفتار اشتباه شده‌اند با آنکه در قرآن کریم همین کلمه مکرر به صورت «أَدْرَيْكَ» آمده و مترجمان مزبور آن را به خوبی می‌شناسند. در عین حال، مایه مسرت است که نویسندگانی هم در ترجمه آیه مورد بحث راه خطا نپیموده و مفهوم آن را به درستی بازگو کرده‌اند.

* * *

- ۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای عبدالمحمد آیتی نگاه کنید.
- ۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای محمدباقر بهبودی (با عنوان معانی القرآن) ص ۲۱۲ بنگرید.
- ۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای مصباح‌زاده بنگرید.
- ۴- به ترجمه قرآن، اثر آقایان محمدباقر حجتی و عبدالکریم بی‌آزار شیرازی (در تفسیر کاشف، ج ۶، ص ۹۱) نگاه کنید.
- ۵- به ترجمه قرآن، اثر آقای مهدی الهی قمشه‌ای بنگرید.

نکته‌ای از سوره هود

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ چه کسی از بیینه برخوردار است و شاهد خدایی کیست؟

در تفسیر این بخش از آیه کریمه، اختلاف غریبی میان مفسران دیده می‌شود. برخی از اهل تفسیر دارنده بیینه ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ را رسول خدا ﷺ دانسته‌اند چنانکه طبری این قول را از قتاده و حسن بصری آورده است و بعضی مصداق آن را هر دین‌باوری دانسته‌اند که دارای حجّت بوده و از دلیلی روشن برخوردار باشد چنانکه طبری می‌نویسد: «قِيلَ الْمَعْنَى بِهِ كُلُّ مُحَقِّقٍ يَدِينُ بِحُجَّةٍ وَبَيِّنَةٍ». آنگاه مفسران درباره «شاهد» به اختلاف رفته‌اند. دسته‌ای آن را به «جبرئیل» و گروهی آن را به «زبان پیامبر ﷺ» و برخی آن را به «امام علی (علیه السلام)» تفسیر نموده‌اند. سپس در اینکه «أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» اشاره به کدام گروه دارد؟ به تفاوت سخن گفته‌اند و رویهمرفته، خواننده تفاسیر را به جای «هدایت» به «حیرت» افکنده‌اند!

اما با کمک گرفتن از شواهد قرآنی، می‌توان از اختلافات مزبور بیرون آمد زیرا جمله «أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» نشان می‌دهد که دارندگان بیینه، جمع مؤمنان به شمار می‌آیند و انحصار آن به رسول خدا ﷺ، تفسیر موجهی نیست. گواه قرآنی این امر را نیز در سوره کریمه محمد می‌یابیم که می‌فرماید: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ۖ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ۱۴] (آیا پس کسی که بردلیلی روشن از خدای خویش است

همانند کسانی است که کردار ناپسندشان برای آن‌ها آراسته شده و از هوای نفسانی خود پیروی کرده‌اند؟! در مورد گواه خداوند (شاهد منه) نیز در قرآن کریم بارها به تأکید می‌خوانیم که پیامبر خدا ﷺ، شاهد پروردگار است همانگونه که به عنوان نمونه در سوره احزاب می‌فرماید: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (ای پیامبر، همانا ما تو را گواه و نویددهنده و بیم‌رسان فرستادیم). اما جمله «أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» مفهومش روشن است و برخلاف رأی بعضی از مفسران، نتوان آن را با گروهی تطبیق داد که در آیه شریفه ذکری از آنان نرفته است! شگفت آنکه برخی از اهل تفسیر خواسته‌اند تا میان آراء مختلف را جمع کنند چنانکه صاحب تفسیر المیزان مرقوم داشته است: «وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادُ بِالْبَيِّنَةِ فِي الْمَقَامِ هُوَ هَذَا الْمَعْنَى الْأَخِيرَ الْعَامَّ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ بَعْدُ: (أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ بِحَسَبِ الْمَوْرِدِ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ»^(۱) (ظاهر آنست که مراد از بیّنه در این مقام، معنای عام این کلمه است که اخیراً آمده، به قرینه آنکه در بخش بعدی آیه فرمود: أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، هر چند برحسب مورد، مراد از آن پیامبر ﷺ است!) علت این توجیه آنست که ظاهراً مفسر محترم خواسته تا از روایتی که در این باره رسیده فاصله نگیرد و آیه شریفه را بدانسو سوق دهد زیرا در روایت مزبور می‌خوانیم: «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الشَّاهِدُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ»^(۲). اما این روش تفسیر، در جایی که بتوان قرآن کریم را با شواهد خود تفسیر نمود، موجه نیست همانگونه که مفسر محترم در مقدمه تفسیرش مرقوم داشته است: «قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (وَهُوَ) يَصِفُ الْقُرْآنَ: «يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ»^(۳). هذا هُوَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ وَالصَّرَاطُ السَّوِيُّ الَّذِي سَلَكَهُ مُعَلِّمُو الْقُرْآنِ وَهُدَاتُهُ صَلَوَاتُ

۱- المیزان، ج ۱۰، ص ۱۸۸.

۲- المیزان، ج ۱۰، ص ۱۹۹.

۳- نهج البلاغه، خطبه ۱۳۳.

اللّٰهُ عَلَيْهِمْ^(۱) (علی التّٰلِیّٰن) هنگامی که قرآن را وصف می نمود، فرمود: «هربخشی از آن، از بخش دیگر سخن می گوید و هرپاره‌ای از آن بر پاره دیگر گواهی می دهد.» این روش تفسیر، همان راه راست و طریق میانه‌ای است که آموزگاران قرآن و رهنمایان آن علیهم‌السلام سپرده‌اند).

پس آنچه از پژوهش در آیه کریمه برمی آید اینست که: عموم مؤمنان بر دلیلی روشن از سوی خدای خود هستند که همان کتاب الهی باشد و شاهد خداوندی که کتاب خدا را برایشان تلاوت می کند هم جز رسول خدا کسی نیست. ضمناً در پایان آیه شریفه اشاره شده که قرآن، امام مؤمنان و مایه رحمت برایشان شمرده می شود چنانکه پیش از آن، تورات حائز این مقام بوده است.

نکته‌ای از سوره یوسف

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۗ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكَيْنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰبِثِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۗ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۗ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

سخنان زلیخا یا گفتار یوسف؟

آیه ۵۲ و ۵۳ را در اینجا بیشتر مترجمان و مفسران قرآن، گزارشی از سخنان یوسف علیه السلام دانسته‌اند^(۱) و برخی (که در اقلیت‌اند) ایندو آیه را حکایتی از اعتراف زلیخا به گناه خود و پاکدامنی یوسف علیه السلام شمرده‌اند و روشن است که دسته اول، ارتباط دو آیه اخیر را با آیه نخست انکار نموده‌اند.

ظاهر این دو آیه در عین آنکه بر حقیقت‌گویی و خضوع گوینده دلالت دارد، از اعتراف به خطاکاری نیز دور نیست چه اعلام می‌دارد: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ (من خود را از گناه تبرئه نمی‌کنم) ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (همانا خداوندم آمرزشگر و رحم کننده است) و در جایی که قرار است یوسف علیه السلام از هر نوع خیانتی تبرئه شود، نسبت دادن این سخنان به او، چندان مناسب ندارد و اعتراف مزبور در چنین جایگاهی لااقل ایهام گناهکاری گوینده را به ذهن می‌آورد. بنابراین حتی جای تواضع و شکسته نفسی در اینجا

۱- به ترجمه‌های اخیر قرآن از آقایان استادولی و مجتبی و انصاری و خرمشاهی و آیتی و گرمارودی و قمشه‌ای و پاینده نگاه کنید.

نیست (که هر سخن جایی و هر نکته مقامی دارد). از اینرو مناسبتر آن به نظر می‌رسد که سخن مزبور از **زلیخا** باشد به‌ویژه که آن سخنان با اعتراف زلیخا همراه شده و ذکر از یوسف علیه السلام در میان نیامده است چنانکه می‌فرماید: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ اَلَّذِي حَصَّصَ الْاِحْقَ اَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهٖ وَاِنَّهٗ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿۱۰۷﴾﴾ (زن عزیز مصر گفت: اینک حقیقت ثابت و آشکار شد، من از یوسف کام خواستم و او از راستگویان است). سپس در مقام تعلیل می‌گوید: ﴿ذٰلِكَ لِیَعْلَمَ اَنِّیْ لَمْ اُخْنَهُ بِالْغَیْبِ وَاَنَّ اَللّٰهَ لَا یَهْدِی الْاَلْحٰطِیْبِیْنَ ﴿۱۰۸﴾﴾ [این اعتراف برای آنستکه وی (یوسف) بداند من در غیابش خیانت بدو نکردم و خدا نیز ننگ خائنان را به مقصود نمی‌رساند] و البته این سخن را زلیخا در حضور پادشاه به‌هنگامی گفت که یوسف در زندان بود^(۱). اما همانگونه که گفتیم متأسفانه اکثر مترجمان و مفسران قرآن برخلاف ظاهر این آیات حکم نموده و در ترجمه آیه اخیر نوشته‌اند: «(یوسف گفت): اینکار برای آنست که وی (یعنی عزیز مصر) بداند من در غیابش خیانت بدو نکردم و خدا نیز ننگ خائنان را به مقصود نمی‌رساند!» از این مترجمان و مفسران محترم باید پرسید که مگر عزیز مصر نمی‌دانست که یوسف علیه السلام در غیاب وی، خیانت بدو نکرده بلکه زلیخا گناهکار بوده است؟ مگر نه آنکه عزیز مصر پس از دیدن پیراهن یوسف (که از پشت پاره شده بود) به زلیخا گفت: ﴿وَاَسْتَغْفِرِیْ لِذَنْبِکِ اِنَّکِ کُنْتِ مِنَ الْاَلْحٰطِیْبِیْنَ ﴿۱۰۹﴾﴾ (برای گناهت آمرزش بخواه که قطعاً تو گناهکار هستی)؟ مگر نه آنکه عزیز مصر فهمید که تهمت زلیخا به یوسف، سخنی ساختگی و نیزنگی زنانه است؟ از همین رو بدو گفت: ﴿اِنَّهٗ مِنْ کَیْدِکُمْ اِنَّ کَیْدَکُمْ عَظِیْمٌ ﴿۱۱۰﴾﴾ (این از نیزنگ شما زنان است که نیزنگتان بزرگ است)؟ پس دیگر چه جای آن بود که یوسف علیه السلام بگوید: من پیشنهاد پرسش از زنانِ دربار را به‌میان آوردم تا عزیز مصر بداند که نسبت بدو در غیابش خیانت نکرده‌ام؟!

۱- از همین رو پادشاه بلافاصله دستور داد تا یوسف را از زندان به نزد وی آورند: قَالَ الْمَلِکُ اَتْتَنِیْ بِهٖ...

اساساً یوسف علیه السلام در صدد نبود تا عزیز مصر را از پاکدامنی و خیانت نکردن خود، دوباره باخبر سازد زیرا به تصریح قرآن مجید، عزیز مصر و اطرافیانش پس از دیدن نشانه‌های صدق یوسف، تصمیم گرفتند تا او را چندی زندانی کنند شاید سروصدای حادثه خاموش گردد و آبروی خانوادگی عزیز حفظ شود همانگونه که قرآن کریم می‌فرماید: ﴿ثُمَّ بَدَأْ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿۲۵﴾﴾ [سپس به نظرشان آمد بعد از اینکه نشانه‌های (صداقت یوسف را) دیدند، او را تا مدتی زندانی کنند]. بنابراین دیگر جایی برای آگاه ساختن عزیز بر بی‌گناهی یوسف علیه السلام نمانده بود. اما یوسف می‌خواست تا نظر پادشاه مصر (ونه عزیز مصر) را بر بی‌گناهی خود جلب کند از اینرو به رفیق زندانش که قرار بود ساقی پادشاه شود گفت: پس از آزادی، مرا نزد سرورت یاد کن (أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) و نیز برای اثبات پاکدامنی خود به سوی شاه پیام فرستاد تا از زنانِ درباری پرس و جو کند و ماجرای مجلس زلیخارا بپرسد. در اینجا بود که با گواهی زنان دربار که گفتند: ﴿حَشَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ زلیخا به اعتراف ناگزیر شد و از «وَسَوْسَةٌ نَفْسٍ» سخن گفت و یوسف را تبرئه نمود.

برخی از مفسران باور نکرده‌اند که زلیخا در مقام تعلیل از لغزش خود، وسوسه «نفسِ اماره» را یاد کند و نجات از شرّ نفس را موکول به رحمت خداوند شمارد. چنانکه صاحب تفسیر «المیزان» مرقوم داشته است: «لَيْسَ بِالْحَرِيِّ أَنْ يَصْدُرَ مِنْ امْرَأَةٍ أَحَاطَتْ بِهَا الْأَهْوَاءُ»^(۱) (سزاوار نیست که این سخنان از زنی سرزده باشد که هواهای نفسانی او را احاطه کرده بودند!) ولی آیا سزاوار است که یوسف پاک‌نفس - آنهم در مظان اتهام - گفته باشد: مرا نفسِ اماره، بسیار به بدکاری فرمان می‌دهد^(۲) مگر خدایم رحم کند! ﴿إِنَّ

۱- به تفسیر المیزان، ج ۱۱، ص ۲۱۹ نگاه کنید.

۲- باتوجه به اینکه لفظ «أماره» صیغه مبالغه است.

النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴿۱۰۱﴾ آیا این سخن، زینده نفس یوسف است که از پاکترین نفوس بشری بود یا سزاوار نفس زلیخا؟!

به علاوه، زلیخا سالهایی را پس از آن حادثه، پشت سر گذاشته بود با اینحال، از کجا می-توان اثبات کرد که در طی آن مدت و بعد از آن رسوایی، از کار خود در دل پشیمان نشده بود و در احاطه همان «هواهای نفسانی» قرار داشت؟ مگر او نبود که به تصریح قرآن گفت: ﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدُهُمْ عَنْ نَفْسِهِمْ وَإِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿۱۰۱﴾» اینک حق، ثابت و آشکار شد، من بودم که کام از او خواستم و او از راستگویان است» چرا این اعتراف را به زلیخا نسبت می دهیم ولی دنباله اش را از وی بعید می دانیم و انکار می کنیم؟!

* * *

نکته‌ای از سوره رعد

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۗ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿۱۲﴾﴾ شاهد رسالت پیامبر ﷺ

در ترجمه آیه فوق مشکلی وجود ندارد و مترجمان قرآن کریم همگی آیه شریفه را تقریباً بدین صورت ترجمه کرده‌اند: «و کسانی که به کفر گراییده‌اند می‌گویند تو فرستاده (خدا) نیستی، بگو کافی است که خدا میان من و میان شما شاهد باشد و آن‌کس که دانش کتاب نزد اوست». فهم اینکه خداوند بر رسالت پیامبر شاهد بوده، دشوار نیست زیرا خدایتعالی با نزول قرآن به‌سوی فردی درس‌ناخوانده و اُمّی، برحقیقت رسالت وی گواهی داده‌است و اثبات نموده که معلومات دینی او از علم الهی سرچشمه گرفته است چنانکه در آیه ۱۶۶ از سوره نساء می‌فرماید: ﴿لَٰكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ بِمَاۤ اَنْزَلَ اِلَيْكَ ۗ اَنْزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ (ولی خدا بدانچه به‌سوی تو نازل کرده شهادت می‌دهد که آن را بنا بر دانش خود فرو فرستاده است). چیزی که درباره آن، مفسران به اختلاف سخن گفته‌اند، بخش اخیر آیه شریفه یعنی: «مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» است. برخی از اهل تفسیر چون حسن بصری و مجاهد و سعید بن جبیر، آن کس را (که دانش کتاب نزد اوست) حضرت باریتعالی دانسته‌اند ولی این قول به تکرار در آیه کریمه می‌انجامد و به‌علاوه بنابراین تفسیر، لازم می‌آید که عطف صفت بر موصوف در آیه شریفه صورت پذیرفته باشد و این کار با بلاغت قرآن مجید سازگار نیست. برای فرار از این اشکال، مفسران مزبور به اختلاف قرائت

روی آورده‌اند و آیه شریفه را به صورت «وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ» خوانده‌اند^(۱) که قرائتی شاذّ و مخالف با قرائت مشهور است و به قول طبری: قاریان قدیم حجاز و عراق و شام همگی آیه کریمه را برخلاف این قرائت خوانده‌اند^(۲). مفسران شیعی، تعبیر «وَمِنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» را با امیرمؤمنان علی علیه السلام تطبیق داده‌اند و گفته‌اند که آیه درباره‌ی ایشان نازل شده است چنانکه در تفسیر مجمع‌البیان و روح‌الجنان و المیزان ملاحظه می‌شود. این قول هرچند بنابر این اعتبار، صحیح است که امیرمؤمنان علی علیه السلام دانای قرآن بلکه آموزگار قرآن، پس از رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم بوده است ولی این آیه را نمی‌توان با آن بزرگوار تطبیق داد زیرا آیه کریمه در مقام احتجاج با مخالفان برآمده و از شاهی بر رسالت پیامبر صلی الله علیه و آله و سلم سخن می‌گوید و در جایی که کفار سخن خود پیامبر صلی الله علیه و آله و سلم را - که دانایتر به کتاب خدا بوده - نمی‌پذیرفتند، چگونه گواهی شاگرد پیامبر صلی الله علیه و آله و سلم را درباره‌ی او می‌توانستند قبول کنند؟! اگر کسی در مثل به منکران ادعای خود بگوید: فرزندم مرا تصدیق می‌کند و او گواه من است! آیا می‌تواند انتظار داشته باشد که منکرانش، سخن فرزندش را درباره‌ی وی بپذیرند؟! و آیا اینگونه احتجاج با مخالفان اساساً صحیح است؟

قول سوم (که اصحّ اقوال شمرده می‌شود) آنستکه مراد از آیه شریفه: فردی (یا افرادی) از علمای اهل کتابند که بنا بر بشارات کتب پیشین، می‌توانستند رسالت پیامبر اسلام صلی الله علیه و آله و سلم را به اثبات رسانند و بر صدق دعوی ایشان گواه باشند چنانکه از ابن عباس و دیگران گزارش شده است و در تفسیر مجمع‌البیان از این قول بدینصورت تعبیر نموده که: «أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ»^(۳) (مراد از آن، مؤمنان اهل کتابند)^(۱). ولی بلافاصله در مجمع‌البیان (و نیز در تفسیر المیزان) بر این قول اشکال شده است که سوره شریفه رعد

۱- به تفسیر طبری، ج ۱۳، ص ۵۸۴ نگاه کنید.

۲- به تفسیر طبری، ج ۱۳، ص ۵۸۷ بنگرید.

۳- به تفسیر مجمع‌البیان، جزء ۱۳، ص ۱۹۲ نگاه کنید.

در مکه نزول یافته و گواهان اهل کتاب، در مدینه ایمان آورده بودند. پس چگونه می‌توان آنان را با این آیه شریفه تطبیق داد؟! پاسخ ما آنستکه: در همین سوره درباره ایمان عده‌ای از اهل کتاب به قرآن مجید سخن رفته است و معلوم می‌شود که خبر نزول قرآن و دعوت پیامبر اسلام ﷺ، به آنان رسیده بود چنانکه در آیه ۳۶ از سوره رعد می‌فرماید:

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ «کسانی که کتاب به ایشان داده‌ایم از آنچه به‌سوی تو نازل شده است (یعنی قرآن) شادمانی می‌کنند» و ما می‌دانیم که بنا بر اطلاقات قرآن مجید، مراد از «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» یهود و نصاری... هستند چنانکه صاحب تفسیر المیزان ذیل آیه مذکور مرقوم داشته است: «الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى (أَوْ هُمُ وَالْمَجُوسُ) فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْمَعْهُودُ مِنْ إِطْلَاقَاتِ الْقُرْآنِ»^(۱) «ظاهر آنستکه مراد از کسانی که کتاب به ایشان داده شده، یهود و نصاری (یا آندو دسته و مجوس) هستند که این معنا از اطلاقات قرآن شناخته می‌شود».

در تاریخ اسلام نیز خوانده‌ایم که گروهی از مردم مدینه برای زیارت کعبه، به مکه می‌آمدند و پیامبر اکرم اسلام ﷺ موقع را مغتنم می‌شمردند و آنان را به قبول اسلام فرا می‌خواندند چنانکه ذکر اسلام و بیعت ایشان در «عقبه اول» و «عقبه دوّم» ضمن کتب سیره و تاریخ آمده است^(۲). این گروه‌ها پس از بازگشت به مدینه، مردم آن‌شهر را به اسلام دعوت می‌نمودند و چون یهودیان مدینه با اهالی آنجا رابطه داشتند از رسالت پیامبر و نزول قرآن مجید، خبر می‌یافتند و از آنجا که بنابر آیه ۸۹ از سوره بقره، در انتظار پیامبر

۱- المیزان، ج ۱، ص ۴۰۹.

۲- به سیره ابن هشام، ج ۲، ص ۲۷ به بعد، تحت عنوان «بَدْءُ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ» و تاریخ طبری، ج ۲، ص ۳۵۳ به بعد، نگاه کنید.

جدیدی بودند، برخی از آنان رسالت نبوی را تصدیق می نمودند^(۱) و از اینرو در چند سوره از سُورِ مَكِّي - در برابر مشرکان - بر ایمان آنان احتجاج شده است. به عنوان نمونه در سوره کریمه شعراء آیه ۱۹۷ می فرماید: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آیا برای ایشان نشانه‌ای نیست که دانایان بنی اسرائیل قرآن را می-شناسند؟!.) و در آیه ۱۰ از سوره شریفه أحقاف می فرماید: ﴿وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ (شما به قرآن کفر ورزیدید ولی شاهی از بنی اسرائیل به مانند آن گواهی داده است). که مراد از آن شاهد، عبدالله بن سلام از علمای یهود بوده است و لذا از خود وی گزارش نموده اند که گفت: **أُنزِلَ فِيَّ: قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**^(۲) (آیه مزبور، درباره من نازل شده است) و البته سخن وی را قرآن مجید، تصدیق می نماید و گروهی از مفسران قدیم نیز بر این قول رفته اند.

* * *

۱- در تفسیر المیزان (ج ۱۱، ص ۴۱۰) آمده است: «وَقَدْ اثْبَتَ التَّارِيخُ أَنَّ الْيَهُودَ مَا كَانُوا يُعَانِدُونَ النَّبِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي أَوَائِلِ الْبَعْتَةِ وَقَبْلِهَا ذَاكَ الْعِنَادُ الَّذِي سَاقَتْهُمْ إِلَيْهِ حَوَادِثُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ» (تاریخ ثابت کرده است که یهود در اوائل بعثت و پیش از آن، نسبت به نبوت عربی لجاجت نمی ورزیدند، همان لجاجتی که رویدادهای بعد از هجرت آنان را به سوی خود سوق داد).

۲- به تفسیر طبری، ج ۱۳، ص ۵۸۲ نگاه کنید.

نکته‌ای از سوره ابراهیم

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ حَمِيْعًا فَقَالَ الْضُّعَفَتُوْا لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا اِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ اَنْتُمْ مُّغْنُوْنَ
عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قَالُوْا لَوْ هَدٰنَا اللّٰهُ هَدٰيْنٰكُمْ ۗ سَوَآءٌ عَلَيْنَا اَجْرَعْنَا اَمْ
صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٤﴾ گفتگوی ضعفاء با مستکبران!

در این آیه شریفه صحنه‌ای از روز رستاخیز جلوه‌گر شده که در آنجا همگی در پیشگاه خداوند حضور دارند تا پاداش و کیفر کارخویش را ببینند. افراد ضعیف‌النفس به مستکبران و گمراه‌کنندگان خود گویند: ما در دنیا پیرو شما بودیم آیا امروز می‌توانید بخشی از عذاب خدا را از ما دور کنید؟ مستکبران پاسخ می‌دهند: ﴿لَوْ هَدٰنَا اللّٰهُ هَدٰيْنٰكُمْ﴾ (اگر خدا ما را رهنمایی کرده بود ما نیز شما را هدایت می‌کردیم)؛ معنای این جمله چیست؟ این پاسخ با آن پرسش چه ارتباطی دارد؟

مترجمان و مفسران قرآن مجید در این باره به اختلاف سخن گفته‌اند. برخی از ایشان، سخن مزبور را به «هدایت در دنیا» مربوط دانسته‌اند چنانکه یکی از آنان مرقوم داشته است: [در پاسخ می‌گویند: اگر خداوند ما را (به راه رستگاری) رهنمود می‌کرد، ما هم شما را به (راه نجات) رهنمود می‌کردیم (ولی ما خود گمراه بودیم و شما را نیز گمراه کردیم)^(۱)]. دیگری نیز به اختصار نوشته است: «اگر ما را از خدا سعادت هدایت بود، ما هم شما را هدایت می‌کردیم^(۲)»! این برداشت از مفهوم هدایت در آن مرحله،

۱- به ترجمه و تفسیر نور، اثر آقای مصطفی خرم‌دل نگاه کنید.

۲- به ترجمه قرآن از آقای مهدی الهمی قمشه‌ای بنگرید.

درست نیست زیرا پاسخ مستکبران با سؤال مریدان خود مناسب به نظر نمی‌رسد. ضعفاء در اینجا سؤال نمی‌کنند که چرا شما ما را به راه راست هدایت نکردید تا مستکبران پاسخ دهند که خود ما از هدایت الهی محروم بودیم و گرنه، شما را رهنمایی می‌کردیم^(۱)! سؤال مریدان این خواهد بود که: آیا اینک می‌توانید چیزی از عذاب خدا را از ما کاسته و ما را کفایت کنید؟ بنابراین، مقصود از ﴿لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ هَدَيْنَاكُمْ﴾ راه یافتن به «تخفیف عذاب» یا رفع آن است که برای خود مستکبران ممکن نبود، نه هدایت در دنیا به راه راست که هنگامش سپری شده بود! و از اینرو در پی آن سخن آمده که مستکبران گویند: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (بر ما یکسان است که زاری و بی-تابی کنیم یا شکیبایی ورزیم، برای ما هیچ گریزگاهی نیست). این معنای سراسر است و استوار را نه تنها برخی از مترجمان قرآن بلکه متأسفانه بعضی از مفسران محترم نیز دریافته‌اند. زمخشری با آن چیرگی در ادب عربی و تسلط در تفسیر، پاسخ مستکبران را به ضعفاء چنین بیان می‌کند که: «أَنَّ اللَّهَ لَوْ هَدَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ لَهَدُوهُمْ وَلَمْ يُضِلُّوهُمْ إِنَّمَا مُورِكِينَ الذَّنْبِ فِي ضَلَالِهِمْ وَإِضْلَالِهِمْ عَلَى اللَّهِ»^(۲). (اگر خدا مستکبران را به ایمان رهنمون شده بود، ضعفاء را هدایت می‌کردند و گمراهشان نمی‌ساختند در حالی که مستکبران، گناه را در گمراهی خود و گمراه کردن دیگران، به خدای (سبحان) نسبت می‌دهند!!).

آیه شریفه مورد بحث، در سوره مبارکه غافر نظیری دارد که مسئله را روشنتر می‌کند، در آنجا می‌فرماید: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ

۱- هر چند ضعفاء این اعتراض را در مرحله دیگر به میان خواهند آورد. به سوره کریمه سبأ آیه ۳۱ و ۳۲ و ۳۳ نگاه کنید.

۲- به تفسیر کشاف، ج ۲، ص ۵۴۹ بنگرید. (زمخشری در پایان تفسیر آیه با تعبیر «قیل» که برای قول ضعیف می‌آید به معنای صحیح آیه اشاره می‌کند).

فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ [مؤمن: ۴۷-۴۸] «آنگاه که در میان آتش بایکدیگر محاجه می‌کنند پس ضعفاء به مستکبران می‌گویند ما (در دنیا) پیرو شما بودیم اینک می‌توانید نصیبی از آتش را از ما بازگردانید؟ مستکبران پاسخ می‌دهند: ما همگی در آتش هستیم (اگر می‌توانستیم عذاب را از خودمان بازمی‌داشتیم و گرفتار آتش نمی‌شدیم!) همانا که خدا در میان بندگان داوری فرموده است.»

مشکل کار مترجمان و مفسرانی که به مفهوم درست آیه کریمه پی نبرده‌اند از آنجاست که گمان کرده‌اند هر آیه‌ای از قرآن مجید که ذکر «هدایت» در آن رفته، مقصود، هدایت به راه راست پیامبران است در حالیکه چنین نیست. در قرآن کریم می‌خوانیم که خدای تعالی درباره کافران، به فرشتگان (در روز بازپسین) دستور می‌دهد که: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (آنان را به راه دوزخ هدایت کنید!) یا در باره مستضعفان می‌فرماید: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ۹۸] (توانایی هیچ راه‌کاری را ندارند و به هیچ طریقی، هدایت نمی‌شوند).

جای مسرت است که بعضی از مترجمان محترم قرآن، معنای آیه شریفه را به خوبی دریافته‌اند^(۱) و نیز برخی از مفسران گرانمایه حق تفسیر را در اینباره اداء کرده‌اند چنانکه، ابو جعفر طبری در تفسیر «جامع البیان» می‌نویسد:

يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ: قَالَتِ الْقَادَةُ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ لِبَّاعِيهَا - لَوْ هَدَانَا اللَّهُ - يَعْنُونَ: لَوْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَنَا شَيْئًا نَدْفَعُ بِهِ عَذَابَهُ عَنَّا الْيَوْمَ - هَدَيْنَاكُمْ - لَبَيَّنَّا ذَلِكَ لَكُمْ حَتَّى تَدْفَعُوا بِهِ الْعَذَابَ عَن أَنْفُسِكُمْ^(۲).

یعنی: خدای تعالی می‌فرماید: پیشوایان کفر، به پیروانشان گویند اگر خدا ما را هدایت کرده بود یعنی راهی را برایمان روشن ساخته بود که از آن راه عذابش را امروز از خود

۱- از میان آنان می‌توان از آقایان مجتبی و استادولی و موسوی گرمارودی... نام برد.

۲- به تفسیر «جامع البیان»، ج ۱۳، ص ۶۲۶ نگاه کنید.

دفع کنیم، حتماً شما را هدایت می‌کردیم یعنی قطعاً برای شما روشنگری می‌نمودیم تا از آن طریق، عذاب را از خودتان دور سازید».

و همچنین شیخ ابوالفتوح رازی در تفسیر «روح الجنان» مرقوم داشته است:
 «مستضعفان گویند متکبران و جباران را، ما در دنیا تبع شما بودیم و به شما اقتداء کردیم، ما را از عذاب هیچ کفایت خواهید کردن؟ و بعضی از عذاب ما برخواهید داشتن؟... مستکبران گویند: (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ...) اگر خدای ما را هدایت دادی و راه نمودی به خلاصی، ما نیز شما را راه می‌نمودیم. چون ما را برای خود راه خلاصی پیدا نیست برای شما چه خواهیم کردن؟!^(۱)» و همین است معنای صحیح آیه شریفه.

* * *

۱- به تفسیر «رُوحُ الْجِنَانِ وَ رُوحُ الْجَنَانِ»، ج ۳، ص ۲۱۴ بنگرید.

نکته‌ای از سوره حِجْرِ

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

بادهای بارورکننده!

خدای تعالی در آیه فوق می‌فرماید: «بادها را بارورکنان فرستادیم، پس از آسمان آبی فرودآوردیم که شمارا بدان سیرابان کردیم و شما خزانه‌دار آن نبودید». درباره این سؤال که بادها چه چیزی را بارور می‌کنند؟ مترجمان و مفسران قرآن، پاسخهای گوناگون داده‌اند و اغلب به نکته دقیقی در آیه شریفه توجه نکرده‌اند. از مترجمان قرآن کریم، یکی نوشته است: «ما بادها را باردارکننده [درختان] فرستادیم»^(۱). دیگری مرقوم داشته: «بادها را بارورسازان [ابرها] فرستادیم»^(۲). ترجمه دیگر، ابر و گیاه را قرین هم ساخته و نوشته است: «ما بادها را برای بارورساختن [ابرها و گیاهان] فرستادیم»^(۳).

مفسران قدیم قرآن مجید نیز مانند مترجمان، به اختلاف سخن گفته‌اند. طبری از قول ابن عباس گزارش نموده که در تفسیر آیه شریفه گفت: **تُلْقِحُ السَّحَابِ**^(۴) (بادها، ابرها را باردار می‌کنند) و از حسن بصری نقل کرده که گفت: **لَوَاقِحَ لِلشَّجَرِ**^(۵) (بادها برای درختان، بارورکننده هستند).

۱- به ترجمه قرآن از آقای مجتبوی نگاه کنید.

۲- به ترجمه قرآن از آقای داریوش شاهین بنگرید.

۳- به ترجمه قرآن از آقای مکارم شیرازی نگاه کنید.

۴- تفسیر طبری، ج ۱۴، ص ۴۴.

۵- تفسیر طبری، ج ۱۴، ص ۴۵.

مفسران جدید نیز هرکدام رأیی را برگزیده‌اند. صاحب «محاسن التأویل» می‌نویسد: «تُلْقِحُ السَّحَابَ أَي تَجْعَلُهَا حَوَامِلَ بِالمَاءِ»^(۱) (بادها، ابرها را باردار می‌سازند یعنی آن‌ها را از آب بارور می‌کنند). در تفسیر «المیزان» بادها را آبستن‌کننده درختان (لقاح نباتی) معرفی نموده است.^(۲) صاحب تفسیر «المُنیر» هردو وجه را بایکدیگر جمع کرده^(۳) چنانکه تفسیر «التَّحْرِیرِ وَالتَّنْوِیرِ» نیز بر این قول اعتماد نموده است و آن را دلیل بر بلاغت آیه شریفه می‌شمرد و می‌نویسد: «وَمِنْ بِلَاغَةِ الآیَةِ إِیرَادُ هَذَا الوَصْفِ لِإِفَادَةِ کَلَامِ العَمَلِینِ اللَّذِینَ تَعْمَلُهُمَا الرِّیَاحُ»^(۴) (از بلاغت آیه آنست که این وصف را برای افاده هردو کار ایراد نموده که بادها اجراء می‌کنند).

متأسفانه اکثر این تراجم و تفاسیر از توجه به نکته ظریفی غفلت کرده‌اند و آن اینست که آیه کریمه پس از ذکر «لواقح»، با حرف «فاء» اثر بادها را توضیح می‌دهد که همان ریزش باران است ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ و این امر با بارورکردن ابرها مناسبت دارد، نه آبستن کردن درختان! در آیه شریفه کمترین اشاره‌ای به درختان دیده نمی‌شود و اطلاعات بیرون از قرآن (که بادها منشأ تلقیح نباتات هستند) نباید ما را از فهم دلالت آیه مزبور منحرف سازد و معنای ذهنی خود را به آیه تحمیل نماییم. از مفسران جدید، سید قطب (رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى) بدین نکته توجه نموده و حق مطلب را اداء کرده است.^(۵)

۱- تفسیر «محاسن التأویل» اثر شیخ جمال‌الدین قاسمی، ج ۱۰، ص ۳۷۵۳.

۲- تفسیر المیزان، ج ۱۲، ص ۱۵۲.

۳- تفسیر «المُنیر» اثر شیخ وهبة الزحیلی، ج ۱۴، ص ۲۵.

۴- التَّحْرِیرِ وَالتَّنْوِیرِ، اثر شیخ محمدطاهر ابن عاشور، ج ۶، ص ۳۸.

۵- به تفسیر «فی ظلال القرآن» اثر آن‌مرحوم، ج ۴، پاورقی ص ۲۱۳۴ نگاه کنید.

با دقت در آیات قرآنی ملاحظه می‌کنیم که قرآن مجید مکرر از تأثیر بادهای در تراکم ابرها، برای نزول باران سخن گفته است. آیات شریفه ذیل شاهد این مدعا است:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ [الأعراف: ۵۷].

یعنی: «اوست آنکس که بادهای را برای نوید دادن پیشاپیش رحمت خود می‌فرستد تا چون ابری سنگین را حمل کند آن را به سرزمینی مُرده می‌رانیم سپس آب را از آن فرومی‌فرستیم...».

و نیز می‌فرماید:

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَزَّلِي الْوَدَقَ تَخْرُجُ مِنْ خَلَلِهِ﴾ [الروم: ۴۸].

یعنی: «خداست آنکس که بادهای را می‌فرستد تا ابری را برانگیزند سپس آن را در آسمان هرگونه که بخواهد می‌گستراند و آن را پاره‌های متراکم می‌سازد پس، دانه باران را می‌بینی که از خلال آن بیرون می‌ریزد...»
و همچنین فرموده است:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدَقَ تَخْرُجُ مِنْ خَلَلِهِ﴾ [النور: ۴۳].

یعنی: «آیا ندیدی که خدا ابری را می‌راند سپس اجزاء آن را گردمی‌آورد پس انبوهش می‌سازد آنگاه باران را می‌بینی که از خلال آن بیرون می‌ریزد...».

حتی قرآن کریم در سیاق قسم، از ابرهایی که آبستن بارانند یاد نموده و می‌فرماید: ﴿فَالْحَمَلَتِ وَقْرًا﴾ (پس سوگند به ابرهایی که حامل باری گرانند). اما از آبستن شدن درختان به وسیله بادهای سخنی در قرآن کریم نمی‌یابیم. شاید دلیلش آن باشد که تلقیح

نباتات، بر همه کس آشکار نیست و قرآن مجید معمولاً از آیات آشکار طبیعت برای نمایش قدرت و حکمت خدایتعالی شاهد می‌آورد.

* * *

نکته‌ای از سوره نحل

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ ۚ فَسْئَلُوْا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾

﴿۱۳﴾ درباره اهل ذکر

در تفسیر این آیه شریفه میان مفسران اختلاف است که «اهل ذکر» چه کسانی؟ طبری از قول «ابن زید» آورده که آن‌ها «اهل قرآن» هستند و طبرسی از ابو جعفر باقر علیه السلام نقل کرده که فرموده: نَحْنُ اَهْلُ الذِّكْرِ (ما اهل ذکر هستیم). و از ابن عباس و مجاهد آورده‌اند که اهل ذکر در اینجا، علمای اهل کتاب یا اهل تورات شمرده می‌شوند و برای هر یک از این اقوال، شاهی نیز آورده است. گواه ابن زید آنستکه قرآن کریم در آیاتی چند، خود را «ذکر» نامیده مانند: ﴿اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنَّا لَهُ لَحٰفِظُوْنَ ﴿۱۰﴾ [الحجر: ۹] و امثال آن، بنابراین، اهل قرآن همان اهل ذکر به‌شمار می‌آیند. در تفسیر «المیزان» می‌خوانیم که مراد از «ذکر»، محمد صلی الله علیه و آله و سلم است و گواهی آیه شریفه: ﴿قَدْ اَنْزَلَ اللهُ اِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿۱۰﴾ رَسُوْلًا ﴿۱۱﴾ [الطلاق: ۱۰-۱۱] است پس اهل ذکر همان خاندان رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم هستند^(۱). اما کلمه ذکر در قرآن کریم برای تورات موسی علیه السلام نیز به‌کار رفته چنانکه می‌فرماید: ﴿وَلَقَدْ اَتَيْنَا مُوسٰى وَهٰرُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِيْنَ ﴿۱۸﴾ [الانبیاء: ۸] بنابراین اهل ذکر، به قول ابن عباس علمای اهل کتاب (تورات) اند.

ما برای حل این اختلاف، مانند همیشه لازم است به خود قرآن مجید بازگردیم و کتاب-خدا را در اینباره «حکم» قرار دهیم. آیه شریفه مورد بحث، نظری در سوره انبیاء صلی الله علیه و آله و سلم دارد.

۱- المیزان، ج ۱۲، ص ۳۰۲ (ذیل بحث روایی).

در آنجا می‌فرماید: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿۸﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿۹﴾﴾ [الأنبياء: ۷-۸] یعنی: «و ما پیش‌از تو جُز مردانی را به رسالت نفرستادیم، پس از اهل ذکر - اگر نمی‌دانید - پرسید * و ما آن‌ها را پیکری قرارندادیم که غذا نخورند و آنان جاویدان نبودند». این آیات شریفه در پاسخ به ایراد مشرکان آمده که می‌گفتند: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [آیا این (محمد ﷺ) جُز بشری همانند شما است؟! چنانکه در آیه سوّم از همان سوره انبیاء ملاحظه می‌کنیم. بنابراین معلوم می‌شود که پرسش از اهل ذکر، مربوط به این امر است که آیا پیامبران گذشته (مانند ابراهیم و اسحق و یعقوب و یوسف و موسی و هارون و جُز ایشان) مردانی از جنس بشر بودند؟ یا تنها محمد ﷺ است که با وجود بشریت، ادعای رسالت می‌کند؟ پس هنگامی که «موضوع سؤال» مشخص شد، آنگاه یافتن کسانی که باید از آن‌ها جواب سؤال را فراگرفت، آسان می‌گردد. و واضح است که امامان اهل بیت علیهم السلام یا اهل قرآن، مرجع سؤال کافران نبودند زیرا آن‌ها جواب رسول اکرم ﷺ را در پاسخ خود قبول نداشتند تا چه رسد به آنکه خاندان و شاگردان وی را مرجع پرسش قرار دهند و پاسخ آنان را بپذیرند! سؤال، از بشریت پیامبران گذشته بوده است و پاسخ را می‌توانستند از علمای تورات بپرسند که همگی به بشریت انبیاء سلف، اذعان داشتند. بنابراین، هر چند اهل بیت رسول الله ﷺ و نیز اهل قرآن، اهل ذکر شمرده می‌شوند ولی مقصود از آیه ۴۳ سوره نحل و آیه ۷ سوره انبیاء، جُز علمای تورات، کسی نبوده است^(۱) و اساساً این سؤال یا شبهه در قرآن کریم از قول مشرکان، مکرر مطرح شده

۱- برخی اشکال نموده‌اند که چگونه ممکن است قرآن کریم، مردم را به علمای اهل کتاب ارجاع دهد؟ با اینکه ممکن است ایشان پرسندگان را از اسلام منحرف سازند! باید دانست که قرآن مردم را در همه موارد به علمای اهل کتاب ارجاع نداده (تا آنان را گمراه سازند!) بلکه در اینجا تنها پرسش از بشریت انبیاء سلف مطرح شده که از علمای مزبور پرسیده شود.

و منحصر به آیات مذکور نیست. اما قرآن مجید به صورتهای گوناگون بدان شبهه پاسخ می‌دهد. مثلاً در سوره کریمه «اسراء» می‌فرماید: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَسِّحُونَ بِأَيْدِيهِمْ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الاسراء: ۹۴-۹۵] یعنی: «هیچ چیز این مردم را - چون هدایت به سویشان آمد - از اینکه ایمان آورند، بازداشت جز همین که گفتند: آیا خدا، بشری را به رسالت فرستاده است؟ بگو اگر در زمین فرشتگانی گام می‌زده و مستقر بودند، همانا بر آنها فرشته‌ای را از آسمان به رسالت فرومی‌فرستادیم». چنانکه ملاحظه می‌شود، شبهه‌ای که قرآن کریم در اینجا از قول کافران مطرح فرموده، همان ایرادی است که در آیه سوم از سوره انبیاء می‌خوانیم و قرآن در این - سوره به شکل دیگری (یعنی تناسب مُرْسَلٌ بِمُرْسَلٍ عَلَيْهِمْ) آن را پاسخ داده است.

* * *

نکته‌ای از سورهٔ اسراء

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِاهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَاتَبَتَعَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾^(۱) رهیابی

به سوی خداوند عرش

آیه شریفه می‌فرماید: «بگو اگر با او معبودهایی بودند - چنانکه (مشرکان) می‌گویند - آنگاه ایشان به سوی خداوند عرش، راهی می‌جستند». آیا این آیه کریمه چه مفهومی را می‌رساند؟ زمخشری در تفسیر «کشاف» این قول را در تفسیر آیه مزبور برگزیده که: «لَطَّبُوا إِلَىٰ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالرُّبُوبِيَّةُ سَبِيلًا بِالْمُغَالَبَةِ»^(۱) یعنی: «(اگر با خداوند عرش، معبودهایی بودند) ایشان بر آن می‌شدند تا به سوی کسی که پادشاهی و ربوبیت از آن اوست، راهی را برای غلبه بجویند». همین معنا را صاحب تفسیر المیزان اختیار نموده و می‌نویسد: «أَيَّ طَلَّبُوا سَبِيلًا إِلَيْهِ لِيَغْلِبُوهُ»^(۲) «عَلَىٰ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ»^(۳). یعنی: «آنان راهی به سوی وی می‌جستند تا بر کسی که پادشاهی از آن اوست غلبه کنند». معنای مذکور را آلوسی در تفسیر «روح المعانی» نیز آورده و از آن دفاع می‌کند.^(۴)

چند تن از مترجمان قرآن نیز از این تفسیر تبعیت نموده‌اند و در ترجمه آیه کریمه نوشته‌اند: «بگو اگر با او خدایان دیگری بود - چنانکه آنان گویند - آنگاه همه به خدای صاحب عرش راهی می‌جستند [تا او را از خدایی فروکشند و خود فرمانروای جهان

۱- الکشاف، ج ۲، ص ۶۶۹

۲- ضمیر در «لِيَغْلِبُوهُ» زائد است و «لِيَغْلِبُوا عَلَىٰ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ» صحیح است.

۳- المیزان، ج ۱۳، ص ۱۱۳.

۴- روح المعانی، ج ۱۵، ص ۱۱۳.

گردند^(۱)». یا نوشته‌اند: «بگو اگر با او معبودانی (دیگر) بودند چنانکه (خود) می‌گویند آنگاه هریک سوی صاحب عرش راهی (برای مقابله و مبارزه) می‌جستند^(۲)». یا مرقوم داشته‌اند: «بگو اگر می‌بود با خدا معبودان دیگر - چنانکه می‌گویند - آنگاه طلب می‌کردند به سوی خداوند عرش، راه مُنازعت را^(۳)» و امثال این ترجمه‌ها.

بر این تفاسیر و ترجمه‌ها، از دیدگاه قرآنی اشکالی دقیق وارد است زیرا در آیه شریفه، رهیابی به سوی خداوند عرش با کلمه «إلی» همراه شده، نه با کلمه «علی» تا بر مفهوم استعلاء و غلبه دلالت نماید. یعنی در آیه کریمه نیامده: «إِذَا لَا تَبْغُوا عَلَي ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا» درحالی‌که رسم قرآن کریم اینست که راه جستن برای غلبه بر کسی را با کلمه «علی» قرین می‌کند مانند: ﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ۳۴] و نیز: ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ۹۰] و همچنین: ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ﴾ [الشوری: ۴۱] و نیز: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [الشوری: ۴۲]. و هنگامی که قرآن می‌خواهد از راه تقرّب به خدا سخن گوید واژه «إلی» را به میان می‌آورد چنانکه می‌فرماید: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ۵۷] یا می‌فرماید: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ۱۹]. بنابراین، در آیه شریفه، از منازعه و غلبه برخدای سبحان سخن نرفته بلکه از تقرّب به سوی خداوند عرش سخن به میان آمده است چنانکه مفسران اقدم قرآن هم بر این قول رفته‌اند. در حقیقت آیه شریفه در مقام طعن بر مشرکان آمده و می‌فرماید: اگر به فرض محال^(۴) معبودهای دیگری -

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای حسین استادولی نگاه کنید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای مسعود انصاری بنگرید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر محدث دهلوی نگاه کنید.

۴- کلمه «لو» در «لو كان معه آلهة» به اصطلاح نحوی «امتناعیه» به‌شمار می‌آید و در اینحال برای فرض محال به‌کار رفته است.

چنانکه شما پنداشته‌اید - وجود داشتند در آن صورت، همگی به فرمانروای کلّ عالم که سررشتهٔ همهٔ امور را در دست دارد روی می‌آوردند و راهی به سوی تقرّب و رضایت او را می‌جستند، پس چرا شما به عبودیت غیر خدا تن داده‌اید و راه بندگی خداوند عرش را نمی‌سپرید؟! نکته اینجاست که آیهٔ شریفه از خداوند یکتا به «ذی العرش» تعبیر می‌نماید و عرش در اصطلاح قرآن کریم، مرکز فرمانروایی است چنانکه قرآن مجید، خداوند بخشنده را - پس از آفرینش آسمانها و زمین - بر عرش مستوی می‌شمرد ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۝ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝﴾ [طه: ۴-۵] و بدین ترتیب اشاره می‌نماید که خدای رحمن پس از آفرینندگی، جهان را وانگذاشته پادشاهی و فرمانروایی بر کائنات دارد. مشرکان عرب هم خدا را در مقام فرمانروای بزرگ جهان باور داشتند اما معبودهای موهومی را نیز عبادت می‌کردند و از اینجاست که قرآن کریم آنان را بر بندگی غیر خدا سرزنش می‌نماید.

شاهد معنایی که از آیهٔ شریفه برمی‌آید، آیهٔ دیگری در همین سورهٔ (اسراء) است که در آن می‌خوانیم:

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾ [الاسراء: ۵۶-۵۷].

یعنی: «بگو کسانی را که جز او پنداشته‌اید، بخوانید پس آن‌ها اختیار ندارند تا زیانی را از شما دفع کنند و نه آن را دگرگون سازند * آن کسانی که ایشان می‌خوانند، خود به سوی خداوندشان تقرّب می‌جویند...» و گواهی روشن قرآن در این مسئله ما را کفایت می‌کند. در عین حال همانطور که گذشت مفسران قدیمی قرآن نیز بر این قول رفته‌اند چنانکه ابوجعفر طبری و ابوعلی طبرسی در تفسیرشان از مجاهد وقتاده آورده‌اند که در معنای آیهٔ شریفه گفته‌اند: «لَطَلَبُوا طَرِيقًا يُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ مَالِكِ الْعَرْشِ وَالتَّمَسُّوا الرُّلْفَةَ عِنْدَهُ لِعَلِّمِهِمْ بَعْلُوهُ»

عَلَيْهِمْ وَعَظَمَتْهُ»^(۱) یعنی: «آن معبودهای فرض شده) راهی می‌جستند تا ایشان را به - خداوند عرش نزدیک کند و تقرّب نزدوی را درخواست می‌نمودند، چون برتری او را بر خود وعظمت وی را می‌دانستند».

با این همه، صاحب تفسیر «روح المعانی» و تفسیر «المیزان» از قول نخست دفاع نموده و آن را قوی‌تر شمرده‌اند و برای اثبات نظرشان، به آیه بعد تمسک جسته‌اند که می‌فرماید: ﴿سُبْحٰنَهُۥ وَتَعٰلٰی عَمَّا یُقُوْلُوْنَ عُلُوًّا کَبِیْرًا ﴿۴۳﴾ [الإسراء: ۴۳] (او منزّه و برتر است از آنچه می‌گویند، بسیار برتر!)

ولی به نظر ما، تنزیه این آیه شریفه که قول مشرکان را در اساس شرک، باطل می‌شمرد با مدلول فرضی آیه پیشین، ناسازگاری ندارد و گرنه لازم می‌آید که با مدلول روشن ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ نیز ناسازگار باشد که هیچ مفسّری آن را نمی‌پذیرد.

* * *

۱- جامع البیان، ج ۱۴، ص ۶۰۵ و مجمع البیان، ج ۱۵، ص ۵۲ (عبارت متن از مجمع البیان نقل شده است).

نکته‌ای از سوره کهف

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ ۖ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَاتٍ مِنْهُمْ رُجْبًا ﴿۱۸﴾﴾ ترسناک بودن اصحاب کهف!

در این آیه شریفه سخن از آن رفته که اگر کسی به غار اصحاب کهف^(۱) سر می‌کشید و بر اهل کهف می‌نگریست، از آنان روی برتافته گریزان می‌شد و سخت می‌ترسید ﴿وَلَمَلِكْتْ مِنْهُمْ رُجْبًا ﴿۱۸﴾﴾ مفسران قرآن در سبب ترسناک بودن آنها، اقوالی آورده‌اند که برخی از اقوال مزبور با قرآن کریم سازگار نیست. به‌عنوان نمونه زمخشری در تفسیر کشاف با تعبیر «قِيلَ» که معمولاً آن را برای نقل قول ضعیفی می‌آورند، چنین می‌نویسد: «قِيلَ لَطُولِ أَظْفَارِهِمْ وَشُعُورِهِمْ وَعَظْمِ أَجْسَامِهِمْ»^(۲)! (گفته شده که سبب ترسناک بودن ایشان، دراز شدن ناخن‌ها و موها و تنومندی اجسام آنان بوده است!) در تفسیر «کشف الأسرار» اثر میبدی نزدیک به همین معنا آمده و نوشته است: «لِأَنَّ أَظْفَارَهُمْ وَشُعُورَهُمْ طَالَتْ وَأَعْيُنُهُمْ مُفْتَحَةٌ»^(۳) (زیرا که ناخن‌ها و موهایشان دراز شده و چشمانشان باز بود!) شیخ طبرسی در تفسیر مجمع‌البیان نیز همین قول را آورده ولی آن را صحیح نمی‌شمرد.^(۴) شوکانی در «فتح‌القدیر» نیز با طبرسی هم‌عقیده است و این رأی را نادرست

۱- کهف به معنای غار وسیع است و هر غاری را کهف نمی‌گویند.

۲- تفسیر کشاف، ج ۲، ص ۷۰۹.

۳- کشف الأسرار، ج ۵، ص ۶۶۰.

۴- مجمع‌البیان، ج ۱۵، ص ۱۳۲.

می‌شمرد.^(۱) دیگر مفسران هم چندان عنایتی بدین قول ندارند، هرچند از نقل آن خودداری نورزیده‌اند! دلیل مردود بودن قول مذکور دو چیز است. اول آنکه در سوره شریفه کهف آمده چون اهل کهف از خواب طولانی خود بیدار شدند، ندانستند که چه مدت در آن غار بسربرده‌اند و به یکدیگر گفتند: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الکهف: ۱۹] (روزی یا بخشی از روز را در اینجا درنگ کردیم!) و واضحست که اگر مویها و ناخنهایشان آنچنان بلند شده بود، حتماً درمی‌یافتند که مدتی بسیار طولانی را در غار گذرانده‌اند. و هیچ سخنی هم از قول ایشان درباره تغییر اجسامشان در قرآن کریم نرفته است. دوم آنکه بنا بر گزارش مفسران، چون یکی از آن‌ها با سکه‌ای قدیمی از غار بیرون رفت تا غذایی برای یارانش بخرد، مردمان از شکل و هیئت وی ابداً شگفت زده نشدند بلکه از سکه‌ای که در دست داشت تعجب نمودند و گمان بردند که وی بر گنجی دست یافته است! طبری در تفسیرش می‌نویسد: «فَأَخَذَهَا الرَّجُلُ فَنَظَرَ إِلَى ضَرْبِ الْوَرَقِ وَنَقَشِهَا فَعَجَبَ مِنْهَا ثُمَّ طَرَحَهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا... يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَصَابَ كَنْزًا»^(۲)! یعنی: «آنمرد فروشنده، سکه را گرفت و بر نقش آن نظر افکند و در شگفت شد سپس آن را به سوی مرد دیگری از یارانش افکند و او نیز آن را نگاه کرد... و سرانجام یکی به دیگری گفت: این مرد به گنجی دست یافته است!» پس مردم آنروزگار از نقش سکه (که در زمان دقیانوس زده شده بود) تعجب کردند و بالأخره راز اصحاب کهف بر آن‌ها فاش شد (چنانکه در تفاسیر به تفصیل آمده است)، نه از شکل و شمایل آنکس که برای خرید طعام آمده بود. بنابراین، قول مزبور صحیح نیست و حق آنست که خدایتعالی اصحاب کهف و غارشان را ترسناک فرمود تا کسی بدانان سرزنزد و از احوالشان - تا رسیدن موعد

۱- فتح القدیر، ج ۳، ص ۲۷۵.

۲- تفسیر طبری، ج ۱۵، ص ۲۰۳.

مقرر- آگاه نگردد چنانکه شیخ طبرسی در تفسیرش مرقوم داشته است: «وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ مَنَعَهُم بِالرُّعْبِ لئَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ فِيهِمْ»^(۱).

همانگونه که خداوند - جَلَّ وَعَلَا - سگ آنان را در آن مدت طولانی به پاسداری در آستانه غار گمارد ﴿وَكَلَبُهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ تا آنها از گزند جانوران و درندگان محفوظ و در امان مانند. و ذَلِكَ مِنْ عَجِيبِ آيَاتِهِ تَعَالَى شَأْنُهُ.

* * *

نکته‌ای از سورهٔ مریم

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿۸۱﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿۸۲﴾﴾ نزاع معبودان و عبادت‌گران!

از دو آیهٔ فوق، آیهٔ نخستین به لحاظ معنا مورد اختلاف نیست و می‌فرماید: «(مشرکان) غیر از خدا معبودهایی گرفته‌اند برای اینکه آن‌ها مایهٔ عزتشان شوند». ولی در ترجمهٔ دومین آیه، اختلافی دیده می‌شود و به نظر نویسنده، برخی از مترجمان - بدون توجه به شواهد قرآنی - دچار اشتباه شده‌اند و گمان کرده‌اند مفهوم آیهٔ شریفه اینست که در روز رستاخیز مشرکان، عبادت معبودهای خود را انکار می‌نمایند و با آنان ضدیت نشان می‌دهند. در حالی که مقصود آیهٔ کریمه، برعکس این معناست و می‌فرماید در آینده (روز رستاخیز) معبودهای مشرکان به انکار و مخالفت با عبادت آن‌ها می‌پردازند و به ضدیت با ایشان برمی‌خیزند! در اینجا مناسب است که چند نمونه از ترجمه‌های قرآن را در موافقت با معنای نخست بیاوریم و سپس مفهوم صحیح آیهٔ شریفه را بیشتر توضیح دهیم:

یکی از مترجمان مشهور قرآن در ترجمهٔ آیهٔ مزبور مرقوم داشته است: «چنین نیست! بلکه بزودی از پرستش خدایان باطل روی بگردانند و به خصومت آن‌ها برخیزند»^(۱). مترجم دیگری می‌نویسد: «هرگز! بزودی به عبادت آن معبودان کافر خواهند شد و مخالف آنان می‌گردند»^(۲). سوّمی نوشته است: «نه چنین است، بزودی از عبادت آن‌ها سربرتابند و به -

۱- به ترجمهٔ قرآن، اثر آقای مهدی الهی قمشه‌ای بنگرید.

۲- به ترجمهٔ قرآن، اثر آقای داریوش شاهین نگاه کنید.

مخالفتشان برخیزند^(۱)». چهارمی مرقوم داشته: «نه چنان بود! منکر خواهند شد پرستش معبودان خود را، و خواهند شد بر ایشان ستیزنده^(۲)»....

اما به نظر دقیق، آیه شریفه مفهوم دیگری را می‌رساند و ضمیر در «سَيَكْفُرُونَ» به «آلِهَةً» باز می‌گردد چنانکه زمخشری در کشاف گوید: «وَالضَّمِيرُ فِي سَيَكْفُرُونَ لِلْآلِهَةِ أَي سَيَجْحَدُونَ عِبَادَتَهُمْ وَيُنْكِرُونَهَا»^(۳) و آیه مزبور از ضدیت معبودها با پرستندگان خود سخن می‌گوید (نه بالعکس) به قرینه اینکه کلمه «ضِدًّا» در آیه کریمه مقابل کلمه «عِزًّا» آمده است و نشان می‌دهد که برخلاف پندار مشرکان، معبودهای آنان سرانجام مایه عزت ایشان نمی‌شوند بلکه به مخالفت و دشمنی با آنها برمی‌خیزند و ذلت و خواری را برای آنان می‌خواهند. درحقیقت آیه مورد بحث، مفهومی را می‌رساند که در آیات دیگر قرآن مکرر آمده است چنانکه در سوره شریفه أحقاف می‌خوانیم:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾
[الأحقاف: ۵-۶].

یعنی: «کیست گمراه‌تر از آنکس که غیر از خدا کسی را می‌خواند که تا روز رستاخیز بدو پاسخ نمی‌دهد و آنها از دعای ایشان بی‌خبرند * و هنگامی که این مردم محشور شوند، آنها دشمنان ایشان خواهند شد و عبادتشان را انکار می‌کنند».

و نیز در سوره بقره می‌فرماید:

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾
[البقرة: ۱۶۶].

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای عبدالمحمد آیتی بنگرید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر محدث دهلوی نگاه کنید.

۳- تفسیر کشاف، ج ۳، ص ۴۱.

یعنی: «آنگاه که پیشوایان از کسانی که آنان را پیروی کردند، بیزاری می‌جویند و عذاب را می‌بینند و پیوندهای میانشان قطع می‌گردد».

و همچنین در سورهٔ مبارکهٔ فاطر آمده است:

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۗ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ۱۳-۱۴].

یعنی: «کسانی که غیر از خدا، آن‌ها را می‌خوانید مالک پوستهٔ هستهٔ خرمايي نیستند * اگر آن‌ها را بخوانید، دعای شما را نمی‌شنوند و اگر هم بشنوند به شما پاسخ نمی‌دهند و روز رستاخیز شرک شما را انکار خواهند کرد و هیچکس مانند آن‌که با خبر است تو را آگاهی نمی‌دهد».

باتوجه به رهنمایی‌های قرآن کریم، آیهٔ مورد بحث را بدینصورت باید ترجمه نمود که: «چنین نیست! آن معبودان (در روز رستاخیز) عبادت ایشان را انکار خواهند کرد و مخالف آنان خواهند بود».

* * *

نکاتی از سوره طه

﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿١﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ پیامبر ﷺ از چه

چیز رنج می‌برد؟!

خدایتعالی در این دو آیه کریمه می‌فرماید: «ما این قرآن را بر تو فرو فرستادیم برای اینکه به رنج افتی * بلکه (آن را فرستادیم) برای پند دادن هرکسی که (از خدا) پروا می‌کند» کلمه «إِلَّا» در اینجا برای استثنای منقطع بکار رفته و به قول مُبَرِّد (از اُئْمَةُ نَحْوِ عَرَبِي) به معنای «لَكِنْ» می‌آید و «تَذَكُّرَةً» چنانکه زمخشری گفته در مقام مفعول له (مفعول لأجله) آمده است. این دو آیه شریفه نظایر فراوان در قرآن کریم دارند و رسول خدا ﷺ را آرام می‌کنند که از انکار مخالفان و سرسختی آنان در رنج و تعب نباشد و توقع نداشته باشد که جز پرواکنندگان از حق، کسی دل به ایمان سپارد. ولی برخی از مفسران درباره آیه نخست شأن نزول غریبی آورده‌اند که با مدلول آن نمی‌سازد. سیوطی در تفسیر «الذُّرُّ الْمَشْهُور» از قول ابن عباس می‌نویسد: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كَانَ يَقُومُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيْهِ إِذَا صَلَّى فَأَنْزَلَ اللَّهُ طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ»^(۱) (پیامبر خدا ﷺ در آغاز نزول وحی، به هنگام نماز بر پنجه‌های پایش می‌ایستاد، آنگاه خدا این آیه را فرو فرستاد که: ما قرآن را بر تو نازل نکردیم تا رنج بکشی)!

در تفاسیر شیعی نیز این معنا را آورده‌اند چنانکه فیض کاشانی در تفسیر «صافی» از امام باقر علیّه روایت می‌کند که: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ فَأَنْزَلَ

اللَّهُ سُبْحَانَهُ طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى^(۱) (رسول خدا ﷺ بر سر پنجه پاهای خود می ایستاد و خدای سبحان این آیه را فر فرستاد که: ما قرآن را بر تو نازل نکردیم تا رنج بکشی).! در همین کتاب آمده است که: «حَتَّى تَوَرَّمت قَدَمَاهُ» (تا آنجا که پاهای پیامبر ﷺ متورم شد)!

همچنین از قول ابن عباس آورده اند که گفت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَرْبُطُ نَفْسَهُ بِحَبْلِ كَى لَا يَنَامُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى^(۲)» [رسول خدا ﷺ چون برای نماز شب بر می خاست، خود را با ریسمانی می بست تا به خواب نرود (وسقوط نکند) آنگاه خدا این آیه را فر فرستاد که: ما قرآن را بر تو نازل نکردیم تا به رنج افی].

این شأن نزولها، جای تأمل دارند! و بفرض که بپذیریم رسول خدا ﷺ در نماز خود چنان عمل می کرد، مدلول آیه شریفه مرتبط با آن عمل نیست زیرا در آیه بعد می فرماید: ﴿إِلَّا تَذَكَّرَةً لِمَنْ تَخَنَّنِي﴾ و این جمله، پیامبر ﷺ را دلداری می دهد و اشارت می کند که هر کس از قرآن پند نمی آموزد بلکه اهل خشیت از آن برخوردار و متذکر خواهند شد (پس نباید بر منکران، اندوه خورد و به رنج افتاد) و نظیر این معنا را در سوره شریفه كهف می بینیم که می فرماید: ﴿فَلَعَلَّكَ^(۳) بَنَحُّ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ نَدَا الْحَدِيثِ أَسْفًا ﴿۱۰﴾﴾ [الكهف: ۶] یعنی: «اگر آنان بدین سخن ایمان نیاوردند مبادا^(۴) جان خود را از اندوه هلاک سازی!» یا می فرماید: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ۸] «پس جانان از اندوههایی که بر ایشان می بری به هلاکت نرود». و در آیات دیگر نیز مکرر آمده است که

۱- الصافی فی تفسیر القرآن، ج ۲، ص ۵۹.

۲- الذرّ المنثور، ج ۴، ص ۲۸۸.

۳- و ۲- از جمله معانی واژه «لعلّ» چنانکه ابن هشام در مغنی گوید: الإشفاقُ مِنَ المَكْرُوهِ (ترساندن از امر ناخوشایند) است که با کلمه «مبادا» در فارسی برابر می آید (به مغنی اللیب، ص ۳۷۹ نگاه کنید).

۴- الکشاف، ج ۳، ص ۵۰.

تنها اهل خشیت از قرآن اندرز می‌گیرند مانند آنچه که فرمود: ﴿سَيَذَكَّرُ مَن تَخَشَى﴾ [الأعلى: ۱۰] یعنی: «هرکس که (از خدا) می‌ترسد، پند خواهد گرفت» یا می‌فرماید: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن تَخَشَهَا﴾ [النازعات: ۴۵] و امثال این آیات.

زمخشری در کشاف، حقّ این تفسیر را اداء نموده و نوشته است: «مَا نَزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ (لِتَشْفَى) لِتَتَّعَبَ بَطْرًا تَأْسُفَكَ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَتَحْسِرَكَ عَلَىٰ أَنْ يُؤْمِنُوا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ»^(۳) یعنی: «قرآن بر تو نازل نشده تا به رنج و تعب افتی و بر کافران و کفرشان اندوه بسیار خوری و در حسرت باشی که چرا ایمان نمی‌آورند مانند آنچه خدایتعالی فرمود: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا﴾ [الشعراء: ۳] «مبادا خود را هلاک سازی که چرا آنان مؤمن نمی‌شوند.»

در تفسیر «المیزان» نیز سخنی قریب به معنای مذکور آمده و مرقوم داشته است: «فَالْمَعْنَى: مَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لِتَتَّعَبَ نَفْسَكَ فِي سَبِيلِ تَبْلِيغِهِ بِالتَّكْلِيفِ فِي حِمْلِ النَّاسِ عَلَيْهِ»^(۱) یعنی: «معنای آیه اینست که: ما قرآن را بر تو فرو نفرستاده‌ایم تا خود را در راه تبلیغ آن، به رنج افکنی و مردم را با تکلف، به پذیرش آن واداری!»

البته می‌توان گفت که پیامبر اکرم ﷺ از رنج کشیدن در راه عبادت خدا و تبلیغ قرآن نهی نشده ولی از رنج اندوه بر «إنکار کافران» منع گشته است زیرا که درباره امر نخستین خدایتعالی می‌فرماید: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾^(۲) «وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الانشراح: ۷-۸] [پس هنگامی که (از کارت) فارغ شدی رنج عبادت بر خود هموار کن* و به سوی خداوندت روی آور]. و درباره امر دوم خدایتعالی، پیامبر را به صبر و استقامت فرامی‌خواند

۱- المیزان، ج ۱۴، ص ۱۲۰.

۲- مصدر این کلمه، «نَصَبَ» به معنای رنج کشیدن است.

چنانکه می‌فرماید: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ^(۱) (پس چنانکه مأمور شده‌ای پایداری کن) و نیز می‌فرماید: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ (پس بر حکم خداوند خود شکیبایی بورز). و صبر و استقامت، معمولاً در برابر سختی‌ها تحقق می‌پذیرد.

* * *

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

شتاب در قرائت وحی!

دومین آیه کریمه‌ای که لازمست از سوره طه بدان بردازیم، این آیه شریفه است که می‌فرماید: «در (خواندن) قرآن - پیش از آنکه وحیش به‌سوی تو انجام پذیرد - شتاب مکن و بگو خدای من، مرا دانش افزای».

در تفسیر مزبور گفته‌اند که رسول خدا ﷺ به‌هنگام وحی - پیش از آنکه سخنان فرشته تمام شود - همراه با او، آیات قرآنی را می‌خواند آنگاه این آیه کریمه نازل شد و او را از شتاب در قرائت نهی نمود چنانکه در تفسیر «مجمع البیان» آمده است: «مَعْنَاهُ لَا تَعْجَلْ بِتِلَاوَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَفْرُعَ جِبْرَائِيلُ الْكَلِمَاتِ مِنْ إِبْلَاغِهِ فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ مَعَهُ وَيَعْجَلُ بِتِلَاوَتِهِ مَخَافَةَ نِسْيَانِهِ... وَهَذَا كَقَوْلِهِ: (لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَالْجُبَّائِيِّ»^(۲)

[معنای آیه اینست که: پیش از فراغت جبریل از ابلاغ قرآن، در خواندن آن شتاب مکن زیرا که پیامبر ﷺ به‌همراه فرشته، قرآن را می‌خواند مبادا آن را فراموش کند. و این سخن، نظیر گفتار خدایتعالی است که فرمود: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القیامت: ۱۶].

قول مذکور از ابن عباس و حسن بصری و جبائی گزارش شده است.]

۱- سوره هود، آیه ۱۱۲.

۲- تفسیر مجمع البیان، ج ۱۶، ص ۱۴۷.

تفسیر جدید نیز این قول را برگزیده‌اند. اما در تفسیر «المیزان» پس از نقل قول مزبور می‌نویسد:

«فَلَوْلَا عِلْمٌ مَا مِنْهُ بِالْقُرْآنِ قَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِعَجَلِهِ بِقِرَاءَةِ مَا لَمْ يَنْزِلْ مِنْهُ بَعْدُ»^(۱) یعنی «اگر (برای پیامبر ﷺ) دانشی از قرآن پیش از نزول آن وجود نداشت نمی‌توانست در خواندن چیزی که هنوز نازل نشده شتاب ورزد!»

در این تفسیر، نویسنده می‌خواهد بگوید که چون رسول خدا ﷺ در خواندن وحی شتاب می‌ورزید، بنابراین پیش از نزول آیات از آن‌ها آگاهی داشت! و این سخن عجیبی است که با مدلول آیه مورد بحث نمی‌سازد زیرا که رسول خدا ﷺ فرمان یافت تا شتاب نورزیده پس از «پایان گرفتن وحی» آن را بخواند (نه همراه با قرائت جبریل علیه السلام) و در صورتیکه پیامبر ﷺ از مفاد وحی آگاه بود، قید پایان گرفتن (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) لازم نمی‌آمد بلکه می‌فرمود پیش از آنکه وحی به تو رسد، شتاب نورز و آن را مخوان (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوحَى إِلَيْكَ) علاوه بر این، آیات متعددی در قرآن کریم به نحو اطلاق دلالت دارند بر اینکه پیامبر اکرم ﷺ پیش از نزول وحی از مفاد آن بی‌اطلاع بود و رویدادهایی که در صدر اسلام پیش آمد مانند «حادثه اِفک» و «پرسش دربارهٔ أصحاب کهف» و «فتره وحی» و امثال این‌ها، همگی گواه بر این معنا شمرده می‌شوند. خدایتعالی می‌فرماید: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ۱۱۳] (خدا چیزهایی به تو آموخت که آنها را نمی‌دانستی و فضل خدا بر تو بزرگ است).

* * *

نکته‌ای از سوره انبیاء

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ رتق و فتق در آسمان و زمین!

خدایتعالی در این آیه از قرآن کریم می‌فرماید: «آیا کسانی که کافر شدند ندیدند که آسمانها و زمین بسته بودند سپس آندو را بازکردیم و(حیات) هر چیز زنده‌ای را از آب مقرر داشتیم، آیا پس ایمان نمی‌آورند؟».

معنای بسته بودن آسمان و زمین و بازشدن آن‌ها چیست؟ گروهی از مفسران معاصر گفته‌اند که در آغاز، آسمانها و زمین به یکدیگر متصل بودند به طوری که یک واحد را تشکیل می‌دادند، سپس خدایتعالی اجزاء آن تودهٔ واحد را از هم جدا فرمود و نظام منفصلی را از زمین و آسمان، پدید آورد! چنانکه استاد عبدالکریم خطیب در «التفسیر القرآنی للقرآن» می‌نویسد: «فَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَتَا شَيْئًا وَاحِدًا... كَانَتَا رَتْقًا أَيْ مُنْضَمًّا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَلَا سَمَاءَ وَلَا أَرْضَ... فَفَتَقْنَاهُمَا أَيْ فَصَلْنَا بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ»^(۱) (آسمانها و زمین، یک چیز بودند... بسته بودند یعنی بایکدیگر پیوند و اتصال داشتند بنابراین نه آسمان بود و نه زمین!... آنگاه هردو را بازکردیم یعنی پاره‌ای از آن را از پارهٔ دیگر جدا ساختیم).

استاد ابوالاعلی مودودی نیز در تفسیر «تفهیم القرآن» بر این قول رفته و مرقوم داشته است: «ظاهراً مفهومی که از این کلمات برمی‌آید اینستکه کائنات در بدو امر به-

۱- التفسیر القرآنی للقرآن، ج ۹، ص ۸۶۸.

صورت توده‌ای (MASS) بوده است. بعدها (خداوند آن را) به قسمت‌های مختلف منقسم ساخته است.^(۱)

غالب مترجمان فارسی قرآن نیز، آیه شریفه را چنان ترجمه نموده‌اند که همین معنا از آن برمی‌آید به‌گونه‌ای که یکی از ایشان مرقوم داشته است: «... آسمانها وزمین به هم پیوسته بودند و ما آنها را از یکدیگر بازکردیم...».^(۲) دیگری می‌نویسد: «... آسمانها و زمین هردو به هم پیوسته بودند و ما آندو را از هم جدا ساختیم...».^(۳) سوّمی نوشته است: «... آسمانها و زمین به هم بسته بودند (یکی بودند) و ما آنها را از یکدیگر شکافتیم...».^(۴) چهارمی مرقوم داشته: «... آسمانها و زمین هردو به هم پیوسته بوده‌اند پس ما آن دو را از هم جدا ساختیم...».^(۵) و...

به‌گمان بعضی این رأی، با تئوری جدید علمی که از تشکیل نظام جهان بحث می‌کند نیز منطبق است و لذا باید آن را مغتنم شمرد! ولی این تفسیر، با مشکلی حل‌نشده روبرو است و از اینرو درخور اعتماد نیست و شاهد قرآنی هم ندارد! اشکال مزبور اینست که در این آیه شریفه، کافران ملامت شده‌اند که چرا ندیدند (یا ندانستند) که آسمانها وزمین در آغاز آفرینش با یکدیگر متصل بودند و خداوند آنها را از هم جدا فرمود؟ و بر این مبنا، چرا ایمان نمی‌آورند؟! (أَفَلَا يُؤْمِنُونَ؟) و معلوم است که کافران، علم غیب نداشتند تا بدانند که در آغاز آفرینش، آسمانها و زمین با یکدیگر متحد و به هم ملتصق بودند! این چه دلیلی است! و چرا باید توقع داشت یا ادعا نمود که آنها از آغاز جهان خبر داشتند و از اینرو ایشان را درخور ملامت شمرد؟! مگر نه آنستکه تئوری مزبور اخیراً پدید آمده و

۱- تفهیم القرآن، ج ۳، ص ۲۳۰ (باترجمه دکتر آفتاب اصغر).

۲- ترجمه قرآن، اثر آقای ناصر مکارم شیرازی.

۳- ترجمه قرآن، اثر آقای محمدمهدی فولادوند.

۴- ترجمه قرآن، اثر آقای داریوش شاهین.

۵- ترجمه قرآن، اثر آقای محمّدصادق تهرانی.

در عصر پیامبر اکرم صلی الله علیه و آله فلاسفه و دانشمندان یونان هم از آن با خبر نبودند تا چه رسد به کفار جاهل عربستان؟!

شاید برخی از مترجمان گمان کرده‌اند که در این آیه شریفه، روی سخن با کافران عصر ما است! در حالی که جمله: «أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا» نشان می‌دهد که قرآن مجید با آوردن فعل ماضی منفی (جحد) ادعا دارد که پیش از نزول این آیه شریفه نیز کافران از بسته بودن و باز شدن آسمان و زمین آگاه و مطلع بودند! لذا می‌فرماید: آیا کسانی که کافر شدند، ندیدند و ندانستند؟ بنابراین، مفهوم آیه شریفه باید جز آن باشد که برخی از مفسران و مترجمان قرآن بدان گرویده‌اند. آثاری که از مسلمانان صدر اسلام رسیده و ابوجعفر طبری و ابوعلی طبری آورده‌اند، نشان می‌دهد که مفسران قدیم عرب مانند عکرمه و عطیه و ابن زید عقیده داشتند که مراد از بسته شدن آسمان، نیاریدن باران و مقصود از بسته بودن زمین، نرویدن گیاهان بوده است و این، امر محسوسی شمرده می‌شد که عرب بارها آن را دیده بود و می‌دید که در پرتو چه تدبیر شگفتی، آسمان و زمین بازمی‌شوند و جهان خرم و آباد می‌گردد. طبری می‌نویسد: «قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانَتْ السَّمَاءُ رَتْقًا لَا يَنْزِلُ مِنْهَا مَطَرٌ وَكَانَتِ الْأَرْضُ رَتْقًا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا نَبَاتٌ فَفَتَقَهَا اللَّهُ فَأَنْزَلَ مَطَرَ السَّمَاءِ وَشَقَّ الْأَرْضَ فَأَخْرَجَ نَبَاتَهَا»^(۱) (ابن زید گفته است که: آسمان بسته بود، بارانی از آن فرود نمی‌آمد و زمین بسته بود، گیاهی از آن نمی‌روید، آنگاه خدا هردورا بگشود و باران آسمان را فرو فرستاد و زمین را شکافت و گیاهش را برآورد).

این معنا در اخبار امامیه از ابوجعفر باقر علیه السلام نیز گزارش شده است که (در تفسیر آیه مزبور) به عمرو بن عبید معتزلی فرمود: «كَانَتِ السَّمَاءُ رَتْقًا لَا تُنْزِلُ الْقَطْرَ وَكَانَتِ الْأَرْضُ رَتْقًا لَا تَخْرُجُ النَّبَاتَ فَفُتِقَ السَّمَاءُ بِالْقَطْرِ وَفُتِقَتِ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ»^(۲) (آسمان بسته بود و دانه‌های

۱- تفسیر طبری، ج ۱۶، ص ۲۵۸.

۲- تفسیر المیزان، ج ۱۴، ص ۳۰۹.

باران را فرونمی‌فرستاد و زمین بسته بود و گیاهان را بیرون نمی‌آورد آنگاه آسمان به قطره‌های باران و زمین به گیاهان، باز شدند.^(۱)

شاهد قرآنی این تفسیر را در سوره مبارکه طارق باید جست که می‌فرماید:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ۱۱- ۱۴].

«سوگند به آسمان بارنده و زمین شکافنده که این (قرآن) گفتاری قاطع است و شوخی-

بردار نیست»!

* * *

۱- با این تفسیر، رابطه صدرآیه با ذیل آن یعنی با جمله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ نیز روشن می‌شود که با گشوده شدن آسمان و بارش باران، مایه حیات زندگان (از نبات و حیوان و انسان) فراهم می‌آید.

نکته‌ای از سوره حجّ

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ نامگذاری اسلام و گواهی پیامبر ﷺ

خدایتعالی در این آیه کریمه فرمان داده است تا مؤمنان درباره خدا به جهاد برخیزند چنانکه سزاوار جهاد اوست و از راه لطف و امتنان اعلام فرموده که آنان را برگزیده ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ و در دین، برایشان سختی و تنگی مقرر نداشته است. آنگاه ذکر کیش پدر مؤمنان، ابراهیم علیه السلام را به میان آورده و سپس می‌فرماید: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾.

دراینکه مرجع ضمیر [در هُوَسَّاكُم] خدایتعالی است یا ابراهیم علیه السلام؟ میان مترجمان و مفسران اختلافی دیده می‌شود که جای شگفتی دارد! زیرا قرینه‌ای که در پی آیه شریفه آمده (مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا) حل مسئله را آسان می‌کند. باوجود این، یکی از مترجمان می‌نویسد: «کیش پدرتان ابراهیم است. او پیش از این شمارا مسلمان نامید^(۱)!» (مترجم، ترجمه «وفی هذا» را از قلم افکنده است). دیگری می‌نویسد: «دین پدرتان ابراهیم را (بیادارید). او از قبل شمارا مسلمان نامید و در این (قرآن) رسول گواه شما باشد^(۲)!» (مترجم، معنای «وفی هذا» را که عطف به «مِنْ قَبْلُ» است بدرستی درنیافته). اما سوّمی

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای عبدالمحمد آیتی بنگرید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای داریوش شاهین نگاه کنید.

برخلاف آندو، نوشته است: «نگهبان) روش (ربانی) پدرتان ابراهیم، باشید. او بود که از پیش شمارا مسلمان نماید و در این (قرآن نیز همان آمده است)^(۱)». و چهارمی همچنین می‌نویسد: «آئین پدرتان ابراهیم [نیز چنین بوده است] او بود که قبلاً شمارا مسلمان نماید و در این (قرآن نیز همین مطلب آمده است)^(۲)». شگفت آنکه مفسری مانند ابن‌زید معنای صحیح آیه کریمه را دریافته و بنا بر قول طبری گفته است: «هَذَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ)^(۳)».

متأسفانه برخی از این مترجمان محترم و آن‌مفسر برجسته، توجه نداشته‌اند که «هُوَ سَمَّاكُمْ» در پی «هُوَ اجْتَبَاكُمْ» می‌آید. و مرجع ضمیر در هر دو بخش، یکی است و «فِي هَذَا» عطف به «مِنْ قَبْلُ» شده و معلوم است که ابراهیم عليه السلام نقشی در فرستادن قرآن مجید نداشته زیرا قرآن کریم، کلام خداوندی - جَلَّ ذِكْرُهُ - است نه سخن ابراهیم عليه السلام. هر چند در سوره بقره آمده که ابراهیم عليه السلام و اسماعیل عليه السلام از خداوند درخواست نمودند تا از فرزندان ایشان، امتی مسلمان پدید آید و عرض کردند: «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ» [البقره: ۱۲۸] ولی این درخواست نباید مایه اشتباه در رجوع ضمیر به خدایتعالی در سوره حج شود و قرینه «وَفِي هَذَا» را نادیده انگارند. پس معنای آیه شریفه اینست که: [او (خداوند) نام شمارا پیش از این و در این قرآن «مسلمین» نهاد]. ابوجعفر طبری - رَحِمَهُ اللهُ - در تفسیرش، قول ابن‌زید را چنین نقد می‌کند:

«وَلَا وَجَهَ لِمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمْ يُسَمِّ أُمَّةً مُحَمَّدٍ عليه السلام مُسْلِمِينَ فِي الْقُرْآنِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِهِ بِدَهْرِ طَوِيلٍ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: (هُوَ سَمَّاكُمْ

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای محمد صادقی تهرانی بنگرید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای محمد مهدی فولادوند نگاه کنید.

۳- به تفسیر طبری، ج ۱۶، ص ۶۶۶ بنگرید.

الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا) وَلَكِنَّ الَّذِي سَمَّانا الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَفِي الْقُرْآنِ، اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ»^(۱).

یعنی: «سخن ابن زید در این باره، موجه نیست زیرا که معلوم است ابراهیم علیه السلام امت محمد صلی الله علیه و آله را در قرآن، مسلمین نام نهاد چرا که قرآن پس از گذشت روزگاری دراز بعد از ابراهیم علیه السلام نازل شده است و خدایتعالی می‌فرماید: [او شما را پیش از این و در این قرآن، مسلمین نام نهاد]. اما کسی که ما را پیش از نزول قرآن و در این قرآن، مسلمان نامید، خدای ازلی و ابدی است».

نکته‌ای دیگر در آیه ۷۸ سوره شریفه حج میان مفسران مایه گفتگوست که چون فرمود: «ابراهیم پدر شماست» چه معنایی را اراده فرمود؟ قول راجح آنستکه: ابراهیم علیه السلام پدر روحانی امت اسلامی شمرده می‌شود به دلیل آنکه در سوره احزاب، خدایتعالی زنان پیامبر اسلام صلی الله علیه و آله را «مادران مؤمنان» شمرده ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ۶] و معلوم است که خود پیامبر اکرم صلی الله علیه و آله همچون پدر امت است و به همین قیاس، ابراهیم علیه السلام نیز پدر مسلمین به شمار می‌آید چنانکه خطاب آیه شریفه به عموم مسلمانان است.

سومین نکته‌ای که در آیه کریمه، لازم به توضیح است گواهی رسول خدا صلی الله علیه و آله بر امت و گواهی امت بر دیگر مردم است. شیخ طبرسی در تفسیر «مجمع البیان» می‌نویسد: «لِيَكُونَ مُحَمَّدٌ صلی الله علیه و آله شَهِيداً عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْقَبُولِ»^(۲) (تا محمد صلی الله علیه و آله بر شما، به فرمانبرداری و پذیرفتن دعوتش گواه باشد). صاحب تفسیر المیزان نیز همین معنا را برگزیده و می‌نویسد: «المرادُ بِهِ شَهَادَةُ الْأَعْمَالِ»^(۳) (مقصود از این گواهی، شهادت بر اعمال است). ولی این تفسیر با آیات دیگر قرآن نمی‌سازد که نشان می‌دهند پیامبران خدا صلی الله علیه و آله از اعمال پنهانی مردم آگاهی

۱- به تفسیر طبری، ج ۱۶، ص ۶۴۶ بنگرید.

۲- مجمع البیان، ج ۱۷، ص ۱۳۲.

۳- المیزان، ج ۱۴، ص ۴۵۳.

نداشتند و در روز رستاخیز از این امور اظهار بی اطلاعی می‌کنند مانند آیه شریفه: ﴿يَوْمَ تَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّا كُنَّا نَعْلَمُ الْغُيُوبَ﴾ [المائدة: ۱۰۹] (روزی که خدا، رسولان را گرد می‌آورد، آنگاه می‌پرسد که چگونه مورد اجابت قرار گرفتید؟ گویند ما را [در اینباره] دانشی نیست تو خود از امور پنهانی آگاهی).

قول دیگری در تفسیر طبری و طبرسی آمده که مفاد آن، با قرآن کریم سازگاری دارد و نشان می‌دهد که رسول خدا ﷺ گواه بر ابلاغ پیام خدا به مردم است نه گواه بر اعمال و نیات ایشان! ابوعلی طبرسی در اینباره می‌نویسد: معناه: لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ فِي ابْلَاحِ رِسَالَةِ رَبِّهِ إِلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَهُ بِأَنْ تُبَلِّغُوا إِلَيْهِمْ مَا بَلَّغَهُ الرَّسُولُ إِلَيْكُمْ^(۱) یعنی: «مقصود آنستکه رسول خدا در ابلاغ پیام خداوندش، بر شما گواه باشد و شما نیز پس از او گواه بر مردم باشید که آنچه را رسول به شما ابلاغ کرد، به آنان برسانید.»

* * *

۱- مجمع البیان، ج ۱۷، ص ۱۳۲ مقایسه شود با تفسیر طبری، ج ۱۶، ص ۶۲۷ که با کمی تغییر همین معنا را آورده است.

نکاتی از سوره مؤمنون

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿۱۰۰﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿۱۰۱﴾﴾ درخواست بازگشت به دنیا

آیه نخستین را برخی از مترجمان قرآن کریم چنین ترجمه کرده‌اند: «چون یکیشان را مرگ فرا رسد، گوید: ای پروردگار من، مرا بازگردان^(۱)...» در این عبارت، واژه «ارْجِعُونِ» که در اصل «ارْجِعُونِي» بوده و کسره نون، عوض از یاء محذوف است، به صورت مفرد (مرا بازگردان) ترجمه شده که خطاست. مترجم دیگر نیز به همین خطا افتاده و می‌نویسد: «تا آنگاه که مرگ به سوی کسی از آنان آید، گوید: پروردگارا مرا بازگردان^(۲)...» و دیگری هم نوشته است: «... گوید: پروردگارا مرا به دنیا بازگردان^(۳)...» و چهارمین مترجم نیز نوشته است: «... گوید پروردگار من، برگردان مرا^(۴)...».

در تمام این ترجمه‌ها فعل جمع، به صورت مفرد به فارسی برگردانده شده و صحیح آنست که مرقوم می‌داشتند: «... مرا بازگردانید». اما معنای این تعبیر چیست و چرا به لفظ جمع آمده است؟ مفسران در این باره سه وجه را یاد نموده‌اند. یکی آنکه: در این آیه شریفه به جای تکرار مفرد، لفظ جمع به کار رفته است. یعنی به جای آنکه گفته شود: «رَبِّ ارْجِعْنِي،

۱- به ترجمه قرآن اثر آقای عبدالمحمد آیتی نگاه کنید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای مسعود انصاری بنگرید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای داریوش شاهین نگاه کنید.

۴- به ترجمه قرآن، اثر آقای مصباح‌زاده بنگرید.

ارجعني، ارجعني» واژه «ارجعون» آورده شده است. قول دوم آنکه: خطاب جمع برای خداوند تعالی، از راه تعظیم و بزرگداشت می‌آید^(۱). سوم آنکه. خطاب در ابتدا به خداوند است (قال رب) و این از باب استغاثه به درگاه اوست و سپس خطاب متوجه فرشتگان شده که به فرمان خدا جان آدمی را قبض می‌کنند و این قول موجه‌تر از سایر آراء است زیرا اولاً معنای مزبور را حدیثی از رسول خدا ﷺ تأیید می‌نماید که در آن حدیث آمده خطاب گوینده، با فرشتگان است. طبری در تفسیرش می‌نویسد: «كما ذكر ابن جريح أن النبي ﷺ قاله»^(۲) (چنانکه ابن جریح یاد کرده است که این سخن را پیامبر خدا ﷺ فرموده‌اند). ثانیاً قول اول ضعف دارد زیرا چه لزومی داشته که واژه «ارجعني» در آیه تکرار نشود مگر در همین سوره شریفه نمی‌خوانیم: ﴿هَيَاتَ هَيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ۳۶]؟ ثالثاً قول دوم نیز ضعیف است زیرا در قرآن کریم رسم بر این نیست که در مقام خطاب به خدایتعالی، لفظ جمع به کار برده شود و شاهدی در این باره از قرآن مجید نداریم.

از مفسران قدیم به‌عنوان نمونه: طبری قول صحیح را برگزیده و می‌نویسد: «إِنَّمَا ابْتَدَىءَ الْكَلَامَ بِخِطَابِ اللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - لِأَنَّهُمْ اسْتَعَاثُوا بِهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَسْأَلَةِ الْمَلَائِكَةِ»^(۳) (سخن آنان از راه استغاثه، با خطاب به خداوند آغاز گردیده سپس به درخواست از فرشتگان بازگشته‌اند). از مفسران جدید نیز صاحب تفسیر «الميزان» بر همین قول رفته و مرقوم داشته است: «الظَّاهِرُ أَنَّ الْخِطَابَ لِلْمَلَائِكَةِ الْمُتَّصِدِّينَ لِقَبْضِ رُوحِهِ وَ (رَبِّ) اسْتِعَاثَةً مُعَرِّضَةً بِحَذْفِ حَرْفِ النَّدَاءِ وَالْمَعْنَى: قَالَ - وَهُوَ يَسْتَعِيْثُ بِرَبِّهِ - اِرْجِعُوْنَ»^(۴). (ظاهر آنستکه خطاب به فرشتگانی تعلق دارد که

۱- زمخشری در کشاف بر این قول، شعری را گواه آورده است که درضمن آن گوید: أَلَا فَارْحَمُونِي يَا

إِلَهَ مُحَمَّدٍ (بجای فارحمنی).

۲- تفسیر طبری، ج ۱۷، ص ۱۰۸.

۳- تفسیر طبری، ج ۱۷، ص ۱۰۸.

۴- تفسیر المیزان، ج ۱۵، ص ۷۱.

عهده‌دار قبض روح گوینده شده‌اند و «رَبِّ» استغاثه معترضه است که حرف نداء از آن حذف گشته و معنای سخن اینست که: گوید - درحالی‌که به‌خداى خود استغاثه می‌نماید - ای فرشتگان مرا بازگردانید). **شاهدی قرآنی** هم مفسران برای این طرز بیان آورده‌اند که آیه شریفه ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ در سوره قصص است. در اینجا زن فرعون مصر، ابتدا به‌او خطاب می‌کند و سپس به لفظ جمع (لا تقتلوه) یارانش را مورد خطاب قرار می‌دهد.

* * *

﴿قُلْ مَنْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ﴾

يُجَارُ عَلَيْهِ چه معنایی دارد؟

از ترجمه‌های قرآن کریم، کمتر ترجمه‌ای عبارت «وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ» را بدرستی به فارسی برگردانده است. به‌عنوان نمونه: یکی از مترجمان می‌نویسد: «به بی‌پناهان پناه می‌دهد و نیاز به پناه دادن ندارد.»^(۱) مترجم در اینجا به معنای کلمه «عَلَيْهِ» توجه ننموده است. در ترجمه دیگر می‌خوانیم: «آن پناه دهنده‌ای که خود بی‌نیاز از حمایت و پناه است.»^(۲) این ترجمه نیز اشکال ترجمه نخست را دارد. سومین مترجم می‌نویسد: «او به همه پناه دهد و حمایت کند و از او کس حمایت نتواند کرد»^(۳). چهارمین نوشته است: «او پناه می‌دهد و در پناه کسی نمی‌رود»^(۴). پنجمین مترجم مرقوم داشته است: «او پناه دهد و به او پناه داده نشود»^(۵) و...

-
- ۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای ناصر مکارم شیرازی نگاه کنید.
 - ۲- به ترجمه قرآن، اثر خانم طاهره صفاری بنگرید.
 - ۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای مهدی الهی قمشه‌ای نگاه کنید.
 - ۴- به ترجمه قرآن، اثر آقای محمدمهدی فولادوند بنگرید.
 - ۵- به ترجمه قرآن، اثر آقای داریوش شاهین نگاه کنید.

چنانکه اشاره نمودیم، مترجمان محترم کلمه «عَلَيْهِ» را در متن آیه شریفه، مورد توجه و دقت قرار نداده‌اند. آیه شریفه می‌فرماید: «او پناه می‌دهد و بر ضد او، کسی پناه داده نشود». یعنی «اگر خدایتعالی درباره مجرمی اراده عقوبت کند، هیچکس نمی‌تواند، شخص مجرم را پناه دهد و از عقوبت خدا برهاند. چنانکه زمخشری در «کشاف» می‌نویسد: «وَلَا يُغِيثُ أَحَدٌ أَحَدًا»^(۱) [هیچکس (در برابر خدا) به فریاد دیگری نرسد]. قاضی بیضاوی در «أنوار التنزيل و أسرار التأويل» می‌نویسد: «يُغِيثُ مَنْ يَشَاءُ وَيَحْرُسُهُ وَلَا يُعَاثُ أَحَدٌ وَلَا يَمْنَعُ مِنْهُ وَتَعْدِيَّتُهُ بِعَلَى لِتَضْمِينِ مَعْنَى النُّصْرَةِ»^(۲) (خدا هرکس را که خواهد به فریادش می‌رسد و نگهداری می‌کند و از هیچکس فریادرسی و دفاع نشود و کلمه يُجَارُ با «عَلَى» متعدی شده تا معنای نصرت را دربر داشته باشد). طبرسی در «مجمع البيان» می‌نویسد: «مَنْ أَرَادَ بِسُوءٍ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَنَعِهِ أَحَدٌ»^(۳) (کسی که خداوند اراده بدی درباره‌اش کند، هیچکس بر جلوگیری از او توانایی ندارد) و خلاصه اینکه عموم مفسران بزرگ، بر این معنا اتفاق دارند و آیه کریمه به لحاظ مفهوم نظایری چند در قرآن مجید نیز دارد مانند اینکه می‌فرماید: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ تُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ۲۲] (بگو: هیچکس مرا در برابر خدا پناه نخواهد داد) یا می‌فرماید: ﴿وَإِنْ تَخَذَلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ۱۶۰] (اگر خدا یاری شما را ترک کند پس کیست آنکس که بعد از او، شما را یاری دهد؟!).

* * *

۱- به تفسیر کشاف، ج ۲، ص ۲۰۰ بنگرید.

۲- به تفسیر أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ج ۲، ص ۱۱۳ نگاه کنید.

۳- به مجمع البيان، جزء ۱۸، ص ۱۷۰ بنگرید.

نکته‌ای از سوره نور

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ دعوت پیامبر ﷺ

بخش مزبور از آیه ۶۳ سوره شریفه نور را برخی از مترجمان قرآن، چنین ترجمه نموده‌اند: «آنچنان که یکدیگر را صدا می‌زنید، پیامبر را صدا مزیند^(۱)». مترجمی دیگر می‌نویسد: «پیامبر را میان خویش چنان فرا نخوانید که یکدیگر را فرا می‌خوانید^(۲)». سوّمین نوشته است: «وقتی که پیامبر را صدا می‌زنید اینطور خودمانی نباشید که گویی یکی از افراد خودتان را صدا می‌زنید^(۳)». چهارمین مترجم مرقوم داشته: «خطاب کردن پیغمبر را میان خودتان مانند خطاب کردن همدیگر نکنید^(۴)». پنجمین مترجم می‌نویسد: «صدا کردن پیامبر را درمیان خود، مانند صدا کردن یکدیگر قرار ندهید^(۵)». ششمین مترجم نوشته است: «خطاب کردن پیامبر را درمیان خود، مانند خطاب کردن بعضی از خودتان به بعضی (دیگر) قرار مدهید^(۶)»...

همه این ترجمه‌ها بدون اینکه سیاق آیه را رعایت کنند، تحت تأثیر روایتی قرار گرفته‌اند که می‌گوید معنای آیه شریفه آنستکه در وقت خطاب به پیامبر ﷺ: یا محمد و یا

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای عبدالمحمد آیتی بنگرید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای علی موسوی گرمارودی نگاه کنید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر خانم طاهره صفارزاده بنگرید.

۴- به ترجمه قرآن، اثر آقای ابوالقاسم پاینده نگاه کنید.

۵- به ترجمه قرآن، اثر آقای ناصر مکارم شیرازی بنگرید.

۶- به ترجمه قرآن، اثر آقای محمد مهدی فولادوند نگاه کنید.

أَبَا الْقَاسِمِ مَكُوْبِيْدٍ بَلَكه يَا نَبِيَّ اللهُ وَ يَا رَسُوْلَ اللهُ بگوِيْد و پيامبر ﷺ را با احترام صدا كنيْد. چنانكه طبري اين معنا را از مجاهد و قتاده نقل كرده^(۱) (و خود آن را نمي پذيرد!) و اماميه نيز به روايت ضعيفي آن را از ابو جعفر باقر ﷺ گراش نموده اند.^(۲)

اگر اين مترجمان محترم به قبل و بعد آيه شريفه اندك توجهي مي كردند، درمي يافتند كه مقصود از ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُوْلِ﴾ نهي از گفتن يا مُحَمَّد و يا اَبَا الْقَاسِمِ نيست بلكه موضوع برسر دعوت پيامبر است هنگامي كه مؤمنان را براي امر مهم و جامعي (چون جهاد و غيره) فرا مي خواند چنانكه پيش از آيه مزبور مي فرمايد: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (جز اين نيست كه مؤمنان، آناند كه به خدا و رسولش ايمان آورده اند و هنگامي كه براي كاري عمومي با پيامبر همراهند، از جمع نروند تا از وي اجازت خواهند...). در پي همين سخن است كه مي فرمايد: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُوْلِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ يعني دعوت پيامبر ﷺ را ميان خودتان همچون دعوت همدیگر نشمرید (كه مي توانيد آن را بپذيريد يا رد كنيد يا از مجلس آنان بدون اجازة بيرون رويد). آنگاه در ذيل همين بخش مي فرمايد: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ يعني: خدا از ميان شما آنان را كه پناه به ديگران برده (مخفي مي شوند و) آهسته آهسته بيرون مي روند، به خوبي مي شناسد!

چنانكه ملاحظه مي كنيم سخن از فراخواني پيامبر ﷺ و ترك نكردن مجلس اوست نه سفارش به اينكه «يا رسول الله» را جاگزين «يا مُحَمَّد» كنيد. هرچند اين سفارش در حد خود، محترم است ولي به هيچ وجه از مدلول آيه كريمه برنمي آيد. در عين حال جا دارد كه گفته شود چند تن از مترجمان و مفسران ارجمند به معنای صحيح آيه شريفه توجه داشته اند

۱- به تفسير طبري، ج ۱۷، ص ۳۸۹ بنگريد.

۲- به تفسير صافي، ج ۲، ص ۱۸۴ نگاه كنيد.

و در رأس آنان از عبدالله بن عباس باید نام برد چنانکه طبری در تفسیر گرانمایه‌اش، قول وی را گزارش نموده است.^(۱) **أَبِي السَّعُود** نیز تفسیر نامناسبی را که آوردیم نقل کرده و می‌نویسد: «فَلَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ»^(۲) (این تفسیر، مناسب با مقام آیه نیست). ابن جزئی هم در «التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» معنای صحیح آیه را می‌آورد و می‌نویسد: «يُقَوَّى هَذَا الْقَوْلُ مُنَاسَبَتُهُ لِمَا قَبْلَهُ»^(۳) (این قول را مناسبتش با پیش از خود، تقویت می‌کند). در تفسیر «الميزان» نیز مفسر محترم، قول صحیح را نقل کرده و می‌نویسد: «هَذَا أُنْسَبُ لِسِيَاقِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ»^(۴) (این قول، به دلیل سیاق آیه پیشین، از همه آراء مناسبتر است). و در بخش روایی از تفسیر الميزان نیز، روایت امام باقر عليه السلام را گزارش می‌نماید و سپس می‌نویسد: «قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ ذِيْلَ الْآيَةِ لَا يُلَايِمُ هَذَا الْمَعْنَى»^(۵) (پیش از این گذشت که دنباله آیه شریفه، با این معنا سازگاری ندارد). پیدا است که روایت مزبور را به لحاظ عدم ملایمت با سیاق قرآن، قابل اعتماد نمی‌شمرد.

* * *

۱- به تفسیر طبری، ج ۱۷، ص ۳۸۹ نگاه کنید.

۲- به تفسیر **أَبِي السَّعُود** (در حاشیه تفسیر فخررازی) ج ۷، ص ۴ بنگرید.

۳- به تفسیر ابن جزئی کلبی، ج ۳، ص ۱۳۶ نگاه کنید.

۴- به تفسیر الميزان، ج ۱۵، ص ۱۸۲ بنگرید.

۵- به تفسیر الميزان، ج ۱۵، ص ۱۸۵ نگاه کنید.

نکته‌ای از سوره فرقان

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِمُ الْفُؤَادَ^ط
وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٢٣﴾﴾ نزول تدریجی قرآن

در محیط ما شهرت دارد که قرآن مجید دو بار از سوی خداوند سبحان بر پیامبر گرامی اسلام ﷺ نازل شده است و این شهرت مولود تفاسیر و مقالاتی است که نویسندگانی چند، در میان ما به فارسی نگاشته‌اند (نه تفاسیر فنی و قدیمی). به‌عنوان نمونه: در یکی از تفاسیر جدید فارسی (که از داشتن مطالب ارزنده هم خالی نیست) آمده است: «قرآن دارای دو نوع نزول بوده است. اول نزول دفعی و جمعی که یکجا از سوی خداوند بر قلب پاک پیامبر ﷺ در ماه رمضان و شب قدر نازل گردیده، دوّم نزول تدریجی که برحسب شرائط و حوادث و نیازها در طی ۲۳ سال نازل شده است^(۱)». البته در تفسیرهای قدیمی نیز سخن از تکرار نزول قرآن رفته ولی نزول دوبار(دفعی و تدریجی) بر قلب رسول خدا ﷺ، سخنی تازه شمرده می‌شود.

در تفسیر فارسی دیگری (که آن‌هم مطالب ارزنده‌ای دارد) نویسنده محترم مرقوم داشته است: «از آیاتی که قرآن و نزول آن را تعریف و توصیف می‌نماید، به‌وضوح برمی‌آید که قرآن به دو صورت مشخص و در دو مرتبه نازل شده است. اول به‌صورت نزول بسیط و جمع و پیوسته، دوّم به‌صورت باز و تدریجی و تفصیلی^(۲)».

۱- به تفسیر نمونه، اثر آقای ناصر مکارم شیرازی، ج ۲۱، ص ۱۴۹ نگاه کنید.

۲- به تفسیر پرتوی از قرآن، اثر مرحوم آقای طالقانی، جزء آخر، ص ۱۹۲ بنگرید.

منشأ این برداشت، چند چیز است: یکی کاربرد واژه «إنزال» و تفاوت آن با «تنزیل» در قرآن مجید که به گمان هردو مفسر محترم، اولی برای نزول دفعی و دومی برای نزول تدریجی به کار رفته است. در حالی که آیه ۳۲ از سوره شریفه فرقان، خلاف این برداشت را به وضوح نشان می‌دهد زیرا از قول کافران گزارش می‌فرماید که گفتند: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (چرا این قرآن یکباره بر او فرود نیامده است؟!)). همانطور که ملاحظه می‌شود برای نزول دفعی، در این آیه شریفه لفظ «نُزِّلَ» از مصدر تنزیل، به کار رفته، نه لفظ «أُنزِلَ» از مصدر إنزال! و این با ادعای مفسران محترم سازگار نیست.

دوم آنکه یکی از آندو مفسر محترم مرقوم داشته است: پیامبر ﷺ قبل از نزول تدریجی قرآن، از آن آگاهی داشت، به دلیل آیه ۱۱۴ از سوره طه که می‌فرماید ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ آنگاه آیه مزبور را چنین ترجمه می‌نماید: «پیش از آنکه وحی درباره قرآن بر تو نازل شود، نسبت به آن عجله مکن»^(۱). متأسفانه مفسر محترم در ترجمه آیه شریفه دچار اشتباه شده (و از اینجا در نتیجه‌گیری، به خطا افتاده است) زیرا ﴿يُقْضَىٰ إِلَيْكَ﴾ را به معنای «يُنزَلُ إِلَيْكَ» پنداشته، در صورتی که به معنای «يَتِمُّ إِلَيْكَ» می‌آید. ولی از حُسن توفیق، در جای دیگر از تفسیرش آن را به درستی ترجمه نموده و نوشته است: «نسبت به قرآن عجله مکن، پیش از آنکه وحی آن بر تو تمام شود»^(۲). آری، رسول خدا ﷺ شتاب می‌ورزید و به همراه پیک وحی (جبریل علیهما السلام) آیات شریفه را پیش از تمام شدن آنها، می‌خواند. آنگاه فرمان یافت تا پس از اتمام قرائت جبریل، قرآن را تلاوت نماید و این امر به هیچوجه نشان نمی‌دهد که پیامبر ﷺ پیش از نزول قرآن، از آن آگاهی داشته است! چنانکه باز هم مفسر مزبور در تفسیر آیه مذکور می-

۱- به تفسیر نمونه، ج ۲۱، ص ۱۴۹ نگاه کنید.

۲- به تفسیر نمونه، ج ۱۳، ص ۳۱۰ بنگرید.

نویسد «و از آنجا که گاه پیامبر ﷺ به خاطر عشق به فراگیری قرآن و حفظ آن برای مردم، به هنگام دریافت وحی عجله می‌کرد و کاملاً مهلت نمی‌داد تا جبرئیل سخن خود را تمام کند، در دنباله این آیه چنین به او تذکر داده می‌شود: و نسبت به قرآن عجله مکن پیش از آنکه وحی آن تمام شود: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^(۱).

سپس می‌نویسد: «و بعضی گفته‌اند چون آیات قرآن مجید یکبار به صورت جمعی در شب قدر بر قلب پیامبر ﷺ نازل شده و یکبار هم به طور تدریجی در مدت ۲۳ سال، لذا پیامبر ﷺ به هنگام نزول تدریجی آیات، گاه پیشقدم بر جبرئیل می‌شد. قرآن دستور می‌دهد در این کار عجله مکن و بگذار نزول (دفعی و) تدریجی هر کدام به موقع خود انجام گیرد. ولی تفسیر نخست، نزدیکتر بنظر می‌رسد^(۲)». چنانکه ملاحظه می‌شود، نویسنده محترم در پایان سخن، قولی را که از دیگران گزارش نموده، نمی‌پسندد و قول اوّل را نزدیکتر به تفسیر آیه شریفه می‌شمرد.

سومین دستاویزی که بدان پرداخته‌اند، آیه اوّل از سوره کریمه هود است که می‌فرماید: ﴿كَتَبْنَا أَحْكَامَ آيَاتِهِ، ثُمَّ فَضَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ یکی از دو مفسر محترم، آیه شریفه را چنین ترجمه می‌نماید: «کتابی است که آیات آن استوار و سخت بهم پیوسته شده سپس باز و تفصیل داده شده از جانب حکیم خبیر است^(۳)». ولی این ترجمه، نشان می‌دهد که آیات قرآن از دو صفت (استحکام و تفصیل) برخوردارند اما اینکه قرآن، دوبار نازل شده است! به هیچوجه از آیه مزبور بر نمی‌آید.

چهارمین دستاویز ایشان، روایتی مروی از امام صادق علیه السلام و نیز از ابن عباس رضی الله عنهما است. مفسر مزبور در این باره می‌نویسد: «خلاصه مضمون این روایات باختلاف در تعبیر

۱- تفسیر نمونه، ج ۱۳، ص ۳۱۲.

۲- تفسیر نمونه، ج ۱۳، ص ۳۱۳ و ۳۱۴.

۳- تفسیر پرتوی از قرآن، جزء آخر، ص ۱۹۳.

چنین است: قرآن به صورت جمعی در شب قدر یا ماه رمضان از بیت المعمور یا لوح محفوظ یا آسمان بالا، به آسمان دنیا نازل شده سپس از آن به تدریج و تفریق در مدت ۲۳ سال فرود آمده است^(۱).

این روایات که از امام صادق علیه السلام و ابن عباس رضی الله عنهما مأثورند، در مقام بیان نزول جمعی و تدریجی آمده‌اند ولی تصریح دارند که نزول جمعی قرآن از لوح محفوظ به آسمان نزدیکتر (السَّمَاءُ الدُّنْيَا) صورت پذیرفته است، نه بر قلب پیامبر اکرم صلی الله علیه و آله و لذا اثبات نمی‌کنند که نزول دفعی و تدریجی قرآن، در یک منزل یا در «وعاء واحد» رخ داده است. پس آنچه قابل انکار نیست همانست که در مدت ۲۳ سال، قرآن کریم به تدریج بر رسول-خدا صلی الله علیه و آله نازل شده و نزول آسمانی آن از نزول زمینی جدا بوده است. دلیلی که این امر را تقویت می‌نماید آیه ۳۲ از سوره شریفه فرقان است که آن را در صدر مقاله آورده‌ایم. در آیه مزبور می‌خوانیم که کافران به رسم اعتراض، پرسیده‌اند: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (چرا این قرآن یکباره بر او فرود نیامده است؟! اگر قرآن کریم، نزول دفعی داشت در برابر این اعتراض لازم بود که پاسخ داده شود: چنان نیست، قرآن یکباره هم بر پیامبر نازل شده است! ولی آیه مورد بحث در سوره فرقان، ابتدا سخن کافران را تصدیق می‌نماید: ﴿كَذَلِكَ﴾ (چنان است). آنگاه حکمت نزول تدریجی قرآن را بیان می‌کند: ﴿لِنُنزِّلَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ یعنی: تا قلب تو را بدان استوار داریم و آن را با درنگ تمام (برتو) خوانده‌ایم. به قول زمخشری در کشاف: «وَقَوْلُهُ (كَذَلِكَ) جَوَابٌ لَهُمْ، أَي: كَذَلِكَ أَنْزَلَ مُفْرَقًا وَالْحِكْمَةُ فِيهِ أَنْ نُقَوِّيَ بِتَفْرِيقِهِ فُؤَادَكَ»^(۲) «كَذَلِكَ» پاسخ آن‌ها است

۱- تفسیر پرتوی از قرآن، جزء آخر، ص ۱۹۳. (متن روایت در مجمع البیان بدینصورت آمده: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ جَمِيعَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ نُجُومًا فِي طُولِ عِشْرِينَ سَنَةً»).

۲- تفسیر کشاف، ج ۳، ص ۲۷۸.

یعنی آری؛ قرآن به تدریج نازل شده و حکمتش آنستکه قلب تورا با نزول پراکنده آن، نیرو بخشیم).

می‌بینیم که قرآن مجید از تثبیت قلب پیامبر ﷺ سخن می‌گوید و این امر در کشاکش حوادث صدر اسلام با نزول وحی‌های مکرر، لازم می‌آمده است و به‌ویژه حکایت رویدادهایی که برای دیگر فرستادگان خدا ﷺ پیش آمده بود، رسول اکرم ﷺ را به استقامت و پایداری برمی‌انگیخت چنانکه در سوره هود فرموده است ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا تُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ۱۲۰] (از اخبار رسولان همه را بر تو می‌خوانیم، چیزهایی که دلت را بدانها استوار سازیم). علاوه بر این، نزول تدریجی قرآن در تربیت جامعه مسلمانان به صورت مرحله‌ای، نقش مؤثری داشته است و از اینرو می‌فرماید: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ۱۰۶] (و قرآنی که آن را در بخشهایی جدا از یکدیگر فرستادیم تا آن را بر مردم با تأنی و درنگ بخوانی). بنابراین فرضیه نزول دوگانه قرآن را باید کنار نهاد چنانکه از مشاهیر امامیه، کسانی چون شیخ مفید و شریف مرتضی در نفی این فرضیه، کوشیده‌اند. شیخ مفید در رساله «تصحیح الاعتقاد بصواب الانتقاد» که آن را در شرح عقاید ابن بابویه (ابوجعفر محمد بن علی بن الحسین) و نقد آن‌ها نگاشته است، درباره نزول جمعی قرآن با وی به مناقشه برمی‌خیزد (با اینکه ابن بابویه، به نزول جمعی قرآن، بر آسمان نزدیکتر عقیده داشته نه بر قلب رسول اکرم ﷺ) و می‌فرماید: «الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ فِي هَذَا الْبَابِ أَصْلُهُ حَدِيثٌ وَاحِدٌ لَا يُوجِبُ عِلْمًا وَلَا عَمَلًا وَنُزُولُ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَسْبَابِ الْحَادِثَةِ حَالًا فَحَالًا»^(۱) (آنچه ابوجعفر در این باب به‌سوی آن رفته، اصلش خبر واحدی است که نه موجب علم می‌شود و نه موجب عمل! و نزول قرآن بنا بر اسباب و احوالی بوده که یکی پس از دیگری روی داده است). آنگاه

۱- تصحیح الاعتقاد، اثر شیخ مفید، (فصل فی نُزُولِ الْقُرْآنِ)، ص ۱۰۲.

شواهدی را از قرآن کریم می‌آورد که از اسباب نزول آن حکایت می‌نمایند. آری؛ می‌توان گفت اگر آیه شریفه ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ﴾^(۱) [التوبة: ۴۳] قبلاً بر پیامبر ﷺ نازل شده بود، دیگر امکان نداشت که رسول خدا ﷺ به کسانی اجازه دهد تا به جهاد حاضر نشوند. یا چنانچه آیه: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾^(۲) [التحریم: ۱] قبلاً نزول یافته بود، ممکن نبود که رسول خدا ﷺ به خاطر رضایت همسرانش امری را بر خود ممنوع سازد. و شیخ مفید به نزول قرآن در شب قدر هم اشاره می‌کند و آن را بخشی از قرآن (یا آغاز نزول قرآن) می‌شمرد و می‌نویسد:

«أَنَّهُ نَزَلَ جُمْلَةً مِنْهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ثُمَّ تَلَاهُ مَا نَزَلَ مِنْهُ إِلَى وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ»^(۳).

یعنی: «همانا بخشی از قرآن در شب قدر نازل شد سپس آنچه که از قرآن نزول یافت تا زمان وفات پیامبر ﷺ در پی آن آمد.»

و سخن شیخ نباید مایه شگفتی شود چرا که در عرف قرآن، بخشی از کتاب خدا نیز «قرآن» نامیده شده مانند آیه کریمه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ۲۹] و امثال آن.

* * *

۱- «خدا از تو درگذرد، چرا به آن‌ها اجازه دادی (که به جهاد نیایند)»؟

۲- «ای پیامبر چرا چیزی را بر خود حرام می‌کنی که خدا برایت حلال کرده است درحالی‌که خشنودی همسرانت را می‌جویی»؟

۳- تصحیح الاعتقاد، ص ۱۰۳. (این قول در مجمع البیان نیز نقل شده است که: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْتَدَأَ إِزْأَالَهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ).

نکته‌ای از سوره شعراء

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿۷۵﴾ أَنْتُمْ وَّآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿۷۶﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿۷۷﴾﴾ دشمنی بت‌ها با ابراهیم علیه السلام!

در سوره شریفه شعراء می‌خوانیم که ابراهیم علیه السلام خطاب به بت پرستان فرمود: «آنچه شما می‌پرستید و پدران پیشین شما عبادت می‌کردند، دشمن من هستند مگر خداوند جهانیان! در اینجا پرسشی به میان آمده است که چگونه بت‌های بی‌جان با ابراهیم علیه السلام دشمن بودند؟! مفسران قدیم در این باره پاسخی آورده‌اند که چندان موجه به نظر نمی‌رسد. ابوجعفر طبری در تفسیر گرانقدرش می‌نویسد: «فَإِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي - لَوْ عَبَدْتُّهُمْ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(۱). یعنی: «معنای سخن ابراهیم علیه السلام آنست که اگر من بت‌ها را پرستش کرده بودم، آن‌ها در روز رستاخیز (زنده شده) دشمن من می‌شدند!»

این معنا را برخی از مفسران قدیمی دیگر نیز آورده‌اند چنانکه قرطبی اندلسی در تفسیرش می‌نویسد: «وَصَفُّ الْجَمَادِ بِالْعَدَاوَةِ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي - إِنْ عَبَدْتُّهُمْ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(۲). یعنی: «ابراهیم علیه السلام که اشیاء بی‌جان را به دشمنی وصف نمود، گفته‌ی وی به معنای آنست که اگر من بت‌ها را پرستش کرده بودم، آن‌ها در روز رستاخیز دشمن من می‌شدند!» شوکانی یمنی در تفسیر «فتح القدير» نیز بر همین رأی رفته است^(۳). و ظاهراً همگی تفسیر مذکور را از طبری گرفته‌اند که أقدم بر آنان بوده است. ولی چنانکه گفتیم این تفسیر

۱- تفسیر طبری، ج ۱۷، ص ۵۹۱.

۲- تفسیر قرطبی (الجامع لأحكام القرآن)، ج ۷، ص ۷۴.

۳- تفسیر شوکانی، ج ۴، ص ۱۰۴.

چندان موجه نیست زیرا ظاهر آیه شریفه دلالت دارد بر اینکه بت‌های مشرکان در همان روزگار، دشمن ابراهیم بودند و سخنی از دشمنی آنان به روز رستاخیز در آیه مزبور نرفته است.

از قدمای مفسران، ابوزکریا فرّاء (متوفی در سنه ۲۰۷ هـ ق) گفته است که سخن ابراهیم علیه السلام به اصطلاح، «سخنی مقلوب» شمرده می‌شود. یعنی مراد ابراهیم علیه السلام آن بوده که «من دشمن بت‌ها هستم»^(۱) نه آنکه بت‌ها دشمن من باشند! این گفته اگرچه سخنی معقول است ولی با ظاهر آیه شریفه موافقت ندارد.

تفسیر صحیح آیه کریمه اینست که: ابراهیم علیه السلام بت‌ها را به‌اعتبار آنکه از سوی مشرکان پرستیده می‌شدند (نه به اعتبار سنگ و چوب بودنشان!) دشمن عقیده توحیدی ورستگاری خود می‌شمرد^(۲) و آن‌ها را گمراه کننده مردم می‌دانست چنانکه پس از ذکر آنان، به درگاه خداوند عرض کرد: ﴿رَبِّ إِنِّي أٌضَلَّلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [ابراهیم: ۳۶] یعنی: «خداوندا، آن‌ها بسیاری از مردم را گمراه کرده‌اند!» و این سخن از باب «مجاز» آمده و اعتبار «سببیت» در آن رفته است یعنی بت‌ها، اسباب گمراهی مردم شده‌اند. البته ابراهیم علیه السلام به‌خوبی می‌دانست که بت‌ها فاقد شعور و ادراکند و سود و زیانی به کسی نمی‌رسانند چنانکه به‌صورت «استفهام انکاری» به بت‌پرستان فرمود: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ۷۲-۷۳] یعنی: «هنگامی که بت‌ها را می‌خوانید، آیا آن‌ها سخن شما را می‌شنوند؟ یا شما را سود و زیانی می‌رسانند؟!».

۱- به تفسیر شوکانی، ج ۴، ص ۱۰۴ بنگرید.

۲- از تفاسیر جدید، تفسیر «المیزان» از شیعه و تفسیر «المنیر» از أهل سنت تقریباً همین رأی را برگزیده‌اند.

خلاصه آنکه نسبت دشمنی و گمراه کردن برای بت‌های بی‌جان، نسبتی مجازی است^(۱) و غفلت از این معنا، برخی از مفسران را از درک آیه شریفه دور کرده است.

* * *

۱- چنانکه کفارِ زمانِ ما، «کعبه معظّمه» را دشمن خود می‌دانند!

نکته‌ای از سوره نمل

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿۸۳﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا أَنَّمَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿۸۴﴾﴾ رَجَعْتَ يَا بازگشت به دنیا!

در میان فرقه امامیه مشهور است که آیه ۸۳ از سوره شریفه نمل دلالت دارد بر اینکه پیش از قیامت، عده‌ای از مردم به دنیا بازمی‌گردند. شیخ طبرسی در تفسیر «مجمع البیان» می‌نویسد: «وَاسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ صِحَّةِ الرَّجْعَةِ مَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ بِأَنَّ قَالَ إِنَّ دُخُولَ (مِنْ) فِي الْكَلَامِ يُوجِبُ التَّبَعِيضَ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْيَوْمَ الْمَشَارَ فِي الْآيَةِ يُحْشَرُ فِيهِ قَوْمٌ دُونَ قَوْمٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ صِفَةً يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ سَبْحَانَهُ: وَحَشَرَ نَاهُمْ فَلَمْ نُوَاعِدْ مِنْهُمْ أَحَدًا».^(۱)

یعنی: «کسانی از امامیه که بر قول به رجعت رفته‌اند، بدین آیه بر درستی آن، استدلال نموده‌اند که چون در کلام (عرب) حرف «مِنْ» داخل شود، موجب تبعیض در معنا خواهد شد. بنابراین، آیه کریمه دلالت دارد بر آنکه در آنروز گروهی از اقوام محشور می‌شوند، نه همگی آنها! و البته این وصف از آن روز رستاخیز نیست که خدای سبحان درباره‌اش فرموده: آنان را محشور می‌کنیم و هیچکس از ایشان را وانمی‌گذاریم».

۱- تفسیر مجمع البیان، ج ۲۰، ص ۲۵۱.

از تفاسیر جدید امامیه، تفسیر «المیزان» نیز همین قول را تأیید نموده می‌نویسد: «وَوَظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّ هَذَا الْحَشْرَ فِي غَيْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ حَشْرٌ لِلْبَعْضِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ لَا لِجَمِيعِهِمْ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾»^(۱).

یعنی: «ظاهر آیه نشان می‌دهد که این حشر، در غیر روز رستاخیز صورت می‌گیرد زیرا برای بعضی از افراد هرآمت است، نه برای همه آن‌ها. و خدای تعالی در وصف حشر روز رستاخیز فرموده: آنان را محشور می‌کنیم و هیچکس از ایشان را وانمی‌گذاریم». با اینهمه، صاحب تفسیر المیزان آیه مذکور را «نص» در مسئله رجعت نمی‌شمرد و می‌نویسد: «وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَصًّا»^(۲) (و هرچند آیه شریفه، نص در این معنا نیست). و چنانکه می‌دانیم: نص در کلام، سخنی است که احتمال خلاف در آن نرود.

اینک باید دانست که دلیل این امر چیست؟ در میان اهل علم معروفست که گویند: **إثبات الشيء لا ينفي ما عداه** (اثبات چیزی، غیر آن را نفی نمی‌کند). پس اگر در آیه شریفه آمده که «روزی از میان همه اُمت‌ها گروهی از تکذیب کنندگانشان را محشور می‌کنیم» و سپس می‌فرماید با آنان خطاب و عتاب خواهیم نمود که: ﴿أَكْذَبْتُمْ بِقَائِيَتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ [النمل: ۸۴] (آیا آیات مرا تکذیب کردید در حالی که بدانها دانشی فراگیر نداشتید؟!); آیا این سخن دلیل بر آنست که در آنروز، کسانی که آیات خدا را تصدیق نمودند، محشور نخواهند شد؟! اگر چنین باشد پس آیاتی که دلالت دارند در روز رستاخیز، پرهیزکاران محشور خواهند شد نیز دلیلند بر آنکه کافران و فاسقان محشور نمی‌شوند! مانند آیه شریفه: ﴿يَوْمَ حَشَرْنَا الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ﴾ [مریم: ۸۵]. یعنی «روزی که پرهیزکاران را به سوی خدای رحمن به میهمانی محشور می‌کنیم» و آیه

۱- تفسیر المیزان، ج ۱۵، ص ۴۳۵.

۲- تفسیر المیزان، ج ۱۵، ص ۴۳۶.

شریفه: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ۷۲] یعنی: «نماز را بپا دارید و تقوای خدا را رعایت کنید و اوست کسی که به سویش محشور می‌شوید.» و امثال این آیات.

صاحب مجمع‌البیان در پی سخن خود می‌نویسد: «أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْإِمَامِيَّةِ تَأَوَّلُوا مَا وَرَدَ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي الرَّجْعَةِ عَلَى رُجُوعِ الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ دُونَ رُجُوعِ الْأَشْخَاصِ وَإِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ»^(۱) (جماعتی از امامیه اخباری را که درباره رجعت وارد شده است بر رجعت دولت و امر و نهی یعنی احکام اسلام، تأویل کرده‌اند، نه بر بازگشت اشخاص و زنده ساختن مُردگان).

بااینهمه در ذیل سخنش کلامی را می‌آورد که در آغاز، آن را نقض نموده است! و می‌نویسد: «الرَّجْعَةُ لَمْ تَثْبُتْ بِظَوَاهِرِ الْأَخْبَارِ الْمَنْقُولَةِ، فَيَتَطَرَّقُ التَّأْوِيلُ عَلَيْهَا وَإِنَّمَا الْمُعْوَلُ فِي ذَلِكَ عَلَى إِجْمَاعِ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ»^(۲) (رجعت با ظواهر اخباری که گزارش شده ثابت نمی‌شود تا تأویل، در آن‌ها راه یابد، و دراینباره اعتماد، بر اجماع شیعه امامیه است).

معلوم نیست این چه اجماعی است که جماعتی از قدمای امامیه بدان معتقد نبوده‌اند و اخبار رجعت را به «رجعت دولت آل محمد ﷺ» و شوکت «احکام اسلام» تأویل کرده‌اند؟!

أما صاحب «الميزان» با وجود آنکه آیه موردبحث را نصّ در رجعت نمی‌داند، می‌گوید: چون موضوع «نفخ صور» و «وقایع قیامت» در چند آیه پس از آیه مزبور، قرار گرفته، بنابراین، حشر مذکور ناگزیر پیش از قیامت صورت می‌گیرد^(۳)!

۱- تفسیر مجمع‌البیان، ج ۲۰، ص ۲۵۰.

۲- تفسیر مجمع‌البیان، ج ۲۰، ص ۲۵۰.

۳- به تفسیر المیزان، ج ۱۵، ص ۴۳۶ بنگرید.

ولی قول ایشان نقض می‌شود به اینکه: در سوره شریفه زَمْر نیز موضوع «نفخ صور» و «وقایع قیامت» پس از ذکر دوزخی شدن کافران در روز رستاخیز آمده است چنانکه در آیه ۶۰ می‌فرماید: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ سپس با فاصله چند آیه، به نفخ صور و حوادث قیامت می‌پردازد و می‌فرماید: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ و این امر مربوط به سَبَك قرآن کریم و شیوه اداء آن است که گاهی به صورت «إجمال» و «تفصیل» بیان معانی می‌کند.

*

*

*

نکته‌ای از سوره قصص

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاسَتْوَىٰ وَأَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿۲۲﴾﴾

حُکْم و علم موسی علیه السلام

این آیه شریفه دربارهٔ موسی علیه السلام آمده است و می‌فرماید: «چون (موسی) به توانمندی خود رسید و استوار گشت، او را حُکْم و دانش دادیم و نیکوکاران را چنین پاداش می‌دهیم». نظیر همین آیه کریمه را (با حذف: وَ اسْتَوَى) در سوره مبارکه یوسف^(۱) ملاحظه می‌کنیم که با وی پیوند دارد. برخی از مفسران قرآن، این بخشش خداوندی را مربوط به زمان پیش از نبوت موسی علیه السلام دانسته‌اند، به قرینهٔ آنکه ماجرای بعثت موسوی در چند آیه بعد قرار گرفته است از اینرو ابوجعفر طبری از قول مجاهد آورده که گفت: «الْفِقْهُ وَالْعَمَلُ قَبْلَ النَّبُوَّةِ»^(۲) (بدو فهم و کردار نیک، پیش از پیامبریش دادیم). شیخ طبرسی در «مجمع‌البیان» دو قول را در اینباره گزارش نموده و می‌نویسد: «فَعَلَّمَ مُوسَىٰ وَحُكْمَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ نَبِيًّا. وَقِيلَ: نُبُوَّةٌ وَعِلْمٌ»^(۳) (به موسی علیه السلام، علم و حُکْم داده شد، پیش از آنکه به نبوت مبعوث گردد. و گفته شده که مراد، دادن نبوت و علم است). شیخ ابوالفتوح رازی در تفسیر «روح الجنان» تنها بر قول به نبوت بسنده نموده و نوشته است: «مراد به حُکْم و علم، نبوت است یعنی ما او را نبوت دادیم»^(۴). اما این مفسران محترم هیچیک دلیلی نیاورده-

۱- سوره یوسف، آیه ۲۲.

۲- تفسیر طبری، ج ۱۸، ص ۱۸۲.

۳- تفسیر طبرسی، ج ۲۰، ص ۲۷۲.

۴- تفسیر ابوالفتوح رازی، ج ۳، ص ۱۹۱.

اند که ثابت کند این عطیۀ خداوندی، پیش از نبوت بوده یا همان مقام نبوت و دانش پیامبری بوده است؟! تا آنجا که فخرالدین رازی در تفسیر «مفاتیح الغیب» می‌نویسد: «لَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ النَّبُوَّةَ كَانَتْ قَبْلَ قَتْلِ الْقِبْطِيِّ أَوْ بَعْدَهُ؟ لِأَنَّ (الْوَاوَ) فِي قَوْلِهِ: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ...) لَا تُفِيدُ التَّرْتِيبَ». (در آیه، دلیلی وجود ندارد که نشان دهد این نبوت، پیش از قتل مرد مصری بوده یا بعد از آن رخ داده زیرا حرف «واو» در گفتار خداوند که فرمود: وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ... فایده ترتیب را نمی‌رساند)!

به نظر ما، مشکل این مفسران گرامی در این مورد از آنجا سر می‌زند که آیه شریفه فوق را با آیات دیگر که درباره موسی عليه السلام آمده، نسنجیده‌اند و گرنه، به وحدت رأی می‌رسیدند زیرا خدایتعالی در سوره شعراء فرموده: چون فرعون مصر از قتل مرد مصری با موسی عليه السلام سخن گفت، موسی عليه السلام بدو پاسخ داد:

﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الشعراء: ۲۰-۲۱].

یعنی: «من، آن‌کار را هنگامی کردم که از گمراهان بودم (راه را نمی‌شناختم) پس چون از شما ترسیدم، (از سرزمینتان) گریختم. سپس خداوند مرا حکم بخشید و از فرستادگانم قرار داد.»

چنانکه ملاحظه می‌شود، حکم خداوند، زمانی نصیب موسی عليه السلام گشت که مرد مصری کشته شده و موسی عليه السلام از مصر گریخته بود و این آیه روشن، می‌تواند به نزاع مفسران پایان دهد. بنابراین، مراد از حکم، همان فرمان الهی است که در هنگام نبوت موسی عليه السلام بدو رسید. در اینجا به شیوه بیان قرآن کریم (چنانکه در مقاله ۲۷ اشاره شد) باید توجه کرد که ماجرای موسی عليه السلام را از کودکی تا نبوت گزارش می‌کند. سپس اجمال مزبور را به تفصیل می‌برد و شرح ورود نابهنگام موسی عليه السلام را به شهر می‌آورد و داستان وی را ادامه داده به آخر می‌رساند.

اما فخررازی اشکالی چند براینکه حکم خدایتعالی به موسی علیه السلام، همان نبوت وی می‌باشد آورده و می‌نویسد:

(الأول) إِنَّ النُّبُوَّةَ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ البَشَرِيَّةِ فَلَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ مَسْبُوقَةً بِالْكَمَالِ فِي الْعِلْمِ وَالسَّيْرِ المرَضِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَخْلَاقُ الْحُكَمَاءِ وَالْكِبْرَاءِ.

(الثاني) إِنَّ قَوْلَهُ «وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَعْطَاهُ الْحُكْمَ وَالْعِلْمَ مُجَازَةً عَلَى إِحْسَانِهِ وَالنُّبُوَّةَ لَا تَكُونُ جَزَاءً عَلَى الْعَمَلِ.

(الثالث) إِنَّ الْمُرَادَ بِالْحُكْمِ وَالْعِلْمِ لَوْ كَانَ هُوَ النُّبُوَّةَ لَوَجَبَ حُصُولُ النُّبُوَّةِ لِكُلِّ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لِقَوْلِهِ: وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.^(۱)

یعنی: «فخست آنکه: پیامبری، بالاترین درجات بشری به‌شمار می‌آید از اینرو ناچار باید به کمال دانش و رفتار پسندیده مسبوق باشد که همان اخلاق حکیمان و بزرگان است.

دوم آنکه: گفتار خداوند که فرمود: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(۲) دلالت دارد براینکه خدا به پاداش نیکوکاری، حکم و دانش به موسی علیه السلام داد ولی پیامبری، پاداش عمل نیست.

سوم آنکه: اگر مراد از حکم و علم همان نبوت باشد لازم می‌آید هر شخص نیکوکاری به نبوت رسد چرا که خداوند در خاتمه آیه فرمود: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾!

برای ایرادات فخررازی یک پاسخ کلی داریم و آن از این قرار است که: چون در پایان آیه مورد بحث، می‌فرماید: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(۳) فخررازی نمی‌پذیرد که حکم و علم، همان نبوت و دانش پیامبری باشد ولی قرآن کریم در سوره شریفه انعام به- صراحت از «هدایت پیامبران» یاد می‌نماید و سپس می‌فرماید: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(۴) هر پاسخی که فخررازی بدین موضوع می‌دهد، همان، پاسخ ما به اشکالات اوست!

چنانکه در آیه ۸۴ از سورهٔ انعام می‌خوانیم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾.

اما پاسخ به تک تک ایرادهای وی، اجمالاً از این قرار است: اولاً ما سراغ نداریم که پیامبران خدا از میان حکماء و علمای رسمی انتخاب شده باشند. کدام حکیم و فیلسوف، به مقام نبوت رسیده است؟! اما می‌دانیم که محمد اُمّی - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - به نبوت و رسالت و حتی خاتمیت نائل گشت! ثانیاً نیکوکاری و اخلاق پاکیزه، یکی از علل وصول به نبوت شمرده می‌شود ولی «عَلَّتْ تَأَمَّهُ» یا «تمام العلة» نیست. استعدادهای دیگری نیز برای وصول به نبوت لازم است. ثالثاً باتوجه بدانچه گفتیم همه نیکوکاران بنا بر آیه مورد بحث، از خداوند کریم، پاداش خواهند گرفت ولی چون نیکوکاری، تنها علت برای احراز مقام نبوت نیست لذا هر شخص نیکوکاری به نبوت نائل نمی‌گردد.

* * *

نکته‌ای از سوره روم

﴿أُولَٰئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَنُقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۗ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ كَانَ عَنُقِبَةُ الَّذِينَ أُسْتُعُوا أَلْسُوًا أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢﴾﴾ فرجام بدکاران!

آیه شریفه اخیر را برخی از مترجمان بدینصورت ترجمه کرده‌اند: «سپس سرانجام کسانی که اعمال بد مرتکب شدند به جایی رسید که آیات خدا را تکذیب کردند و آن را به مسخره گرفتند»^(۱). مترجم دیگر مرقوم داشته است: «سپس سرانجام کسانی که کارهای بد کردند، این شد که آیات خدا را دروغ انگاشتند و بدانها استهزاء کردند»^(۲) دیگری می‌نویسد: «آخر، سرانجام کار آنان که بسیار به اعمال زشت و کردار بد پرداختند، این شد که به حق کافر شده و آیات خدا را تکذیب و تمسخر کردند»^(۳).

این ترجمه‌ها با سیاق و مفهوم آیه شریفه چندان سازگار نیست ازاینرو معظم مفسران شیعه و سنی از آن اعراض نموده‌اند. خدایتعالی در آیه قبل، از کسانی سخن به میان آورده که در برابر رسولان وی، راه ستمگری و انکار پیش گرفتند و درحقیقت با انکار رسولان خدا به خودشان ستم کردند چنانکه می‌فرماید: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۗ فَمَا كَانَ اللَّهُ

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای ناصر مکارم شیرازی بنگرید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای جلال‌الدین مجتبی‌نوی نگاه کنید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای مهدی الهی قمشه‌ای بنگرید.

لِيُظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الروم: ۹] بنابراین، ذکر اینکه سرانجام کارشان به تکذیب و استهزاء آیات پیوست، صحیح به نظر نمی‌رسد زیرا تکذیب رسولان، نفس عمل ستمگرانه آنها بود، نه عاقبت و سرانجام کارشان! عاقبت عمل آنها، جز عذاب الهی چیزی نبود که قرآن کریم در نظایر این آیه، ب آنها بدان هشدار داده است. مانند اینکه می‌فرماید: ﴿أُولَٰئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنَقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ [غافر: ۲۱-۲۲] [و آیا در زمین نگردیدند تا بنگرند که سرانجام کسانی که پیش از ایشان می‌زیستند چگونه بود؟ آنان نیرومندتر از ایشان بودند و در زمین آثار بیشتری (از حیث آبادانی) داشتند پس خدا به سزای گناهانشان آنها را گرفت و در برابر خدا هیچ نگاهداری برای آنها نبود * این (کیفر) از آن روی بود که رسولانشان با دلائل روشن به سوی آنان آمدند ولی آنها کفر ورزیدند پس خدا آنان را گرفت همانا که او توانمند و سخت کیفر است]. باز می‌فرماید: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنَقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٣﴾ [غافر: ۸۲-۸۳] [پس آیا در زمین نگردیدند تا بنگرند که سرانجام کسانی که پیش از ایشان می‌زیستند، چگونه بود؟ آنها افرادی بیشتر و نیرومندتر از ایشان بودند و در زمین آثار فراوانتری داشتند ولی کارهایی که می‌کردند، آنان را کفایت نکرد (مانع از عذابشان نشد) * پس چون رسولان آنها با دلائل روشن به سوی آنان آمدند، به دانشی که نزدشان بود، شادمان (ومغرور) شدند و (عذابی که) آن را استهزاء می‌کردند آنها را فراگرفت].

چنانکه ملاحظه می‌شود در این آیات شریفه که هماهنگ و همسو با آیات سوره مبارکه روم است، عاقبت اقوام مزبور، جُز عذابِ إلهی چیزی نبوده است اما کفر و ظلم آن‌ها، پیش‌از سرانجامشان روی داده و ازینرو طبری از ابن عباس آورده که گفت: جَزَاؤُهُمُ الْعَذَابُ^(۱) (کیفر آن‌ها عذاب بود) و طبرسی می‌نویسد: اسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ^(۲) (لایق عذاب شدند). صاحب تفسیر «المیزان» نیز همین قول را برگزیده و درباره معنای پیشین (که در برخی از تراجم آمده) نوشته است: «المقام، مقامُ الاعتبارِ وَالإِنذَارِ وَالْمُنَاسِبُ لَهُ بَيَانُ انْتِهَاءِ مَعَاصِيهِمْ إِلَى سُوءِ الْعَذَابِ لَا انْتِهَاءِ مَعَاصِيهِمْ الْمُتَّفَرِّقَةَ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ»^(۳) (این مقام، جایگاه عبرت گرفتن و بیم دادن است و مناسب آنستکه سرانجام، گناهانشان به عذاب سخت پیوندد نه به تکذیب و تمسخر)!

در اینجا مناسب است بدین نکته نیز توجه کنیم که: کلمه «عاقبه» در آیه شریفه به نصب آمده است و در نتیجه، خبر (کان) به‌شمار می‌آید و اسم کان، همان «السُّوْأَى» است که مؤخر واقع شده و جمله (أَنْ كَذَّبُوا...) (مقام مفعول له را بر عهده دارد و برای «تعلیل» به‌کار رفته است یعنی: لِأَنَّ كَذَّبُوا) (زیرا که تکذیب کردند). باتوجه بدین امر، مفهوم آیه شریفه چنین است که: «پس کسانی که اعمال بدی مرتکب شدند، به سرانجام بدتری رسیدند، زیرا که آیات خدا را تکذیب کردند و آنها را به استهزاء می‌گرفتند». و سرانجام بدتر، چنانکه گفتیم همان عذابِ إلهی بوده است. ضمناً کلمه «السُّوْأَى» در اینجا می‌تواند مؤنث «أَسْوَاءَ» باشد و ممکن است صورت مصدری داشته باشد (بر وزن فُعلی مانند حُسْنی) که در صورت اول، با آیه شریفه ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ۲۷] موافقت دارد.

* * *

۱- تفسیر طبری، ج ۱۸، ص ۴۶۵.

۲- تفسیر طبرسی، ج ۲۱، ص ۱۲.

۳- تفسیر المیزان، ج ۱۶، ص ۱۶۶.

نکته‌ای از سوره احزاب

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ اراده تکوینی

یا تشریحی؟

این کلام مبارک، بخشی از سی و سومین آیه سوره احزاب است (نه تمام آن). در این باره چند مسئله پیش آمده که مفسران قرآن کریم، به اختلاف از آن‌ها سخن گفته‌اند و ما نظر خود را بدون درگیر شدن با مفسران، در اینجا ابراز می‌داریم:

نخست آنکه: باید ملاحظه کرد آیا اراده خداوند که در آغاز کلام بدان تصریح شده یعنی «یُرِيدُ اللَّهُ» اراده‌ای تکوینی است یا تشریحی؟ اراده تکوینی به ایجاد اشیاء تعلق می‌گیرد و مخالفت با آن ممکن نیست مانند آنکه خدایتعالی می‌فرماید: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [یونس: ۱۰۷] یعنی: «اگر (خدا) درباره تو، اراده خیری کند باز گرداننده‌ای برای بخشش او وجود ندارد». اما اراده تشریحی، بر احکام قانونی خداوند تعلق می‌گیرد و مخالفت با احکام مزبور، ممکن است مانند اینکه پس از تخفیف‌های روزه برای مریض و مسافر و غیره می‌فرماید: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ۱۸۵] یعنی: «خدا اراده آسانی نسبت به شما دارد و اراده سختی ندارد» مقصود آنستکه در قانونگذاری‌های خود نمی‌خواهد تکلیف سختی را بر شما بار کند. اما ممکن است مثلاً کسی در اثر وسواس یا میل به ریاضت، خود را به سختی افکند.

اینک باید ملاحظه کرد که در آیه شریفه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ کدام یک از این دو اراده، مورد عنایت قرار گرفته است؟ **قاعده تشخیص** اینستکه اگر پیش از ذکر اراده خداوند، سخن از **امور خلقی** رفته باشد، آن را بر اراده تکوینی باید حمل کرد

مانند: ﴿وَهُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ (۸۱) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿۸۲﴾ [یس: ۸۱-۸۲]^(۱) و چنانچه پیش از ذکر ارادهٔ الهی، از احکام تکلیفی سخن به میان آمده باشد، آن را بر ارادهٔ تشریحی حمل می‌کنیم مانند اینکه پس از بیان احکام وضوء و غسل و تیمم می‌فرماید: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ۶]^(۲)

اما دربارهٔ آیهٔ مورد بحث، چنانکه دانستیم این بخش از آیهٔ شریفه، تمام آیه نیست و با آوردن بخش دیگر، می‌توان فهمید که ارادهٔ تشریحی در آن لحاظ شده یا ارادهٔ تکوینی؟ خدایتعالی خطاب به زنان پیامبر اکرم ﷺ می‌فرماید:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿۱۰۸﴾

یعنی: «و در خانه‌های خودتان آرام گیرید و همچون جاهلیت پیشین، به خودنمایی بیرون نیابید و نماز را برپای دارید و زکات بدهید و از خدا و رسولش فرمان برید، جز این نیست - ای اهل خانه - که خدا اراده دارد تا پلیدی را از شما ببرد و کاملاً پاکتان کند».

همانطورکه ملاحظه می‌شود پیش از ذکر ارادهٔ خداوند، تماماً از احکام تکلیفی سخن رفته است نه از امور خلقی و تکوینی. بنابراین، مفهوم آیهٔ شریفه اینست که: خداوند با تشریح حکم عفاف و نماز و زکات و فرمانبرداری از خود و رسولش، می‌خواهد پلیدی را از شما دور کند و از اینراه پاکتان سازد.

بحث دوم آنستکه: کلمهٔ «إِنَّمَا» در آیهٔ شریفه افادهٔ «حصر» می‌نماید اما اگر مراد از آیهٔ مزبور، همان ارادهٔ تشریحی باشد، در آنصورت اختصاص به اهل بیت ﷺ نخواهد یافت! پاسخ آنستکه: حصر مزبور، حصر در موضوع است نه حصر در افراد، یعنی آیهٔ شریفه نشان

۱- او است آفریدگار دانا، فرمانش جزاین نیست که چون چیزی را اراده کند بدو گوید: باش پس می‌شود!

۲- خدا اراده ندارد تا بر شما سختی روا دارد ولی اراده دارد که شما را پاک کند.

می‌دهد که غرض خداوند (از تشریح احکامی که فرموده) تنها و تنها طهارت اهل بیت علیهم‌السلام است و مقصود دیگری ندارد ولی آیه کریمه نمی‌خواهد غرض از تشریح احکام را برای دیگران، از پاکی آنان جدا شمارد به دلیل آنکه در قرآن مجید مکرراً از طهارت سایر مؤمنان نیز سخن به میان آورده است و مثلاً می‌فرماید: ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ۱۰۳] یعنی: «از مالهای ایشان صدقه بگیر (بپذیر) تا آنان را به طهارت رسانی و با آن، پاکیزه‌شان کنی». یا خطاب به مؤمنان می‌فرماید: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ۶]. یعنی: «خداوند اراده ندارد بر شما سختی روا دارد ولی اراده دارد که شما را پاک کند». در عین حال می‌توان گفت که بیان آیه شریفه، نوعی تجلیل از اهل بیت را بیش از عموم دربر دارد و سیاق آیات کریمه این مفهوم را تأیید می‌کند چنانکه می‌فرماید: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَاٰحِدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ اِنَّ اَتَّقِيْنَ﴾ [الأحزاب: ۳۲] یعنی «ای زنان پیامبر، اگر تقوی داشته باشید مانند احدی از زنان نیستید».

بحث سوم آنستکه: چرا در میان خطاب به زنان پیامبر علیهم‌السلام ضمیر مذکر «عَنكُمْ» به کار رفته است؟ پاسخ آنستکه: این امر بنا بر قاعده «تغلیب» صورت گرفته که چون مراد از اهل بیت، اهل خانه پیامبر علیهم‌السلام بوده‌اند از اینرو، به اعتبار رسول اکرم صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم و بنا بر قاعده نحوی، ضمیر مذکر بر مؤنث غلبه داده شده و شاهد کاربرد آن نیز در سوره هود آمده است که از قول فرشتگان به همسر ابراهیم علیه‌السلام می‌فرماید: ﴿اَتَعْجَبِيْنَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ ۗ رَحْمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكَتُهُ ۗ عَلٰیكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(۱) [هود: ۷۳]. در اینجا چنانکه ملاحظه می‌شود کلمه ﴿اَتَعْجَبِيْنَ﴾ صیغه مخاطب مؤنث است و به یک زن (ساره) خطاب شده ولی چون سخن از اهل بیت وی به میان می‌آید به اعتبار مردخانه (ابراهیم علیه‌السلام) ضمیر مذکر «عَلَيْكُمْ»

۱- آیا (ای زن) از امر خدا شگفتی می‌کنی؟ این، رحمت خدا و برکات او بر شماست ای اهل بیت!

استعمال فرموده و عیناً همانند آیه شریفه تطهیر است^(۱). شاهد دیگر، سخن خدایتعالی درباره موسی عَلَيْهِ السَّلَامُ و خانواده اوست که فرمود: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ [طه: ۱۰]. در اینجا نیز «امكثوا» و «آتيكم» هر دو جمع مذکرند.

بحث چهارم آنستکه: چطور می توان ادعا کرد که زنان پیامبر عَلَيْهِمُ السَّلَامُ همگی معصوم از گناه بوده اند؟ پاسخ آنستکه: آیه شریفه مورد بحث، اساساً اثبات عصمت برای کسی نمی - کند بلکه به زنان رسول عَلَيْهِمُ السَّلَامُ می فرماید خدا و رسولش را فرمانبردار تا از اینراه خداوند شما را پاکیزه کند. مانند اینکه می فرماید: در مساجد، مردانی هستند که دوست دارند با عبادت خدا، پاک و مطهر شوند: ﴿فِيهِ رِجَالٌ مُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ۱۰۸] ولی هیچکس ادعا نکرده که اهل مسجد، همه معصوم شده اند!

بحث پنجم آنستکه: به چه قرینه ای مراد از «اهل البيت» اهل خانه پیامبر عَلَيْهِمُ السَّلَامُ یعنی زنان او هستند؟ پاسخ آنستکه: در همین سوره احزاب آیه ۵۳ خدایتعالی می فرماید: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (به بیوت پیامبر داخل نشوید مگر که به شما اجازه داده شود) سپس ضمن آیه مذکور، نشان می دهد که در همان بیوت، زنان رسول الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هستند و به میهمانان پیامبر عَلَيْهِمُ السَّلَامُ می فرماید: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ

۱- نکته عجیب اینستکه صاحب تفسیر «المیزان» چون به شاهد قرآنی درباره قاعده تغلیب توجه ننموده، در ارتباط میان خطاب به زنان پیامبرص و جمله ای که بعد از آن، با ضمیرمذکر آمده دچار تردید شده است و می نویسد: إِنَّمَا وُضِعَتْ بَيْنَهَا إِمَّا بِأَمْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَوْ عِنْدَ التَّأْلِيفِ بَعْدَ الرَّحَلَةِ! (المیزان، ج ۱۶، ص ۳۳) یعنی: «این جمله، میان خطاب به زنان، یا به دستور پیامبرص گذاشته شده و یا هنگام گردآوری قرآن، پس از رحلت پیامبر، آن را در اینجا نهاده اند!» و این سخن از کسی سر می زند که معتقد باشد نظم آیات در سوره ها - معاذ الله - به هم ریخته است! آیا این قول، به تحریف قرآن نزدیک نیست؟! و آیا نظم سوره ها، مشخص و مضبوط نبوده که گفته شده است: اگر می توانید سوره ای یا ده سوره همانند قرآن را بیاورید؟ ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (البقرة: ۲۳) ﴿فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾ (هود: ۱۳).

وَرَأَى حِجَابٍ [چون چیزی را از زنان درخواست نمودید (پرده را پس نزنید) از پس پرده از آنان بخواهید]. به علاوه، در آیه ۳۴ از سوره احزاب، خطاب به زنان رسول ﷺ می‌فرماید: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (آیات خدا را که در بیوت شما خوانده می‌شود به یاد آرید). در این آیات شریفه نشان داده شده که بیوت پیامبر ﷺ همان خانه‌های زنان اوست و از یکسو آن خانه‌ها را به پیامبر ﷺ نسبت می‌دهد (بُيُوتِ النَّبِيِّ) و از سوی دیگر به زنانش منسوب می‌فرماید (بُيُوتِكُنَّ). به اضافه، قرآن مجید تصریح دارد که همسر مرد، از اهل بیت اوست چنانکه **خواهر موسی علیهما السلام** به زن فرعون مصر گفت: ﴿هَلْ أَذْكَرٌ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ [القصص: ۱۲] یعنی: «آیا شما را به اهل بیتی رهنمایی بکنم که این کودک را برایتان سرپرستی کند؟» و مقصودش، **مادر موسی** بود که از اهل بیت **عمران** (پدر موسی) شمرده می‌شد.

بحث ششم آنستکه: با روایات فراوانی که از قول رسول اکرم ﷺ آمده که **علی و فاطمه و حسنین علیهما السلام** را از اهل بیت خود شمرده و درباره طهارت آنها دعا نموده چه می‌کنید؟ آیا آنها قابل انکارند؟ پاسخ آنستکه خیر! آن روایات که حفاظ حدیث از شیعه و سنی آنها را گرد آورده‌اند به هیچوجه مورد انکار ما نیستند ولی در اینجا باید توضیحی بیاوریم تا مسئله، روشن و حل شود. به طور کلی روایات مربوط به این موضوع را می‌توان به دو دسته تقسیم کرد:

یک دسته از روایات نشان می‌دهند گاهی که رسول خدا ﷺ برای نماز صبح از کنار خانه **علی و فاطمه** (علیها السلام) عبور می‌کرد، ندا درمی‌داد: درود بر شما باد ای اهل بیت! نماز را دریابید، جز این نیست که خدا می‌خواهد پلیدی را از شما ببرد و پاکتان سازد. چنانکه **طبری** در تفسیرش از **انس بن مالک** (صحابی پیامبر ﷺ) آورده که گفت: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمُرُّ بِبَيْتِ فَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ كُلَّمَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَيَقُولُ: الصَّلَاةُ أَهْلَ الْبَيْتِ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا^(۱) (پیامبر ﷺ مدت شش ماه از کنار خانه فاطمه که می‌گذشت تا نماز صبح گزارد، بانگ برمی‌داشت: نماز ای اهل خانه! جزاین نیست که خدامی خواهد پلیدی را از شما اهل بیت ببرد و کاملاً پاکتان کند). این روایت که نظایر فراوان دارد و در کتب فریقین^(۲) دیده می‌شود اولاً دلالت دارد بر اینکه مراد از اراده خداوند بر پاکی اهل بیت، اراده تشریحی او است زیرا از راه برگزاری نماز این طهارت حاصل می‌شود چنانکه خدایتعالی می‌فرماید: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنکبوت: ۴۵] یعنی: «نماز را برپای دار که نماز از زشتکاری‌ها و اعمال ناپسند بازمی‌دارد». ثانیاً نشان می‌دهد که رسول خدا ﷺ آیه شریفه را تعمیم داده و علاوه بر زنان خود، به حکم «وحدت ملاک» با وابستگان نزدیکش نیز تطبیق نموده است.

دسته دوم از روایات، صورت اخباری در آیه شریفه را به شکل انشائی (دعائی) در آورده‌اند و می‌گویند که رسول اکرم ﷺ درباره علی و فاطمه و حسنین علیهما السلام به صورت دعاء به درگاه حقتعالی عرض کرده است که: خداوندا اینان اهل بیت من هستند پس پلیدی را از ایشان ببر و کاملاً پاکشان گردان. چنانکه طبری از ام سلمه (زوجه رسول خدا) گزارش نموده که گفت: پیامبر ﷺ در منزل من، علی و فاطمه و حسنین علیهما السلام را زیر پوششی گرد آورد آنگاه به درگاه خداوند عرض کرد: «اللَّهُمَّ هَوِّلَا أَهْلَ بَيْتِي، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»^(۳) (خداوندا، اینان اهل بیت من هستند، خدایا پلیدی را از آنان ببر و کاملاً پاکشان کن). این حدیث نیز مورد اتفاق شیعه

۱- تفسیر طبری، ج ۱۹، ص ۲۰۲.

۲- این حدیث را از اهل سنت (علاوه بر طبری) ترمذی در سنن و احمد بن حنبل در مسند، گزارش نموده‌اند و از امامیه شیخ مفید و شیخ طوسی در امالی خود آن را آورده‌اند.

۳- تفسیر طبری، ج ۱۹، ص ۱۰۴.

و سُنّی قرار دارد و با آیه شریفه قرآن قابل جمع است جز اینکه در روایت طبرسی آمده که اُمّ سَلَمَه به پیامبر خدا ﷺ عرض کرد: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؟ (آیا من از اهل بیت نیستم؟) پیامبر دوبار فرمود: إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ^(۱) (تو، سرانجام نیکی داری) و در روایت طبرسی آمده که پیامبر ﷺ در پاسخ وی فرمود: إِنَّكَ مِنْ أَهْلِي^(۲) (تو نیز از اهل من هستی). به هر صورت، پیامبر خدا ﷺ با اقتباس از آیه کریمه که صورت خبری دارد، به شکل انشائی، دعاء نموده تا به عنایات و توفیقات الهی و از راه بندگی خدا، خانواده‌اش به طهارت کامل نائل شوند و البته این (دعای مستجاب پیامبر ﷺ) فضیلتی است بیش از آنچه در متن آیه شریفه دیده می‌شود.

* * *

۱- تفسیر مجمع‌البیان، ج ۲۱، ص ۱۳۸.

۲- تفسیر طبری، ج ۱۹، ص ۱۰۶.

نکته‌ای از سوره فاطر

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾^(۱) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿۳۷﴾ میراث بران کتاب خدا

در معنای آیه سی و دوم از سوره شریفه فاطر، مفسران قرآن آراء گوناگونی آورده‌اند. اولاً اختلاف نموده‌اند که در جمله «أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ» مراد، کدام کتاب است که خدا آن را به میراث داده؟ ابوجعفر طبری روایتی از ابن عباس آورده که: وَرَثَهُمْ كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ^(۱) (خداوند همه کتابهایی را که فروفرستاده، به مسلمانان میراث داده است). طبری، خود این قول را برمی‌گزیند ولی با اشکالی روبرو می‌شود که: چگونه مسلمانان وارث همه کتابهای آسمانی شده‌اند و به آنها عمل می‌کنند؟ این حکم با واقعیت سازگار نیست. طبری برای حل این مشکل ناگزیر کلمه‌ای را (برخلاف اصل!) در تقدیر گرفته و نوشته است: إِنَّهَا مَعْنَاهُ: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْإِيمَانَ بِالْكِتَابِ»^(۲). یعنی: «معنای آیه اینست که: ایمان به کتب آسمانی را به ایشان میراث دادیم (نه خود کتابها را!)». درحالی که آیه شریفه اساساً به کتاب آسمانی مسلمین اشارت دارد، نه به عموم کتابهای دینی. چنانکه در آیه پیشین (سی و یکم) می‌فرماید: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ (و آنچه از این کتاب به سوی تو وحی کردیم،

۱- تفسیر طبری، ج ۱۹، ص ۳۶۸.

۲- تفسیر طبری، ج ۱۹، ص ۳۷۳.

حق است). سپس با الف و لام عهد (الکتاب) می‌فرماید همین کتاب را به بندگان که انتخابشان کردیم به میراث دادیم. بنابراین، سخن از میراث کتب سلف در میان نیست بلکه موضوع بحث درباره وحی محمدی ﷺ است. چیزی که طبری را در اینجا به توهم افکنده آنستکه پس از ذکر وحی نبوی ﷺ می‌فرماید: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (در حالیکه آنچه را پیش از خود آمده، تصدیق می‌کند). و این جمله حالیه، سخن اصلی نیست بلکه سخنی ضمنی به‌شمار می‌آید که در مواضع گوناگون قرآن، پس از ذکر وحی محمدی ﷺ دیده می‌شود و عنایت اصلی در آیه مورد بحث، مربوط به خود کتاب (یعنی قرآن مجید) است (و درک این نکته، با سبک شناسی قرآن، پیوند دارد). بنابراین، الف و لام در «أورثنا الكتاب» برای «جنس» نیامده تا شامل همه کتب آسمانی شود. بلکه چنانکه گفتیم الف و لام «عهد» است.

ثانیاً در میان مفسران درباره جمله «الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» اختلاف شده که این بندگان برگزیده، چه کسانی و برای چه امری انتخاب گشته‌اند؟ برخی آنان را همه امت اسلامی دانسته‌اند که برای ایمان به خدا و رسولش از میان امم گوناگون انتخاب شده‌اند و وارث قرآن کریم گردیده‌اند. گروهی دیگر، آنها را علمای امت شمرده‌اند و عدّه‌ای، ایشان را امامان معصوم به‌شمار آورده‌اند.

ما بنا بر روش همیشگی، لازم می‌دانیم تا به خود قرآن کریم برگردیم، به منطوق: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشوری: ۱۰] (در هر چه اختلاف کردید، حکمش به خدا بازمی‌گردد) حل اختلاف را از قرآن مجید بجوییم. خداوند در سوره شریفه حج در ضمن خطابی عمومی به همه مسلمانان می‌فرماید:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿۷۷﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴿[الحج: ۷۷-۷۸].

یعنی: «ای کسانی که ایمان آورده‌اید، به رکوع و سجود پردازید و خداوندتان را بندگی کنید و کارهای نیک بجای آرید، باشد که رستگار شوید * و درباره خدا چنانکه سزاوار اوست مجاهدت کنید، او شما را برگزید...».

چنانکه ملاحظه می‌شود، خدایتعالی درباره همه مؤمنان، از امتیاز **هُوَ اجْتَبَاكُمْ** (او شما را برگزید) سخن می‌گوید. پس مؤمنان راستین، همگی از سوی خداوند توفیق یافته و برای مسلمانی برگزیده شده‌اند و بنا بر مدلول آیه ۳۲ از سوره فاطر، کتاب خدا را از پیامبر مکرم **ﷺ** خود، به میراث برده‌اند. این نکته‌ای است که از جمع آیات شریفه فهمیده می‌شود. و شبیه است به آنچه که خدایتعالی درباره موسی **ﷺ** و امت وی فرمود: **﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾** [غافر: ۵۳]. یعنی: «موسی را هدایت بخشیدیم و آن کتاب (تورات) را به بنی اسرائیل به میراث دادیم». حدیث مشهور **«تَقْلِين»** هم صراحت دارد که پیامبرگرامی اسلام **ﷺ** پیش از رحلت، کتاب خدا را در میان امت خود نهاد و به ملکوت اعلی پیوست.

اما برخی از مفسران بدون توجه به شواهد و قرائن مزبور، صرفاً به دلیل اعتماد به روایات ضعیفی که آمده، گفته‌اند: این میراث، تنها و تنها به امامان معصوم منتقل شده است و دیگران سهمی از آن ندارند چنانکه شیخ طبرسی در **«مجمع البیان»** همین قول را برگزیده و می‌نویسد: **«وَالْمَرْوِيُّ عَنِ الْبَاقِرِ **ﷺ** وَالصَّادِقِ **ﷺ** أَنَّهُمَا قَالَا: هِيَ لَنَا خَاصَّةً وَإِنَّا عُنَى»**^(۱). (روایت شده که امام باقر و صادق علیهما السلام فرمودند: این آیه مخصوص ما است و مقصود، تنها ما هستیم). با آنکه در ذیل آیه شریفه، نسبت به وارثان کتاب فرموده است: **﴿فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ﴾** (برخی از ایشان، به نفس خود ستمگرند و بعضی دیگر از آنها، میانه‌رو هستند و برخی از آنان به

۱- مجمع البیان، ج ۲۲، ص ۲۴۳.

توفیق خدا، در کارهای خیر پیشگامند) و این وصف، درخور امت اسلامی است، نه سزاوار ائمه معصومین! و از اینرو زمخشری در تفسیر «کشاف» می‌نویسد: «هُم أُمَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُمْ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ»^(۱). (آنان، اصحاب پیامبر ﷺ و تابعین ایشان و پیروان آنها هستند و کسانی که تا روز رستاخیر خواهند آمد، زیرا که خداوند ایشان را بر سایر امت‌ها برگزید).

شیخ طبرسی برای بیرون رفتن از این مشکل، به نقل از سیدمرتضی احتمال داده است که ضمیر در «فَمِنْهُمْ» به «عِبَادِنَا» برگردد، نه به: «الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا» اما در آنصورت، پیوند بقیه آیه با آغازش قطع می‌شود زیرا آیه در وصف کسانی است که وارثان کتابند و اگر موضوع میراث‌بران را از تتمه آیه جدا کنیم، تقسیم بندگان به سه دسته چندان مناسبتی با اصل بحث ندارد و اگر مقصود، امامان معصوم بودند، شایسته بود که در دنباله آیه شریفه تنها از «سَابِقِينَ بِالْخَيْرَاتِ» سخن به میان آید.

* * *

نکته‌ای از سوره یس

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٧﴾

اعتراف به گناه پس از خاموشی!

در این آیه مبارکه خدایتعالی از روز رستاخیز سخن می‌گوید و می‌فرماید: «امروز بر دهانهایشان مُهر می‌نهم و دستهای آنان با ما سخن می‌گویند و پایهای آنان بدانچه می‌کردند، گواهی می‌دهند». روشن است که با شهادت هر عضوی بر عمل مخصوص خود، هیچکس در روز رستاخیز احساس ستم نمی‌کند چنانکه فرمود: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ۱۷] (امروز هرکسی بدانچه کرده جزا داده می‌شود، هیچ ستمی امروز درمیان نمی‌آید). ولی چرا بر دهان کافران مُهر زده می‌شود تا نتوانند سخن گویند؟ به‌علاوه چگونه می‌توان آیه ۶۵ از سوره یس را با آنچه در سوره نور آمده جمع نمود که می‌فرماید: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ۲۴] (روزی که زبانها و دستها و پایهای آنان بدانچه می‌کردند، گواهی می‌دهند)؟ بنابر آیه مزبور، زبانها نیز گواهی خواهندداد ولی این کار با مُهر نهادن بر دهان چگونه ممکن است؟ در پاسخ به این سؤالات، بسیاری از مفسران خاموشی گرفته‌اند و برخی درصدد پاسخ برآمده‌اند و از میان ایشان شیخ طبرسی در «مجمع البیان» می‌نویسد:

«أَمَّا شَهَادَةُ الْأَلْسِنِ فَإِنَّ يَشْهَدُوا بِاللِّسَانِ إِذْ رَأَوْا أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُمُ الْجُحُودُ وَأَمَّا قَوْلُهُ (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ) فَإِنَّهُ يُجُوزُ أَنْ تُخْرَجَ الْأَلْسِنَةُ وَيُخْتَمَ عَلَىٰ الْأَفْوَاهِ فِي حَالِ شَهَادَةِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ»^(۱)

۱- تفسیر مجمع البیان، ج ۱۸ (سوره نور)، ص ۲۹.

یعنی: «گواهی زبانها بدان سبب است که چون دیدند جحد و انکار نفعی به آنان نمی-بخشد، به زبانها شهادت می‌دهند. اَمَّا دَرَبَارَهُ اَیْنِ كَفْتَارِ خَدَايْتَعَالَى كِه (امروز بر دهانهایشان مَهر می‌نهم) گوئیم: جایز است که به‌هنگام گواهی دستان و پایها، زبانها از کام بیرون آورده شوند و بر دهانها مَهر نهاده شود.»!

به‌نظر ما آنچنانکه از قرآن کریم برمی‌آید منافقان در روز رستاخیز ابتدا به انکار روی می‌آورند و حتی سوگند یاد می‌کنند که در دنیا، ایمان داشتند همانگونه که در سوره شریفه مجادله می‌فرماید: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمُ وَهُمْ حَسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِلَهُمُ هُمْ الْكَذِبُونَ﴾ [المجادلة: ۱۸] [روزی که خدا همه آنان را برمی‌انگیزد آنگاه برای او سوگند یاد می‌کنند چنانکه (امروز) برای شما قسم می‌خورند! و گمان می‌کنند که بر چیزی هستند (اعتباری دارند!) آگاه باشید که آنان دروغ‌گویانند]. و همچنین مشرکان در روز رستاخیز در ابتدا خواهند گفت: ﴿وَاللَّهُ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ۲۳] (سوگند به الله - خداوندگارمان - که ما مشرک نبودیم!) پس از این حال، زبانشان از تکلم بازمی‌ماند و اعضای آنها بر کارهای ناپسندشان گواهی می‌دهند. آنگاه مَهر از دهانشان برداشته خواهد شد و بر احوال و اعمال بد خود اعتراف می‌نمایند چنانکه می‌فرماید: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ۱۱] (در نتیجه، به گناه خویش اعتراف کنند پس هلاکت بر دوزخیان باد). بدین‌صورت، میان خاموشی آنها و اعترافشان به گناه جمع می‌شود و لزومی ندارد چنانکه شیخ طبرسی گوید زبان از کامشان بیرون کشند! زیرا اساساً مَهر نهادن بر دهان، کنایه از سلب قدرت در امر تکلم است.

زمخشری در تفسیر «کشاف» آنچه را ما از قرآن کریم دریافتیم با مقداری تفاوت،

بدین‌صورت می‌آورد:

«يُرَوِّى أُمَّهُمَّ يَجْحَدُونَ وَيُخَاصِمُونَ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ جِيرَانُهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَعَشَائِرُهُمْ فَيَحْلِفُونَ: مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ! فَحَيْتَنِيذٍ يُخْتَمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتَكَلَّمُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ»^(۱). (روایت می‌شود که مشرکان - در روز رستاخیز- به انکار و مجادله می‌پردازند پس همسایگان و خانواده‌ها و قبائل آنان برخلافشان گواهی می‌دهند. آنگاه سوگند می‌خورند که آن‌ها مشرک نبوده‌اند! در آن هنگام، بر دهانهای ایشان مهر زده می‌شود و دستها و پاهاى آنان گواهی خواهند داد).

* * *

نکته‌ای از سوره صافات

﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِنِّي يَا سِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّا كَذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ سلام بر کیست؟

در تفسیر شیخ ابوالفتوح رازی می‌خوانیم که گوید: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِنِّي يَا سِينَ ﴿٣٤﴾﴾ سلام بر آل یاسین باد» سپس نوشته است: «آنان که آل یاسین خواندند معنا آنست که: علی آل مُحَمَّدٍ و یاسین نامی است از نامهای محمد^(۱)».

این قرائت، به یقین اشتباه است و با آنچه در سوره شریفه صافات آمده سازگاری ندارد و قرائت صحیح آیه، همان ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِنِّي يَا سِينَ ﴿٣٤﴾﴾ است که نام دیگری برای «الیاس نبی» به شمار می‌آید همانگونه که در همه مصاحف مسلمین ثبت شده و سیاق سوره صافات نیز بر آن دلالت دارد. قرآن کریم در آغاز بحث از الیاس عليه السلام در همان سوره کریمه می‌فرماید: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (همانا الیاس از فرستاده‌شدگان بود) سپس با فاصله چند آیه بر او درود می‌فرستد ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِنِّي يَا سِينَ ﴿٣٤﴾﴾ آنگاه می‌فرماید: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (به‌راستی که او از بندگان با ایمان ما بود) که اگر مقصود، آل محمد عليه السلام بودند، لازم می‌آمد تا به لفظ جمع از آنان یاد شود و به جای «إِنَّهُ» تعبیر «إِنَّهُمْ» بکار رود و ضمیر مفرد، به وضوح بر همان الیاس عليه السلام دلالت دارد. علاوه بر سیاق آیات، فضای سوره نیز با قرائت شاذی که ابوالفتوح آورده نمی‌سازد زیرا که در آن

۱- تفسیر روح الجنان، ج ۴، ص ۴۴۸.

فضا، از پیامبران خدا: نوح و ابراهیم و موسی و هارون یاد می‌شود و سپس قرآن کریم بر آنان درود می‌فرستد و مناسبت ندارد که چون نوبت الیاس رسد، خدایتعالی او را واگذارد و بر آل محمد درود فرستد! اما اینکه به جای واژه «الیاس» کلمه «إل یاسین» بکار رفته از آنرواست که برخی از واژگان قرآنی به دو صورت استعمال شده‌اند همچون طور سیناء (درسوره مؤمنون) و طور سینین (درسوره تین). پیدااست که این نامها نزد مردم به دوشکل متداول بوده‌اند و قرآن کریم نیز به هردو صورت از آنها یاد می‌کند چنانکه جبرائیل و جبریل و میکائیل و میکال و امثال اینها در آثار اسلامی به فراوانی دیده می‌شوند.

شیخ طبرسی در بحث از «حجّت قرائات» در مجمع‌البیان نوشته است: «مَنْ قَرَأَ آلَ یاسینَ فَحُجَّتْهُ اِنْهَا فِی الْمُصْحَفِ مَفْصُولَةٌ مِنْ یَسٍ»^(۱). یعنی: (کسی که آل یاسین قرائت نموده دلیلش آنستکه لفظ «ال» را در کتابت مصحف، از «یاسین» جدا آورده اند). شگفت است که چنین کس گویی از رسم الخط معمول در صدر اسلام بی‌خبر بوده و به تنوع آن در مصحف توجه نداشته است که گاهی حروف واژه‌ای را ضمّ به یکدیگر می‌نوشتند و گاهی آن را مفصولة (جدا ازهم) به کتابت درمی‌آوردند مانند کلمه «لِشَیْءٍ» در آیه ۴۰ از سوره نحل که در آیه ۲۳ سوره کهف آن را به صورت «لِشَایءٍ» نگاشته‌اند و جدا نمودن «إل» از «یاسین» از همین مقوله است و مسلمانان از صدر اسلام تا کنون این رسم‌الخط را حفظ کرده‌اند مبادا با تغییر آن، در کلام الهی تحریفی روی دهد و این کار، دقت و احتیاط آنان را در حفظ قرآن کریم از دگرگونی نشان می‌دهد. سخن دیگر درباره نام مبارک پیامبر مکرّم اسلام ﷺ است که به جز یک روایت ضعیف هیچ دلیلی نداریم که اسم خجسته‌اش در صدر اسلام «یاسین» بوده است تا بتوانیم گفت که آل یاسین همان آل محمدند. یاسین از حروف مقطّع در اوائل سُوَر شمرده می‌شود و کسی که گمان برده، نام

۱- تفسیر مجمع‌البیان، جزء ۲۳، ص ۸۱.

رسول خدا ﷺ بوده است، از خطاب «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» به اشتباه افتاده که جواب قسم برای «وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» به‌شمار می‌آید و اگر قرار باشد که هرخطابی پس از حروف مقطعه، آن حروف را به اسم پیامبر تبدیل کند باید که «حم عسق» در سوره شوری نیز از نامهای رسول اکرم ﷺ شمرده شود زیرا پس از آن می‌خوانیم: (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ...) با آنکه هیچکس چنین ادعائی نکرده است.

برخی از مترجمان فارسی قرآن، آیه «یس» را به معنای «ای سید رسولان» ترجمه نموده‌اند^(۱) و حرف «یاء» را که از حروف هجاء به‌شمار می‌آید به‌جای حرف نداء یعنی «یا» پنداشته‌اند که به فرض صحّت باید گفت در آن صورت تنها «سین» بر پیامبر اکرم ﷺ اشارت دارد و لذا آل محمد ﷺ را «آل سین» باید شمرد، نه «آل یاسین»! پیدا است که اقوال مزبور، پایه و اساس صحیحی ندارند.

* * *

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای مهدی قمشه‌ای نگاه کنید.

نکته‌ای از سوره ص

﴿قَالَ يٰٓإِبْرٰهٖمُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيْـدِيۙ اَسْتَـكْبَرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْاَعْلٰٓيِنَ﴾

﴿ دست خدای سبحان! ﴾

کلمه «ید» و جمع آن «ایدی» بارها در قرآن کریم بکار رفته و حتی به خدایتعالی نسبت داده شده است ولی این نسبت برای خداوند به نحو «مجاز» آمده و هیچ مفسری لأقل در پاره‌ای از موارد، نتوانسته مجاز بودن آن را انکار نماید. مثلاً همه می‌دانیم که خداوند، فرمانروای عالم است ولی قرآن مجید می‌فرماید: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [المُلْك: ۱] یعنی: «فرمانروایی به دست اوست». در اینجا دست، به معنای قدرت بکار رفته و فرمانروایی بر جهان در قدرت خدایتعالی است. در سوره شریفه صَاد که آیه‌ای از آن مورد بحث ما قرار دارد، دوبار کلمه «دستها» استعمال شده که به اتفاق مفسران در معنای قُوْت و قدرت آمده- اند چنانکه می‌فرماید: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْاَيْدِي﴾ [ص: ۱۷] یعنی:

«بنده ما داود را به یاد آر که دارای دستها^(۱) (توانمندیها) بود». همچنین در آیه ۴۵ می- خوانیم: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا اِبْرٰهٖمَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ اُوْلِي الْاَيْدِي وَالْاَبْصِرِ﴾ [بندگان ما ابراهیم و اسحق و یعقوب را به یاد آر که دارای دستها و دیدگان (توانمندیها و بینشها)

۱- هرچند «اید» به معنای دستان آمده است ولی «ذَا الْاَيْدِي» را گروهی به معنای «ذَا الْقُوَّة» آورده‌اند و آن را به معنای جمع نگرفته‌اند ولی به هر صورت چون کلمه مزبور از لفظ «ید» به معنای دست ساخته شده همگی اتفاق دارند که معنای مجازی به خود گرفته است چنانکه ابو عبیده در کتاب مجازات القرآن (ج ۲، ص ۱۷۹) از آن یاد کرده است.

بودند]. روشن است که تعبیر «ذَا الْأَيْدِ» و «أُولَى الْأَيْدِي» در این آیات را نمی‌توان به معنای داشتن عضو مخصوص تفسیر نمود زیرا آیات شریفه در مقام تکریم پیامبران مزبور آمده‌اند در حالی که کافران و مخالفان خدا نیز از داشتن دستها و دیدگان بی‌نصیب نبوده و نیستند.

قرآن کریم گاهی امر خلقت را به دستان خدا مربوط دانسته و مثلاً می‌فرماید: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [یس: ۷۱] یعنی: «آیا آنان ندیده‌اند که ما از آنچه دستانمان ساخته است برای ایشان چهارپایانی آفریده‌ایم؟». ولی در جای دیگر، آفرینش انواع جانداران (و از جمله چهارپایان) را به قدرت خداوند نسبت می‌دهد و می‌فرماید: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمَسُّ عَلَىٰ أَرْبَعٍ تَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ۴۵] یعنی: «... از انواع جنبنندگان، چهارپایانند، خدا هر چه را می‌خواهد می‌آفریند همانا که خدا بر هر چیز قدرتمند است». با توجه بدانچه گفتیم مفهوم آیه ۷۵ سوره صاد، روشن می‌شود که خدای سبحان دربارهٔ آدم ﷺ به ابلیس می‌فرماید: «ای ابلیس! چه چیز تو را بازداشت که برای آنچه به دو دست خودم آفریدم، سجده نکنی؟...» تعبیر «دو دست» گروهی را به گمان افکنده که خدای سبحان همچون آدمیان، دارای دو دست است! ابن قیم در تفسیرش بر همین قول رفته و می‌نویسد:

فَلَا يَحْتَمِلُ «خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» مِنَ الْمَجَازِ مَا يَحْتَمِلُهُ «عَمِلْتُ أَيْدِينَا» فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ «عَمِلْتُ أَيْدِينَا» مَا يَفْهَمُهُ مِنْ قَوْلِهِ: عَمِلْنَا وَخَلَقْنَا، كَمَا يَفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِكُمْ» وَأَمَّا قَوْلُهُ «خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ مُجَرَّدَ الْفِعْلِ لَمْ يَكُنْ لِذِكْرِ الْيَدِ بَعْدَ نِسْبَةِ الْفِعْلِ إِلَى الْفَاعِلِ مَعْنَى فَكَيْفَ وَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا الْبَاءُ؟ فَكَيْفَ إِذَا تُنِيَتْ^(۱)؟

یعنی: احتمال نمی‌رود که «خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» معنای مجازی داشته باشد چنانکه در «عَمِلْتُ أَيْدِينَا» احتمال مجاز وجود دارد، زیرا هر کس از «عَمِلْتُ أَيْدِينَا» همان مفهوم

۱- تفسیر القیم، اثر محمد بن ابی‌بکر بن قیم، ص ۴۵۴.

عمل کردیم و آفریدیم را می‌فهمد چنانکه از آیه «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» آن را درمی‌یابد. اما این سخن که فرمود: «خَلَقْتُ بِيَدِي» اگر مراد تنها عمل آفرینش بود، ذکر دست پس از نسبت فعل به فاعل، دیگر معنایی نداشت باینکه حرف «باء» بر کلمه «يَد» داخل شده و با وجود آنکه واژه «يَد» به صورت مثنی آمده است!

چنانکه ملاحظه می‌شود ابن قیم پذیرفته است که نسبت دستها برای خدای سبحان در آیه «عَمِلَتْ أَيْدِينَا» نسبتی مجازی است (و به معنای قدرت آمده) ولی این مفهوم را برای «خَلَقْتُ بِيَدِي» نمی‌پذیرد. و اما پاسخ از اشکال‌های او اینست که در سوره شریفه «ذاریات» خدایتعالی می‌فرماید: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاریات: ۴۷] یعنی: «آسمان را با دستان ساختیم» در این آیه کریمه اولاً ذکر دستها پس از نسبت فعل به فاعل (بِنِينَا) آمده است و ثانیاً حرف «باء» بر کلمه ایدی داخل شده (بِأَيْدٍ) درحالی‌که همه مفسران سَلَف (که ابن قیم آراء آنها را قبول دارد) کلمه «بِأَيْدٍ» را در این آیه شریفه مجاز دانسته و به معنای «بِقُوَّة» تفسیر کرده‌اند چنانکه ابوجعفر طبری در تفسیرش از ابن عباس و مجاهد و قتاده و منصور و ابن زید و سفیان گزارش نموده و از هیچکس خلاف آن را نقل نکرده است و خود نیز همین قول را می‌پسندد.^(۱) مسئله‌ای که باقی می‌ماند بکار بردن واژه «يَد» به صورت مثنی است که آنهم شاهد قرآنی دارد چنانکه می‌فرماید: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ۶۴]. یعنی: «بلکه دو دست او باز است و هرگونه که بخواهد می‌بخشد» و در این آیه نیز صنعت مجاز به کار رفته و برای نشان دادن کثرت بخشش خداوند، تعبیر «يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» را به میان آورده است چنانکه در آیه دیگر فرمود: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ۲۹] یعنی:

۱- به تفسیر جامع‌البیان طبری، ج ۲۱، ص ۵۴۵ و ۵۴۶ نگاه کنید.

«دست را بسته برگردنت مگذار و آن را به‌کلی باز مکن»^(۱) اما اصرار بر جمود در ظواهر، موجب می‌شود که آیات شریفه دیگر نیز که ذکر «دستها» در آن‌ها آمده، حمل بر ظاهر گردند و در آن صورت، میان «دو دست» و «دستها» تباین پیش می‌آید، مگر ممکن است کسی که دو دست دارد در عین حال، چند دست داشته باشد؟! از همین رو برخی از مفسران علت ذکر دو دست را در آیه ۶۴ از سوره مائده چنین تفسیر نموده‌اند که: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) مُبَالَغَةٌ فِي الْوَصْفِ بِالْجُودِ وَتَنبِيهِ الْيَدَ لِإِفَادَةِ الْكَثْرَةِ إِذْ غَايَةُ مَا يَبْدُلُهُ السَّخِيُّ مِنْ مَالِهِ أَنْ يُعْطِيَ يَدَيْهِ^(۲). یعنی: (بلکه دو دست او بازاست) مبالغه در وصف خدایتعالی به لحاظ بخشش او است و دست را مثنی آورده برای افاده کثرت زیرا نهایت بخشش سخاوتمند از مالش، آنستکه با دو دست خود آن را به کسی عطا (پیشکش) کند.

همین معنا در آیه ۷۵ از سوره صاد ملاحظه می‌گردد و هنگامی که می‌فرماید: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (به دو دست خودم او را آفریدم) این مفهوم متبادر می‌شود که در خلقت آدم عليه السلام، واسطه‌ای (چون پدر و مادر) در کار نبوده و خدایتعالی خود، او را با کمال قدرتش به وجود آورده است به‌ویژه با توجه به آیه کریمه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشوری: ۱۱] که خداوند را از مشابَهت با مخلوقات منزّه باید شمرد. اگر ما بخواهیم در همه‌جا اصرار بر جمود در ظواهر داشته باشیم، معلوم نیست با آیه شریفه: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ۱] چه باید کنیم؟ میان دودست خدای سبحان کجاست که نباید از آن پیشی گرفت؟! آیا معنای آیه کریمه این نیست که از حکم خدا پیشی نگیرید؟

* * *

۱- بسته بودن دست، کنایه از بخل و گشاده بودن آن، کنایه از کثرت بخشش است (که امساک و افراط در آن برای بندگان جایز نیست).

۲- تفسیر الجلالین، ج ۱، ص ۱۰۶.

نکته‌ای از سوره زُمر

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ دعوتگران و تصدیق‌کنندگان قرآن:

در معنای این آیه شریفه، مفسران اختلاف شگفتی دارند. طبرسی در تفسیرش آورده که سَدّی گفته است مراد از ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ جبریل است و ﴿صَدَّقَ بِهِ﴾ بر محمد اشارت می‌نماید.^(۱) و از قول ابوالعالیه گزارش نموده که ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ رسول-خدا ﷺ و ﴿صَدَّقَ بِهِ﴾ ابوبکر است.^(۲) طبری در جامع‌البیان همین معنا را از علی بن ابی‌طالب نقل می‌کند.^(۳) در عین حال طبرسی گوید ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ محمد ﷺ است و ﴿صَدَّقَ بِهِ﴾ علی بن ابی‌طالب است^(۴) و این قول را به ائمه علیهم‌السلام نسبت می‌دهد. فتاده گفته است

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ رسول خدا ﷺ و ﴿صَدَّقَ بِهِ﴾ مؤمنانند.^(۲) سَدّی گفته که هر دو جمله به رسول خدا ﷺ اشارت دارد^(۲)...

۱- و ۲- مجمع‌البیان، جزء ۲۳، ص ۱۵۵.

۳- جامع‌البیان، ج ۲۰، ص ۲۰۵.

۴- مجمع‌البیان، جزء ۲۳، ص ۱۵۵.

۲- و ۲- جامع‌البیان، ج ۲۰، ص ۲۰۵.

۳- مجمع‌البیان، ج ۲۳، ص ۱۵۵.

آنچه مایه شگفتی می‌شود اینست که مفسران مزبور کمتر به سیاق آیه شریفه و نکات آن توجه کرده‌اند و گرنه اولاً درمی‌یافتند که ﴿صَدَّقَ بِهِ﴾ بدون تکرار موصول، به جمله ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ عطف شده است و اگر دو شخصیت جدا از یکدیگر بودند، لازم می‌آمد که اسم موصول تکرار گردد و جمله به صورت «الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَالَّذِي صَدَّقَ بِهِ» درآید. این نکته را ابن عباس دریافت و به گزارش طبرسی گفته است: «وَلَوْ كَانَ الْمُصَدِّقُ بِهِ غَيْرَهُ لَقَالَ: وَالَّذِي صَدَّقَ بِهِ»^(۳).

ثانیاً خبری که برای جمله مزبور آورده شده یعنی ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ به صورت جمع آمده است بنابراین، مبتدای جمله نیز اشاره به فرد خاصی ندارد تا او را با جبریل یا ابوبکر و غیره تطبیق دهیم و لذا باید کلمه «الَّذِي» را در ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ برای جنس بگیریم چنانکه در آیه شریفه: ﴿وَخُضِّمَ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ [التوبة: ۶۹] ملاحظه می‌شود. و نیز مانند: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ۲۶۴] که اسم موصول «الَّذِي» در اینجا به معنای جمع آمده به دلیل آنکه در پایان آیه می‌فرماید: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾. علاوه بر آنچه گفتیم، سیاق آیه شریفه را نیز لازمست در نظر داشت که ابتدا می‌فرماید:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ۳۲] یعنی: «پس کیست ستمکارتر از کسی که بر خدا دروغ بست و پیام راستین (او) را که به سویش آمده تکذیب نمود، آیا در دوزخ جایگاهی برای کافران (حق‌پوشان) نیست؟» سپس در پی این آیه کریمه از مؤمنانی که دیگران را به پیام خدا فرامی‌خوانند و خود آن را تصدیق نمودند، سخن می‌گوید و می‌فرماید: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(۴) هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ ذَٰلِكَ جَزَاءُ

الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾ [الزمر: ۳۳-۳۴] یعنی: «و کسی که پیام راستین را آورد (و دیگران را بدان فراخواند) و خود آن را تصدیق نمود آنان، همان متقیانند. برای ایشان نزد خداوندگارشان هرچه بخواهند فراهم است، اینست پاداش نیکوکاران».

ابوحیان اندلسی در تفسیر ادیبانه «البحر المحیط» این معنا را به خوبی دریافته و می-

نویسد:

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ مُعَادِلٌ لِقَوْلِهِ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ و ﴿صَدَقَ بِهِ﴾ مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ ﴿وَكَذَّبَ﴾ بِالصِّدْقِ و ﴿وَالَّذِي﴾ جِنْسٌ كَأَنَّهُ قَالَ: وَالْفَرِيقُ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ وَجَمْعٌ كَمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يُرَادُ بِهِ جَمْعٌ وَلِذَلِكَ قَالَ ﴿مَثْوَى لِّلْكَافِرِينَ﴾^(۱).

یعنی: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ درمقابل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ آمده است و ﴿وَصَدَقَ بِهِ﴾ در برابر ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ قرار دارد و کلمه ﴿وَالَّذِي﴾ جنس است مانند آنکه فرموده باشد (الْفَرِيقُ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) و بر این معنا عبارت ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ دلالت می‌کند که این نیز به لفظ جمع آمده است همانگونه که از ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ نیز اراده جمع شده و از این رو فرمود: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِّلْكَافِرِينَ﴾.

* * *

نکته‌ای از سورهٔ فُصِّلَتْ

﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(۱) ارائه آیات در آفاق و انفس

دربارهٔ این امر که: «خدایتعالی آیات خویش را به کسانی در آفاق و در وجود آنها نشان خواهد داد تا حقّ برایشان روشن گردد» مفسّران قرآن سخنان گوناگونی گفته‌اند. اما در این موضوع اتفاق نظر دارند که گروه مورد اشاره در آیه شریفه «کافران» هستند زیرا ضمیر جمع در ﴿سُرِّيهِمْ﴾ به آنها بازمی‌گردد که در آیه پیشین ذکرشان رفته و دربارهٔ آنان فرموده است: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ۵۲]. یعنی: «بگو مرا خبر دهید که اگر قرآن از نزد خدا باشد سپس شما بدان کفر ورزید، چه کسی گمراه‌تر است از آنکس که در اختلافی ژرف با حقّ به سر می‌برد؟». اما آیات آفاق و انفس که به کافران ارائه خواهد شد چیست؟ و این کار در چه زمانی رخ خواهد داد؟ و روشن شدن حق برای کفار در کدام مسئله است؟ سخن اهل تفسیر در این مسائل، به اختلاف آمده و هر دسته نظر و رأی ویژه‌ای را به میان آورده‌اند.

شیخ طبرسی در تفسیر «مجمع‌البیان» از عطاء و ابن زید نقل کرده که آندو گفته‌اند: «أَنَّ الْمَعْنَى سُرِّيهِمْ حُجَجَنَا وَدَلَائِلُنَا عَلَى التَّوْحِيدِ فِي آفَاقِ الْعَالَمِ وَأَقْطَارِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَي يَظْهَرُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَي أَنَّ اللَّهَ الْحَقُّ»^(۱) (معنای آیه اینست که: ما حجّت‌ها و دلائل

۱- تفسیر مجمع‌البیان، جزء ۲۴، ص ۳۳.

خود را در آفاق جهان و اقطار آسمان و زمین و در نفوس آنان بدانها نشان خواهیم داد تا برایشان آشکار شود که خدا حق است). این قول، چندان موجه نیست زیرا وعده مزبور به ظاهر در آینده ایفاء خواهد شد چنانکه فعل مستقبل (سُتْرِبِهِمْ) بر آن دلالت دارد ولی پیش از نزول این سوره شریفه، آیات گوناگون و روشنی درباره توحید آمده و یگانگی خدا برای کافران در آن روزگار به اثبات رسیده بود.^(۱) به علاوه ضمیر مفرد در (أَنَّهُ الْحَقُّ) به قرآن مجید بازمی‌گردد، نه به یکتایی خداوند چنانکه در آیه پیشین بحث از قرآن به میان آمده و فرموده است: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ ممکن است گفته شود که: ارائه آیات در آفاق و انفس مربوط به کافران آینده است که با **اکتشافات علمی تازه** روبرو خواهند شد و حَقَانِیَّتِ قرآن مجید بر آن‌ها روشن می‌گردد. پاسخ اینستکه: ضمیر جمع در «سُتْرِبِهِمْ» شامل کفار عصر نبوی ﷺ نیز می‌شود و لازم است در آینده، آنان نیز شاهد آیات مزبور باشند. پس باید اندیشید زمانی که کفار معاصر با رسول خدا ﷺ و نیز کافران دورانهای آینده، شاهد آن آیات خدایی خواهند شد، چه زمانی است؟ آیا این امر در دنیا پیش می‌آید یا در قیامت؟.

قول دیگر، سخنی است که از **حسن بصری** و **مجاهد** و **سُدّی** نقل کرده‌اند. بنابه گزارش ابوجعفر طبری، سُدّی گفته است: «يَقُولُ مَا نَفْتَحُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ فِي أَهْلِ مَكَّةَ، نَفْتَحُ لَكَ مَكَّةَ»^(۲) (می‌فرماید: ای محمد ما برای تو آفاق را فتح می‌کنیم و مقصود از **فِي أَنْفُسِهِمْ**، اهل مکه هستند که می‌فرماید ما آن شهر را نیز برایت می‌گشاییم). بنا بر این رأی، مراد از آفاق، سرزمینهایی است که مسلمانان بر آن‌ها دست یافتند ولی واژه مزبور که جمع «أَفُق» باشد در قرآن کریم به معنای «سرزمین» نیامده بلکه به **نواحی**

۱- سوره فُصِّلَتْ لأقل پس از پنجاه و چند سوره قرآن نازل شده است (به کتاب الفهرست اثر محمد بن اسحاق ندیم، فن سوم از مقاله اول و نیز کتاب مقدمتان فی علوم القرآن ص ۱۱ و ۱۵ بنگرید).

۲- تفسیر طبری، ج ۲۰، ص ۴۶۲.

آسمان اشاره دارد چنانکه می‌فرماید: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التکویر: ۲۳] و نیز فرموده: ﴿وَهُوَ بِالْأَفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم: ۷]. باوجود این، اعلام مفسران از سنی و شیعی همین قول را پسندیده و برگزیده‌اند. به‌عنوان نمونه زمخشری (مفسر بزرگ سنی) در تفسیر کشاف می‌نویسد: «یعنی ما یسر الله عزَّ وجلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ وَلِلْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ وَنُصَّارِ دِينِهِ فِي آفَاقِ الدُّنْيَا وَبِلَادِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ عُمُومًا وَفِي بَاحَةِ الْعَرَبِ خُصُوصًا مِنَ الْفُتُوحِ»^(۱) (مقصود فتوحاتی است که خدای عزوجل برای پیامبرش و خلفای پس از او و یاری‌کنندگان آئینش از آفاق دنیا و شهرهای خاور و باختر عموماً میسر ساخته و خصوصاً فتح‌هایی که در سرزمین عرب رخ داده است).

و نیز از مفسران نامدار شیعی، صاحب تفسیر «المیزان» در توضیح آیه شریفه چنین مرقوم داشته است: «الآيات التي شأنها إثبات حقيقة القرآن هي الحوادث والمواعيد التي أخبر القرآن انها ستقع كإخباره بأن الله سينصر نبيه ﷺ والمؤمنين ويمكن لهم في الأرض ويظهر دينهم على الدين كله ويتنقم من مشركي قريش»^(۲). (نشانه‌هایی که در مقام اثبات حقایق قرآنی، همان رویدادهای موعودی به‌شمار می‌روند که قرآن خبر داده است در آینده رخ خواهند داد مانند خبر دادن از اینکه خداوند پیامبرش ﷺ و مؤمنان را یاری خواهد کرد و در زمین بدانها قدرت می‌بخشد و آئین ایشان را بر همه ادیان پیروز خواهد کرد و از مشرکان قریش انتقام می‌گیرد).

هرچند ذکر فتوحات مزبور در قرآن کریم رفته است ولی شاهد و دلیلی نداریم تا نشان دهد که آیه مورد بحث بر فتوحات مسلمین دلالت دارد و مقصود از «آفاق» سرزمینهای مفتوحه و مراد از «انفس» فتح مکه است بلکه ظاهر آیه شریفه، خلاف آن را نشان می‌دهد زیرا «مجازگویی» بدون قرینه، برخلاف اصل است.

۱- تفسیر کشاف، ج ۴، ص ۲۰۶.

۲- تفسیر المیزان، ج ۱۷، ص ۴۳۰.

قول دیگری نیز در تفسیر آیه مزبور آمده که موافق با رأی ارباب تصوف است و گویند که: آیه شریفه، به شهود اهل حق در آفاق و انفس اشارت دارد چنانکه در تفسیر منسوب به نعمت الله ولی کرمانی ملاحظه می‌کنیم که مرقوم داشته است: «سُنُّرِهِمْ هَذِهِ الْحَقَائِقُ فِي الْآيَاتِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَا هِيَ الْحَقُّ بِعَيْنِهِ... لَأَحَ الْحَقُّ مِنَ الْحَقِّ لِأَهْلِ الْحَقِّ»^(۱). (این حقایق را در آیات و در نفوس ایشان به آن‌ها نشان خواهیم داد تا برایشان روشن گردد که آن‌ها عین حَقّند... حق از سوی حق، برای اهل حق آشکار می‌شود). این معنا نیز با دلالت آیه کریمه منطبق نیست زیرا چنانکه مفسر، ادعا می‌نماید حق از سوی حق برای اهل حق روشن می‌شود، نه برای کافران! ومفسران قرآن، اجماع دارند که در این آیه شریفه، ضمیر «سُنُّرِهِمْ» به کسانی که کفر ورزیده‌اند بازمی‌گردد.

برای دست یافتن به تفسیر صحیح آیه مورد بحث لازمست مانند همیشه به خود قرآن کریم بازگردیم و علاوه بر دقت در سیاق و قرائن هر آیه، گفتار مشابه آن را در قرآن جستجو کنیم و از مقایسه آن‌ها به معنا و مقصود آیه شریفه پی ببریم. آنچه در قرآن مجید به آیه ۵۳ از سوره فُصِّلَتْ شباهت دارد، سخن پایانی خداوند در سوره کریمه نمل است (چنانکه آیه مورد بحث، نیز در خاتمه مباحث سوره فُصِّلَتْ می‌آید). در آیه ۹۳ از سوره نمل می‌خوانیم:

﴿سُرِّيْكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُوْنَهَا وَمَا رُبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ﴾^(۲) یعنی: «(خدا) آیات خود را به شما نشان خواهد داد پس آن‌ها را خواهید شناخت و خداوندت از آنچه می‌کنید بی‌خبر نیست». این آیه کریمه از چند جهت، با آنچه در سوره فُصِّلَتْ آمده، شباهت و هماهنگی دارد. اولاً هر دو آیه از ارائه آیات خدا به کسانی در آینده سخن می‌گویند (سُنُّرِهِمْ آیاتنا . سُرِّيْكُمْ آیاتِهِ). ثانیاً هر دو آیه از شناخت و روشن شدن ضروری حق برای آنان حکایت می‌نمایند (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ . فَتَعْرِفُوْنَهَا). ثالثاً هر دو آیه در معرفی آن-

۱- مجموعه رسائل شاه نعمت الله ولی، بخش تفسیر قرآن، ص ۱۰۲ و ۱۰۳.

گروه ضمیر جمع را به کار برده‌اند (سُنُرِيهِمْ . سُنُرِيكُمْ) درحالی که از قرائن دانسته می‌شود گروه مزبور همان مخالفان قرآنند نه مؤمنان! (ثُمَّ كَفَرْتُمْ . وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ^(۱)).

اینک باید دانست مفسران قرآن گویند که سخن تهدیدآمیز سوره نمل، از آیاتی حکایت می‌نماید که به هنگام فرارسیدن قیامت در آفاق و در نفوس آدمیان به ظهور خواهند پیوست^(۲) (همچون رویدادهای سهمناکی که در آسمانها رخ می‌دهند و در پی آنها، نفوس کافران زنده شده محاسبه و تعذیب خواهند گشت). آنجاست که به قول قرآن مجید، کافران خواهند گفت: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [یس: ۵۲]

«اینست آنچه خدای رحمن (در کتابش) وعده داد و پیامبران راست گفتند.» بنابراین، می‌توان آیه شریفه سُنُرِيهِمْ آیاتنا... را نیز بر همین معنی حمل کرد و آن را مربوط به آیاتی دانست که در صحنه‌های قیامت به ظهور می‌رسند و پیشگویی‌های قرآن را بر عموم کافران (چه آنهایی که در عصر پیامبر اسلام ﷺ می‌زیستند و چه کفار دورانهای بعد) اثبات و روشن خواهند کرد. پس زمان موعود نشان دادن آیات مزبور، تنها به هنگام فرارسیدن قیامت است. قرینه‌ای که بر استحکام این تفسیر می‌افزاید آنستکه پس از آیه مورد بحث، بلافاصله از تردید کافران نسبت به ملاقات خداوند در قیامت سخن گفته شده است (بدون آنکه ضمائر آیه پیشین تغییر کنند) چنانکه می‌فرماید: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ أَلَّا رَبَّهُمْ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ۵۴] «آگاه باش که ایشان از ملاقات خداوند خویش در تردیدند، آگاه باش که او بر همه چیز احاطه دارد»^(۳). شاهد دیگری از

۱- به لحن تهدیدآمیز آیه شریفه توجه شود.

۲- در کشف می‌نویسد: ذلک حین لا تتفهم المعرفة یعنی فی الآخرة (ج ۳، ص ۳۸۰). دیگر مفسران نیز شبیه این قول را آورده‌اند.

۳- به شباهت هردو سوره در پایان آیات، نیز توجه شود ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ - ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ

قرآن کریم که معنای مزبور را روشتر می‌نماید، آیه ۳۷ سوره انبیاء و آیات پس از آن است که می‌فرماید: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ سَأْوَرِكُمْ عَجَلٍ ءَايَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آدمی از شتاب آفریده شده^(۱) به - زودی آیات خود را به شما نشان خواهم داد پس (آنها را) از من با شتاب نخواهید. و گویند که این وعده - اگر راستگویید - کی خواهد رسید؟...]. آنگاه صحنه آخرت و عذاب کافران را بیان می‌فرماید و نشان می‌دهد که آیات مزبور مربوط به جهان بازپسین است.

* * *

۱- این تعبیر، برای مبالغه در وصف شتاب ورزیدن آدمی آمده است.

نکته‌ای از سوره شوری

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ مقصود از روح در این آیه چیست؟

در این آیه کریمه از «روحی» سخن به میان آمده که برای وحی به سوی پیامبر اسلام ﷺ ارسال شده است. مفسران قرآن کریم درباره روح مزبور، اقوال مختلفی آورده‌اند. یکی آنکه مقصود از آن، خود قرآن است چنانکه برخی از قدمای اهل تفسیر مانند قتاده و جبائی بر این قول رفته‌اند و گفته‌اند: «مَعْنَاهُ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ يَهْتَدِي بِهِ فِيهِ حَيَاةٌ مِنْ مَوْتِ الْكُفْرِ»^(۱) (معنای این روح، همان قرآن است زیرا که با آن هدایت صورت می‌پذیرد و در آن، حیات روحانی از مرگ کفر وجود دارد). زمخشری در کشف نیز بر این قول رفته و می‌نویسد: «يُرِيدُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْهِ لِأَنَّ الْخَلْقَ يُحْيَوْنَ بِهِ فِي دِينِهِمْ كَمَا يُحْيِي الْجَسَدُ بِالرُّوحِ»^(۲) (مراد، چیزی است که به پیامبر وحی شده زیرا که مردمان در دین خود به وسیله آن حیات پیدا می‌کنند چنانکه پیکر آدمی با روح زنده می‌شود).

قول دوم، سخنی است که شیخ طبرسی در تفسیر «جوامع الجامع» نقل نموده که: «هُوَ مَلَكٌ أَعْظَمُ مِنْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(۳) (آن روح، فرشته‌ای است بزرگتر از جبرئیل و میکائیل که با رسول خدا ﷺ همراه بوده است). و در تفسیر «مجمع-

۱- تفسیر مجمع البیان، جزء ۲۴، ص ۶۶.

۲- تفسیر کشف، ج ۴، ص ۲۳۴.

۳- تفسیر جوامع الجامع، ج ۴، ص ۵۷.

البیان» آن را به ابوجعفر باقر علیه السلام و ابو عبدالله صادق علیه السلام نسبت می‌دهد^(۱) و صاحب تفسیر «المیزان» نیز در برابر آلوسی صاحب تفسیر «روح المعانی» از این قول جانبداری می‌نماید.^(۲)

قول سوّم از حسن بصری گزارش شده که گفته است: مراد از «روحاً مِنْ أَمْرِنَا» رحمت خدایتعالی است (قال: رَحْمَةٌ مِنْ أَمْرِنَا^(۳)). ولی هیچیک از این اقوال، گواه قرآنی ندارد و بر اثر تدبّر در آیات شریفه اثبات نمی‌گردد. آنچه از خود قرآن فهمیده می‌شود آنستکه پیش از این آیه مبارکه، خدایتعالی از سه طریق، سخن گفتن خود را با بشر یاد می‌فرماید، چنانکه می‌خوانیم: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (هیچ بشری را نسزد که خدا با او سخن گوید مگر از راه وحی، یا از پس پرده، یا رسولی را می‌فرستد تا وی هرچه را که خدا می‌خواهد با اجازه او وحی کند). آنگاه در آیه بعد بلافاصله می‌فرماید: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (و این چنین به سوی تو وحی کردیم) یعنی وحی تو از راه سوّم که فرستادن رسول به سویت باشد، صورت پذیرفته است چنانکه این حقیقت را بارها در قرآن مجید یاد فرموده و از نزول وحی به وسیله رسول یا واسطه‌ای بر پیامبر اسلام صلی الله علیه و آله سخن گفته است. به عنوان نمونه می‌فرماید: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ۱۹۲ - ۱۹۴] یعنی: «همانا این قرآن، فروفرستاده خداوند جهانیان است. آن را روح الامین بر قلب تو نازل کرد تا از هشدار دهندگان باشی». از این واسطه، در قرآن کریم گاهی به «روح القدس» تعبیر شده: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ

۱- تفسیر مجمع البیان، جزء ۲۴، ص ۶۶.

۲- تفسیر المیزان، ج ۱۸، ص ۸۳.

۳- تفسیر طبری، ج ۲۰، ص ۵۴۲.

رَّبِّكَ ﴿[النحل: ۱۰۲] وگاهی او را «جبریل» خوانده است: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ۹۷] وگاهی وی را «رسول کریم» وصف فرموده: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿[التکویر: ۱۹-۲۰] و همه این اوصاف گوناگون در توصیف همان پیک وحی است که به سوی پیامبر ﷺ فرستاده می‌شد و روحی که در سوره شوری از آن یاد فرموده نیز جز همین پیک امین الهی (یا روح الامین) کسی نیست. این چیزی است که از خود قرآن مجید فهمیده می‌شود چنانکه در آیه ۱۵ از سوره شریفه مؤمن نیز به تصریح می‌فرماید: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ در اینجا نکته‌ای ادبی وجود دارد که غفلت از آن، فهم جمله ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ را دشوار می‌نماید. در زبان عرب گاهی آلت یا واسطه فعل را به جای مفعول مطلق که مصدر باشد، می‌آورند. مثلاً به جای آنکه بگویند: «ضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً سَوِيًّا» (او را به واسطه تازیانه زد) می‌گویند: «ضَرَبْتُهُ سَوِيًّا» چنانکه سیوطی در شرح بر «جمع الجوامع» آورده است.^(۱) در آیه شریفه مورد بحث نیز همین قاعده معمول شده و معنای ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ آنست که: به واسطه روح بر تو وحی کردیم. و چنانکه دانستیم این روح یا واسطه، همان جبریل ﷺ است نه شخص دیگر.

* * *

۱- قال: والآلة نحو ضربته سوطاً ورشقته سهماً والأصل: ضربته سوطٍ ورشقة سهمٍ ويترد في جميع أسماء آلات الفعل (رجوع شود به کتاب: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، اثر جلال‌الدین سیوطی، ص ۱۸۸).

نکته‌ای از سوره زُخْرُف

﴿وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

گواهی پیامبران بر یکتاپرستی

سوره شریفه زخرف از سوره‌هایی است که بر توحید عبادت از جهات گوناگونی دلالت می‌نماید. از جمله پیام می‌دهد که معبود همه پیامبران خدا ﷺ یکی نبوده است و در این باره می‌فرماید: «از رسولان ما که پیش از تو آن‌ها را فرستادیم بپرس: آیا خدایانی جز خدای رحمن را قرار داده‌ایم تا پرستیده شوند؟». در اینجا چند سؤال جدی مطرح می‌شود. **اولاً** پرسش پیامبر اسلام ﷺ از پیامبران سلف از چه راه و چگونه بوده است؟ **ثانیاً** پس از نزول مکرر وحی و اعلام توحید از سوی خداوند، پرسش پیامبر ﷺ از انبیاء پیشین درباره توحید چه لزومی داشته است؟ **ثالثاً** آیا پیامبر اسلام ﷺ اساساً به چنین مأموریتی عمل کرده است یا نه؟ مفسران قرآن مجید از دیرباز تاکنون درباره این آیه کریمه اقوال و آراء مختلفی آورده‌اند. مشهورترین قول آنستکه این آیه شریفه در شب **معراج** (لیلة الإسراء) بر پیامبر اکرم ﷺ نازل شده است. طرفداران این رأی خواسته‌اند تا مشکل ارتباط رسول گرامی اسلام ﷺ را با انبیاء سلف ﷺ بدین صورت حل کنند چنانکه شیخ **ابوالفتوح رازی** در تفسیرش همین رأی را برگزیده و در اثبات آن می‌نویسد: «از **عبدالله مسعود** (نقل شده) که رسول ﷺ گفت چون شب **معراج** مرا به آسمان بردند و پیغمبران را جمع کردند و من با ایشان نشستم، فرشته آمد و گفت خدایتعالی می‌فرماید که بپرس از پیغمبران تا ایشان را برچه فرستادند؟ رسول ﷺ پرسید از ایشان که: «**علی** ماذا بُعِثْتُمْ؟ قالوا: **علی وولایتک وولایة علی بن ابی طالب**». گفتند ما را بر ولایت تو و ولایت

علی بن ابی طالب فرستادند^(۱)». این حدیث، مشکل ما را درباره آیه شریفه حل نمی‌کند زیرا بنا بر ظاهر قرآن مجید، رسول اکرم ﷺ مأمور بوده تا از پیامبران گذشته بپرسد: آیا خدای رحمن جز خود، خدایانی را مقرر داشته است که مردم آن‌ها را بپرستند یا خیر؟ ﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ بنابراین اساساً بحث ولایت فردی از افراد بشر مطرح نبوده تا پیامبران خدا ﷺ بدان پاسخ دهند و بفرض صحت حدیث، آن را ناظر بر آیه شریفه نتوان شمرد چنانکه از نزول آیه مزبور بر رسول خدا ﷺ در این روایت اثری دیده نمی‌شود و لذا از موضوع بحث ما بیرون است.

شیخ طبرسی در تفسیر «جوامع الجامع» سخن دیگری آورده و می‌نویسد: «قِيلَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جُمِعَ لَهُ الْأَنْبِيَاءُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَأَمَّهُمْ وَقِيلَ لَهُ: سَلَهُمْ، فَلَمْ يَشْكُ وَلَمْ يَسْأَلْ»^(۲). یعنی: «گفته شده که پیامبران ﷺ در شب معراج بر پیامبر ما ﷺ در بیت المقدس گرد آمدند و او بر ایشان (در نماز) امامت کرد و به وی گفتند که از این پیامبران بپرس ولی پیامبر اسلام ﷺ تردید نکرد و نپرسید». این رأی که از زهری و ابن زید و سعید بن جبیر گزارش شده^(۳) نیز بدون اشکال نیست زیرا سؤال مزبور اساساً برای رفع تردید از پیامبر ﷺ درباره توحید نبوده است بلکه پرسش مورد بحث، درخلال احتجاج با مشرکان درمکه پیش آمد که جز خدای عزوجل، بُت‌های خود و فرشتگان را نیز می‌پرستیدند و می‌گفتند: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [النحل: ۳۵] «اگر خدا می‌خواست ما هیچ چیزی را جز او نمی‌پرستیدیم، نه ما و نه پدرانمان!» بنابراین، سؤال مذکور و اعلام پیام یکتاپرستی، نوعی پاسخ به مشرکان شمرده می‌شود و گرنه، چه لزومی داشت که خاتم پیامبران ﷺ پس از دریافت وحی الهی، به سوی ارواح پیامبران

۱- تفسیر رَوْحِ الْجَنَانِ و روح الجنان، ج ۵، ص ۱۵.

۲- تفسیر جوامع الجامع، ج ۴، ص ۷۰.

۳- تفسیر مجمع البیان، جزء ۲۴، ص ۸۸.

گذشته رود تا از آنان بپرسد که آیا معبودی جز خدا هست یا خیر؟! مگر شهادت خدای سبحان در قرآن مجید که مکرر به توحید گواهی داده مانند اینکه فرموده: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ۲۵] - معاذ الله - کمتر از شهادت پیامبران او بوده است!! لذا گرد آمدن پیامبران در شب معراج برای اینکه خاتم انبیاء ﷺ چنین پرسشی از آنها بکند و به مؤمنان یکتاپرست برساند، از اصل نادرست است اما اینکه پیامبر ﷺ از آنان پرسیده یا نپرسیده باشد؟ فرعی بر آن اصل باطل شمرده می‌شود.

شگفت آنکه برخی از صاحب‌نظران در تفسیر قرآن با استناد به پاره‌ای از روایات ناموثق، بر همین قول اتکاء و اعتماد نموده‌اند چنانکه صاحب تفسیر «المیزان» پس از نقل آراء می‌نویسد: «قِيلَ الْآيَةُ مِمَّا خُوِّطَبَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ أَنْ يَسْأَلَ أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقَدْ اجْتَمَعَ بِهِمْ أَنْ يَسْأَلَهُمْ: هَلْ جَاءُوا بِدِينٍ وَرَاءَ دِينِ التَّوْحِيدِ؟ وَقَدْ وَرَدَتْ بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الرُّوَايَاتِ مِنْ أُمَّةٍ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»^(۱).

یعنی: «گفته شده که این آیه از اموری است که در شب معراج بر پیامبر ﷺ خطاب شده تا از ارواح انبیاء ﷺ سؤال کند و پیامبر ﷺ با دیگر پیغمبران گرد آمد تا از آنان بپرسد که آیا آنها دینی غیر از دین توحید آوردند؟ و در این باره بیش از یک روایت از امامان اهل بیت ﷺ وارد شده است».

متأسفانه مفسر محترم در تفسیر این آیه از اسلوب تفسیری خود که در مقدمه کتابش بدان ملتزم شده یعنی «تفسیر قرآن به وسیله قرآن و تدبیر در آن»^(۲) درمی‌گذرد. وگرنه عنایت می‌نمود که شخص پیامبر ﷺ به چنین پرسشی نیاز نداشت و مؤمنانی که قرآن را

۱- تفسیر «المیزان» ج ۱۸، ص ۱۱۰.

۲- به تفسیر المیزان، ج ۱، ص ۹ نگاه کنید به ویژه در آنجا که می‌نویسد: (أَنْ يُفَسِّرَ الْقُرْآنَ بِالْقُرْآنِ وَنَسْتَوْضِحَ مَعْنَى الْآيَةِ مِنْ نَظِيرَتِهَا بِالتَّدْبِيرِ الْمَدْبُوبِ إِلَيْهِ فِي نَفْسِ الْقُرْآنِ).

کلام الهی و شهادت خداوند می‌دانستند نیز نیازمند نبودند تا پیامبرشان از معراج خبر آورد که جز خدا معبود دیگری نیست! اما کافران (که در معرض احتجاج قرار داشتند) اصل معراج را نمی‌پذیرفتند تا از این راه عقیده یکتاپرستی را قبول کنند. پس باید مفهوم آیه را در ساحت دیگری جستجو کرد.

حقیقت آنستکه مفهوم آیه شریفه به لحاظ لطافت بسیار، بر عده‌ای از مفسران پنهان مانده و آیه را به آسمان و معراج کشیده‌اند! ولی هیچ قرینه‌ای در خود آیه یا در سیاقش وجود ندارد تا اثبات نماید که این تک آیه شریفه، از دیگر آیات سوره زخرف جدا شده و محل نزول آن در آسمان بوده است بلکه آیه مزبور با او عطفی که در آغاز آن آمده ظاهراً به قبل از خود معطوف گشته است و تمام سوره زخرف یکپارچه، سوره‌ای مکی شمرده می‌شود. مفسران دیگر این معنی را دریافته‌اند ولی برای حل مشکل، بر این قول رفته‌اند که مورد خطاب در آیه مزبور، پیامبر اکرم صلی الله علیه و آله نیست بلکه امت اسلامی هستند تا به آثار انبیاء سلف رجوع کنند و دعوت آنان را به توحید و نفی شرک دریابند. چنانکه شیخ طبرسی در تفسیر مجمع البیان گفته است: «وَالْحِطَابُ وَإِنْ تَوَجَّهَ إِلَى النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله فَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ»^(۱) (هرچند خطاب، متوجه پیامبر صلی الله علیه و آله است ولی مراد، امت وی هستند). این قول اگرچه بهتر از رأی پیشین است ولی اولاً برخلاف ظاهر به شمار می‌آید و اگر آیه کریمه به لفظ جمع (وَأَسْأَلُوا) می‌آمد و مراد از آن، امت اسلامی بود، به بلاغت نزدیکتر شمرده می‌شد مانند آنکه فرمود: (فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) و امثال آن. ثانیاً همانطور که گفتیم این آیه شریفه در مقام احتجاج با اهل شرک مطرح شده است و مقصود از آن تنها رهنمایی مؤمنان به سوی توحید نیست تا خطابش متوجه امت محمدی صلی الله علیه و آله باشد. از میان مفسران معروف، أبوحیان اندلسی در تفسیر «البحر المحیط» می‌گوید: «وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ حِطَابٌ

۱- تفسیر مجمع البیان، ج ۲۴، ص ۸۸.

لِلسَّامِعِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَفْحَصَ عَنِ الدِّيَانَاتِ فَقِيلَ لَهُ اسْأَلْ أَيُّهَا السَّائِلُ أَتَبَاعَ الرُّسُلِ أَجَاءَتْ رُسُلُهُمْ
بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ»^(۱)؟

یعنی: «ظاهر آنست که خطاب به شنونده‌ای تعلق دارد که می‌خواهد در ادیان به جستجو پردازد و به او گفته می‌شود که ای شنونده! از پیروان رسولان بپرس که آیا پیامبران به عبادت غیر خدا مأمور بودند؟!».

در اینکه خطاب به شنونده آیه شریفه معطوف باشد، نه به رسول اکرم ﷺ جای ایراد است زیرا در آیه تصریح شده: (مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) و نمی‌توان خطاب آغاز آیه را متوجه شنونده دانست و خطاب میان آیه (قَبْلِكَ) را به رسول خدا ﷺ برگرداند چنانکه ابوحنیان گمان کرده است و می‌گوید: «فَرَدَّ الْخِطَابَ إِلَى مُحَمَّدٍ فِي قَوْلِهِ: مِنْ قَبْلِكَ»^(۲)!

برای حلّ نهایی آیه کریمه باید به خود قرآن کریم بازگردیم و از آیات آن رهنمایی بجوییم. در قرآن مجید، سؤال از کسی یا کسانی به صورتها و معانی گوناگون آمده است. گاهی سؤال به معنای خبرگرفتن می‌آید مانند ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ۴۳] یعنی: «پس از اهل ذکر بپرسید اگر که نمی‌دانید» و گاهی در معنای استفهام انکاری آمده است مانند ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ۳] یعنی: «آیا آفریننده‌ای جز خدا وجود دارد که شما را از آسمان و زمین روزی می‌رساند؟» و گاهی سؤال به معنای درخواست و طلب به کار رفته است مانند ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ۲۹] یعنی: «ای قوم من، از شما مالی را در برابر أداء رسالتم درخواست نمی‌کنم، پاداش من جز بر خدا نیست» و گاهی سؤال، صورت تهدیدی و توبیخی دارد مانند ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ۹۲]. یعنی: «به -

۱- تفسیر البحر المحیط، ج ۸، ص ۱۹.

۲- البحر المحیط، ج ۸، ص ۱۹.

خداوندت سوگند که از همگی ایشان (کافران) بازخواست می‌کنیم». و گاهی سؤال، درخواستی به زبان حال یا زبان تکوین را بیان می‌نماید مانند آنچه در سوره شریفه ابراهیم عَلَيْهِ آمده که فرمود: ﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [ابراهیم: ۳۴] یعنی: «هرچه را (در عالم آفرینش) خواستید خدا به شما داد». و گاهی موضوع سؤال، اشتهار فراوان دارد اما سؤال برای تأکید در تحقق آن مطرح می‌شود مانند اینکه خدایتعالی به رسولش می‌فرماید: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: ۱۰۱]. یعنی: «موسی را نه نشانه روشن دادیم پس از بنی اسرائیل بپرس» یا می‌فرماید: ﴿سَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّن آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ۲۱۱] یعنی: «از بنی اسرائیل بپرس که چه اندازه نشانه‌های روشن بدانها دادیم». این امور را هرگز رسول خدا صَلَّى از بنی اسرائیل نپرسید و مأمور به پرسش از ایشان هم نبود و مقصود خدایتعالی آنست که امور مزبور محقق است و جای انکار در آنها نیست و بنی اسرائیل به وجود آن آیات اعتراف دارند به طوری که اگر از ایشان سؤالی شود بدانها اذعان می‌کنند. آیه مورد بحث ما در سوره شریفه زخرف نیز از همین مقوله است. یعنی واضح و آشکاراست که پیامبران گذشته همگی منادی توحید بوده‌اند به طوری که اگر از ایشان پرسیده شود که آیا خدایتعالی غیر از خود معبود دیگری تعیین فرموده است، به طور قطع و یقین همگی پاسخ منفی خواهند داد و آثار باقیمانده از پیامبران سلف (مانند کتاب‌های موسی و داود و اشعیا و ارمیا و حزقیال و زکریا و غیرهم که در دسترس اهل کتاب است) بر یکتاپرستی پیامبران به وضوح گواهی می‌دهند و در هیچ جایی نیامده که پیامبران، بت پرستی را پذیرفته باشند و این حجّتی است بر مشرکان که می‌گفتند: ما به خواست خدا، بت‌ها را عبادت می‌کنیم! (نحل: ۳۵) در حالی که فرستادگان خدا صَلَّى برخلاف ادعای بی‌دلیل آنان، اجماع داشته‌اند. این معنای پرسش از پیامبران سلف است و هیچ لزومی نداشته تا خاتم پیامبران صَلَّى و

بزرگترین منادی توحید به آسمان روَد تا این موضوع را از پیامبران گذشته بپرسد و برای امتش پیام تازه آورد.

از میان مفسران قدیم: مفسر بزرگ معتزلی زمخشری در کشف به این معنا بسیار نزدیک شده^(۱) و از مفسران تازه، علامه ابن عاشور در تفسیر «التحریر و التَّنویر» حق آن را اداء نموده است^(۲). سعی ایشان مشکور باد.

* * *

۱- به تفسیر کشف، ج ۴، ص ۲۵۴ نگاه کنید.

۲- به تفسیر التحریر و التَّنویر، ج ۱۰، ص ۲۲۲ بنگرید. (مخصوصاً به اشعاری که در تفسیر آیه مزبور شاهد آورده شده توجه فرمایید).

نکته‌ای از سوره احقاف

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِ اتَّبَعُوا إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ رسول خدا ﷺ و حوادث آینده

خدایتعالی در این آیه شریفه دستور می‌دهد که رسول گرامیش به کافران بگوید: «من نودرآمدِ رسولان نیستم و نمی‌دانم که با من و با شما چه رفتاری خواهد شد؟ جز آنچه به‌سوی من وحی می‌شود چیزی را پیروی نمی‌کنم و من جز بیم‌دهنده‌ای آشکار نیستم». مفسران قرآن مجید در تفسیر این آیه کریمه سخنان گوناگونی آورده‌اند تا روشن کنند که پیامبر خدا ﷺ از چه جهت آگاه نبود که با او و مخالفانش چه رفتاری خواهد شد؟! ابوجعفر طبری در اینباره از قول حسن بصری و عکرمه و قتاده آورده است که آن‌ها گفته‌اند: این ناآگاهی مربوط به دوران مکه بود و پس از نزول آیه مزبور، چون رسول خدا ﷺ به مدینه هجرت نمود از امرزش کامل خداوند نسبت به خود آگاهی یافت و دانست که به بهشت موعود وارد خواهد شد و این آگاهی با نزول آیه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ در سوره فتح رخداد و آیه نهم از سوره احقاف را نسخ کرد! ^(۱)

به‌نظر ما این قول، سخن موجّه و استواری نیست و خود ابوجعفر طبری نیز آن را نپسندیده است. زیرا مدت‌ها پیش از آنکه سوره فتح و احقاف نازل شوند، خداوند در سوره ضحی (که از سوره اوائل بعثت شمرده می‌شود) از تکریم خود نسبت به رسولش در آخرت خبر داده و او را به عطای عالم بازپسین مطمئن نموده بود چنانکه فرمود: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ

۱- تفسیر طبری، ج ۲۱، ص ۱۲۱.

* وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿ [الضحى: ۴- ۵] یعنی: «هرآینه سرای آخرت برای تو بهتر از این جهان است. و به زودی خداوندت عطائی بر تو می‌کند که خوشنود خواهی گشت». بنابراین، ناسخ و منسوخی در اینجا وجود ندارد و برای حل آیه کریمه راه دیگری را باید جست. با وجود این زمخشری در تفسیر کشاف از قول ابن عباس آورده که وی گفته است: «ما يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِكُمْ فِي الْآخِرَةِ وَهِيَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ»^(۱). یعنی: عبارت: «نمی‌دانم با من و با شما چه رفتاری خواهد شد؟» مربوط به آخرت است که به وسیله لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ... نسخ شده است! چنانکه ملاحظه می‌کنیم این قول، همان رأی عکرمه و قتاده است لیکن از آنجاکه شخصیت ابن عباس در تفسیر قرآن، ممتاز و زبده شمرده می‌شود، زمخشری قول وی را ردّ ننموده و آن را توجیه می‌کند و در پی سخن گذشته‌اش می‌نویسد: «وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَفِيًّا لِلدَّرَائَةِ الْمَفْصَلَةِ!» یعنی: «رواست که نفی علم (در سوره احقاف) مربوط به فهم تفصیلی باشد!» مقصودش آنستکه رسول خدا ﷺ در مکه اجمالاً می‌دانست که خداوند او را از نعمت‌های بهشتی برخوردار می‌نماید ولی تفصیلاً از انعام حقتعالی با خبر نبود و سپس از آن آگاه شد و آیه مکی - به قول ابن عباس - نسخ گردید! باینکه نسخ آیه کریمه از راه اجمال و تفصیل، بی‌وجه است زیرا از تفصیل نعمت - های آخرت جز خدایتعالی، هیچکس باخبر نیست چنانکه در نص قرآن کریم آمده: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ۱۷] یعنی: «هیچکس نمی‌داند چه چیزهایی که مایه روشنایی چشمها می‌شوند برای آنان - به پاداش اعمالی که می‌کردند - پنهان شده است». شگفت آنکه از خود ابن عباس در تفسیر آیه‌آخر آورده‌اند که گفته است: «أما هذا لا تفسیر له، فالأمر أعظم وأجل مما يُعرف تفسیره»^(۲). یعنی: «بدانید که این آیه

۱- تفسیر کشاف، ج ۴، ص ۲۹۸.

۲- تفسیر مجمع‌البیان، ج ۲۲، ص ۸۵.

تفسیر ندارد زیرا موضوع آن، بزرگتر و بالاتر از آنست که تفسیرش شناخته شود! و نظر ابن-عبّاس در اینجا کاملاً درست است زیرا نکره در سیاق نفی که در جمله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ ملاحظه می‌شود، بر عمومیت دلالت دارد و نشان می‌دهد که احدی - جز خدایتعالی - از تفصیل نعمت‌های بهشت مطلع نیست. بنابراین چگونه می‌توان ادعا کرد که رسول اکرم ﷺ از تفصیل آن‌ها آگاه شده و علم اجمالی وی، نسخ گردیده است؟! (علاوه بر اینکه اساساً اجمال و تفصیل با نسخ و منسوخ تفاوت دارد). آری! هر چند ابن‌عبّاس درباره تفسیر قرآن کریم دانش فراوانی داشته ولی اولاً وی معصوم نبوده است و ثانیاً آنچه زمخشری و دیگران از او نقل کرده‌اند، روایتی از ابن‌عبّاس است، نه قول قطعی وی! اینگونه اقوال، همچون روایات ضعیفی که گاهی به ائمه اسلام و بزرگان دین نسبت داده‌اند، مفید علم و اطمینان نیست. پس روایت از ابن‌عبّاس نباید ما را به توقف وادارد و مانع پیشرفت در علم شریف تفسیر گردد.^(۱)

شیخ طبرسی در تفسیر «مجمع‌البیان» قول دیگری از ضحاک (مفسر قدیمی) نقل می‌کند که او در معنای آیه مورد بحث گفته است: «قُلْ مَا أَدْرِي مَا أُمِرُ بِهِ وَلَا تُؤْمَرُونَ بِهِ»^(۲)! (بگو من نمی‌دانم که به چه چیز فرمان داده می‌شوم و نیز شما به چه چیزی امر خواهید شد!) این تفسیر نیز ضعیف است زیرا خدایتعالی در آیه مورد بحث ظاهراً از رفتار و عملی که نسبت به پیامبر اکرم ﷺ و مخالفان او، معمول می‌دارد (ما يُفْعَلُ بِِي وَلَا بِكُمْ) سخن گفته است، نه از اوامر یا احکامی که در آینده برای آن‌ها نازل خواهد فرمود.

شیخ طبرسی و ابوجعفر طبری قول دیگری را از حسن بصری گزارش نموده‌اند که

۱- برخلاف صدها روایت که از ابن‌عبّاس در تفسیر قرآن آورده‌اند، سیوطی از قول شافعی آورده که وی گفته است: لَمْ يَثْبُتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي التَّفْسِيرِ إِلَّا شَبِيهَةٌ بِمِثْلِ حَدِيثِ! (الإتقان ۲/۲۲۴). یعنی: از ابن-عبّاس در تفسیر حدود صد حدیث بیشتر ثابت نشده است!

۲- تفسیر مجمع‌البیان، ج ۲۶، ص ۷.

با آنچه ما از آیه شریفه می‌فهمیم تا اندازه‌ای سازگاری دارد و نقل کرده‌اند که حسن گفته است: «هَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَّ مَنْ كَذَبَهُ فِي النَّارِ»^(۱). یعنی: «آیه شریفه درباره رویدادهای دنیا است اما در مورد آخرت، مسلماً پیامبر ﷺ می‌دانست که به بهشت وارد خواهد شد و هرکس او را تکذیب کرده، گرفتار آتش می‌شود».

اقوال دیگری نیز درباره آیه کریمه نقل شده که در تفسیر مجمع البیان می‌توان آن‌ها را دید. اما قول صحیح آنستکه: کفار مکه در برابر دعوت پیامبر اسلام ﷺ به توحید، واکنشی از خود نشان می‌دادند که گویی پیامبر ﷺ بدعتی آورده و هیچ رسولی تا آن زمان چنان سخنی نگفته است! و لذا می‌گفتند: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ۵] «آیا خدایان را خدای یگانه گردانیده؟ همانا که این چیز بسیار شگفتی است» و نیز می‌گفتند: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلَمَلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا آخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ۷] «ما این (ادعا) را در آخرین آیین نشنیده‌ایم، این جز دروغی که برافته چیز دیگری نیست!» همچنین کفار مکه انتظار داشتند که پیامبر ﷺ برای آن‌ها مرتباً غیب‌گویی کند و حوادث و احوال آینده را بازگو نماید و اساساً توقع داشتند که فرستاده خدا، از نوع فرشتگان باشد نه از جنس بشر! از اینرو در سوره انعام می‌فرماید که رسول صادق امین به آن‌ها بگوید من چنین ادعاهایی را ندارم و جز وحی الهی که به من می‌رسد از فرمانی پیروی نمی‌کنم چنانکه می‌فرماید: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ۵۰] یعنی: «بگو به شما نمی‌گویم که گنجهای خدا نزد من است و غیب نمی‌دانم و به شما نمی‌گویم که من فرشته‌ای هستم، جز آنچه به من وحی می‌شود چیزی را پیروی نمی‌کنم...». در چنین احوال، خدای سبحان در سوره احقاف به پیامبرش فرمان می‌دهد که اولاً بگوید: مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ

۱- به تفسیر مجمع البیان، ج ۲۶، ص ۷ نگاه کنید.

(بگو من نودرآمدِ رسولان نیستم) یعنی: نخستین کس نیستم که مردم را به توحید فرامی‌خواند و از شرک و بت‌پرستی باز می‌دارد. پس بدعتی تازه از پیش خود نساخته‌ام و دعوت رسولانِ حق، همه بر توحید بوده است. ثانیاً خدایتعالی می‌فرماید که رسولش اعلام نموده و بگوید: **وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ** (و نمی‌دانم که با من و شما چه رفتاری خواهد شد؟) یعنی: من برخلاف انتظار شما، غیب‌گو نیستم و از همه حوادثی که خدای سبحان در دنیا برای من و شما پیش خواهد آورد، خبر ندارم. ثالثاً می‌فرماید که بگوید: **إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ** (جز آنچه به‌سوی من وحی می‌شود، چیزی را پیروی نمی‌کنم). یعنی: اگر سخنی در باب توحید و یا شریعت می‌گویم و اگر أحياناً خبری از پیروزی حق بر باطل در آینده، می‌آورم، تنها مربوط به وحی خداوند است که بدون اختیار خودم به من می‌رسد و فقط از آن پیروی می‌کنم. بنابراین، مقصود از آیه شریفه آن نیست که پیامبر ﷺ از آخرت خود و کافران اظهار بی‌خبری نماید به‌ویژه که کافران، به آخرت عقیده نداشتند و نمی‌خواستند تا پیامبر ﷺ، سرانجام آخرت خود یا ایشان را بازگو کند! درخواست آن‌ها از پیامبر ﷺ پیشگویی‌های دنیوی بوده است. اما اخبار آخرت را پیامبر خدا ﷺ از راه وحی الهی که بدو می‌رسید پیاپی برایشان می‌خواند و آنان را **انذار** نموده هشدار می‌داد چنانکه در مقطع آیه شریفه آمده است: **وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** (و من جز بیم‌دهنده‌ای آشکار نیستم). اگر پیامبر خدا ﷺ به آنان می‌فرمود که: من از آخرت خودم و شما بی‌خبرم! چگونه می‌توانست کافران را از عواقب اعمالشان بیم دهد؟ و یا مؤمنان را به بهشت خداوند نوید بخشد؟ به قول شاعر:

خشک ابری که بُود ز آب تُهی کی تواند صفتِ آب دهی؟! *

*

*

*

نکاتی از سوره فتح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ فتح و آموزش گناه!

چنانکه در پیشگفتار همین کتاب آوردیم، این آیه کریمه از دیدگاه خواننده کنجکاو، با سه پرسش اساسی روبرو است که باید بدانها پاسخ داد. مفهوم آیه شریفه اینست که: «ما تورا فتحی آشکار آوردیم * تا خدا گناه گذشته‌ات و آنچه را که بازپس آمده، بیامرزد...». پرسشهای مهم درباره این آیه آنست که اولاً: فتح و پیروزی چه پیوندی با آموزش گناه دارد؟ و چرا خدای سبحان نفرمود که: ما تو را به انابه و توبه موفق ساختیم تا گناهی را بیامرزیم؟ ثانیاً: گناه پیامبر ﷺ چه بوده است؟ مگر نه آنکه پیامبر خدا ﷺ سرمشق و الگوی اخلاقی مسلمانان شمرده می‌شود. پس اگر قرار باشد که او گناه ورزد، در آن صورت بر مسلمانان نیز گناهکاری روا خواهد بود و این امر با آموزشهای اسلام در ترک گناه مغایرت دارد. ثالثاً: مفهوم «گناه گذشته» روشن است ولی گناه بازپسین (ما تأخّر) کدامست؟ اگر مقصود از آن «گناه آینده» باشد، گناهی که هنوز رخ نداده چگونه با آمدن فتح، آمرزیده شده است؟!

در اینجا نخست باید دید که مفسران قرآن کریم درباره این آیه مبارکه چه گفته‌اند و سخنان ایشان چگونه می‌تواند آن پرسشها را پاسخ گوید؟ بهتراست از تفاسیر امامیه آغاز کنیم که اقوال ائمه علیهم السلام را در این مسئله آورده‌اند. در تفسیر علی بن ابراهیم قمی و شیخ طبرسی و فیض کاشانی و محدث بحرانی می‌خوانیم که عُمَرُ بْنُ يَزِيدٍ كَفَتْ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: مَا كَانَ

لَهُ ذَنْبٌ وَلَا هُمْ بِذَنْبٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَهُ ذُنُوبَ شِيعَتِهِ ثُمَّ غَفَرَهَا لَهُ»^(۱) (از ابو عبدالله صادق عليه السلام) درباره آیه مزبور پرسیدم، فرمود: پیامبر صلی الله علیه و آله را گناهی نبود و قصد گناهی هم نکرد ولی خداوند، گناه پیروانش را براو حمل کرد سپس گناهان مزبور را برای وی آمرزید! از روایت دیگری که مفسران شیعی آورده‌اند معلوم می‌شود که مراد از پیروان پیامبر صلی الله علیه و آله، شیعیان علی عليه السلام هستند چنانکه از مُفَضَّل بن عمر آورده‌اند که گفت: امام صادق عليه السلام در تفسیر آیه مذکور فرمود: «وَاللَّهِ مَا كَانَ لَهُ ذَنْبٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ضَمِنَ لَهُ أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَ شِيعَةِ عَلِيِّ عليه السلام مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِمْ وَمَا تَأَخَّرَ»^(۲) (سوگند به خدا که پیامبر صلی الله علیه و آله گناهی نداشت ولی خداوند سبحان برای وی ضمانت نمود که گناهان شیعه علی عليه السلام را بیامرزد، گناهانی که در گذشته و پس از آن مرتکب شده‌اند.)!

به نظر اینجانب مناسبتر است که این تفسیر را به راویان آن نسبت دهیم تا به ابو عبدالله صادق عليه السلام زیرا اولاً تفسیر مذکور در حکم خبر واحدی است که با ظاهر قرآن هماهنگی ندارد. شگفتنا! که این روایت می‌گوید: خدای سبحان به‌جای آنکه تعبیر «ذُنُوبَ شِيعَةِ عَلِيِّ عليه السلام» را در کتابش بکارگیرد، پیامبر بی‌گنااهش را بدل از آن‌ها آورده و او را متهم ساخته است! ثانیاً حمل گناه دیگران بر پیامبر خدا صلی الله علیه و آله بامدلول آیه قرآن نمی‌سازد که می‌فرماید: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: ۱۸] یعنی: «هیچ باربرداری بار (گناه) دیگری را حمل نمی‌کند». ثالثاً این تفسیر غریب، موجب تجرّی در گناه یا جرأت ورزیدن شیعیان در ارتکاب منکرات می‌گردد و با مناهی خدایتعالی مابینت دارد و لذا از درجه اعتبار ساقط است.

۱- به تفاسیر: قمی، ص ۶۳۵ و طبرسی، ج ۲۶، ص ۵۲ و کاشانی، ج ۲، ص ۵۷۸ و بحرانی، ج ۴، ص ۱۹۵ نگاه کنید.

۲- به مجمع‌البیان (ج ۲۶، ص ۵۲) و تفسیر صافی (ج ۲، ص ۵۷۸) و تفسیر برهان (ج ۴، ص ۱۹۵) بنگرید.

شیخ طبرسی در «مجمع البیان» از قول سید مرتضی که از علمای بزرگ امامیه شمرده می‌شود نقل کرده که وی گفته است: «الذَّنْبُ مَصْدَرٌ وَالْمَصْدَرُ يُجُوزُ إِضَافَتُهُ إِلَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ مَعًا فَيَكُونُ هُنَا مُضَافًا إِلَى الْمَفْعُولِ وَالْمَرَادُ: مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِمْ إِلَيْكَ فِي مَنْعِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مَكَّةَ وَصَدَّهِمْ لَكَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»^(۱).

یعنی: «کلمه ذنب، مصدر است و جایز است که مصدر به مفعول و فاعل هر دو اضافه شود و در این آیه به مفعول اضافه شده و مراد آنستکه: خداوند گناه گذشته کفار را درباره تو آمرزید که از ورودت به مکه جلوگیری نمودند و تو را از رفتن به مسجدالحرام بازداشتند!» آنچه سید فرموده برخلاف ظاهر است و گیرم که با واژه (ذنبک) سازگار باشد ولی درباره (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) چه باید گفت؟ و چرا نفرمود: لِيَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ (تا خدا آنها را بیامرزد)؟! حقیقت آنستکه بنا بر مدلول آیه شریفه، خدای سبحان، پیامبرخود را مورد آمرزش قرار داده است، نه کفار و مشرکان را!

از مفسران قدیم امامیه که بگذریم، برجسته‌ترین مفسر معاصر یعنی صاحب تفسیر «المیزان» در تفسیر این آیه مرقوم داشته است:

«فَالْمَرَادُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - التَّبِعَةُ السَّيِّئَةُ الَّتِي لِدَعْوَتِهِ ﷺ عِنْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَهُوَ ذَنْبٌ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ: ﴿وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(۲) [الشُّعْرَاءُ: ۱۴].

یعنی: «مراد از ذنب - و خدا بهتر می‌داند - پیامدهای بدی بود که از نظر کفار و مشرکان با دعوت پیامبر ﷺ همراه بود و این گناهی شمرده می‌شد که آنها بر پیامبر ﷺ بستند چنانکه موسی به خدای خود عرض کرد: «وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ». یعنی (خداوندا) نزد فرعونیان برگردن من گناهی است که می‌ترسم به‌خاطر آن مرا بکشند».

۱- تفسیر مجمع البیان، ج ۲۶، ص ۵۳.

۲- تفسیر المیزان، ج ۱۸، ص ۲۷۶.

چیزی که قابل انکار نیست تفاوت تعبیر در «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» است با آنچه موسی عليه السلام به درگاه خدا عرض کرد که «لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ» زیرا سخن موسی عليه السلام به قول صاحب المیزان دیدگاه فرعونیان را نسبت به خود بیان می‌کند که من از نظر آن‌ها گناهکارم^(۱) ولی سوره فتح، از غفران خداوند نسبت به گناه پیامبر (بدون هیچ قیدی) سخن می‌گوید و قیاس آندو آیه با یکدیگر امری موجه نیست. اگر مراد از آیه سوره فتح همان معنایی بود که در «المیزان» آمده لازم می‌آمد با عباراتی نظیر (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا يَزَعْمُونَ مِنْ ذَنْبِكَ) و امثال آن بیان شود یعنی: «تا خدا گناهی را که آن‌ها درباره تو می‌پندارند بیامرزد» چنانکه در سوره شریفه **أَنْعَام** از دیدگاه مشرکان با این تعبیر یاد می‌فرماید که: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ۱۳۶] «گویند: این سهم خدا است - به پندار خودشان - و این سهم شریکان ما (یعنی بت‌ها) است!»

أما در تفاسیر قدماى **أهل سنت** چیزی که بدان بیشتر توجه شده اینست که فتح مزبور، با حادثه **حُدَيْبِيَّة** پیوند دارد (چنانکه مضامین سوره فتح گواهی می‌دهند^(۲)) و بعضی آن را مربوط به فتح **مکه** دانسته‌اند و بحثی که سؤالات سه‌گانه را درباره سوره شریفه پاسخ دهد،

۱- البته موسی عليه السلام در قتل مرد مصری، به خطای خودش نزد خداوند اعتراف نمود و آمرزش طلبید چنانکه گفت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ (القصص: ۱۶) «خداوندا، من به خود ستم کردم پس مرا بیامرزد».

۲- بنابراین، قول ابو مسلم بحر اصفهانی (معتزلی) که فتح را در این سوره شریفه به معنای: «آموزش قرآن و نزول وحی و بیان آیین» تفسیر کرده، درخور توجه نیست زیرا با مفاد سوره کریمه که از حوادث حدیبیه (بیعت تحت شجره، رؤیای پیامبرص و ...) سخن می‌گوید سازگاری ندارد و با آثار نبوی که در کتب تفسیر و سیره و تاریخ درباره این سوره آمده نیز نمی‌سازد. برای دیدن قول او به تفسیر «جامع التأویل لمحكم التنزیل»، ص ۵۲۹ که به اهتمام آقای دکتر محمود سرمدی، بخشهایی از آن گردآوری شده، نگاه کنید.

در روایات قدیمی ایشان دیده نمی‌شود جز آنکه ابوجعفر طبری سخنی را آورده تا پیوند میان فتح و آمرزش گناه را توضیح دهد. وی می‌نویسد:

«قَضَيْنَا لَكَ عَلَيْهِم بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ لِتَشْكُرَ رَبَّكَ... وَتَسْتَغْفِرَهُ، فَيَغْفِرُ لَكَ بِفِعَالِكَ ذَلِكَ رَبُّكَ، مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ قَبْلَ فَتْحِهِ لَكَ مَا فَتَحَ وَمَا تَأَخَّرَ بَعْدَ فَتْحِهِ لَكَ ذَلِكَ»^(۱)

یعنی: (حقتعالی می‌فرماید) یاری و پیروزی را برای تو مقرر داشتیم برای آنکه سپاس خداوندت را به جای آری و... از او آمرزش بخواهی تا با اینکار، خداوندت گناه پیش از فتح و پس از فتح را برایت بیامزد».

طبری در این تفسیر هرچند نسبت به تفاسیری که ذکرشان گذشت، بیان بهتری را اظهار داشته ولی **اولاً**، اگر آمرزش رسول گرامی ﷺ مشروط به شکرگزاری و استغفار وی بود (نه صرفاً فتح و پیروزی) در آنصورت لازم می‌آمد که در آیه شریفه به مبادی اصلی آمرزش یعنی **شکر** و **استغفار** تصریح یا لاًقل اشاره‌ای شده باشد ولی از ایندو مقوله در آیه شریفه اساساً سخنی نرفته است. **ثانیاً** اگر شکر و استغفار موجب آمرزش رسول - خدا ﷺ می‌گشت مگر قبل از فتح، پیامبر ﷺ به این کار نمی‌پرداخت؟! **ثالثاً** در این تفسیر توضیح داده نشده که گناه پیامبر ﷺ چه گناهی بود که تنها با شکر و استغفار آن‌هم پس - از فتح، آمرزیده می‌شده است نه پیش از فتح؟!

از تفاسیر تازه‌آهل سنت، شیخ **وهبة الزحیلی** در «التفسیر المنیر» می‌نویسد: «يَكُونُ لِمَا تَضَمَّنَتْ مِنْ مُجَاهَدَةٍ سَبَبًا لِلْمَغْفِرَةِ فَإِنْ لَمْ يُجْعَلِ الْفَتْحُ عَلَةً لِلْمَغْفِرَةِ فَيَكُونُ ذِكْرُ اللَّامِ - كَمَا قَالَ الرَّاحِشِيُّ - لِاجْتِمَاعِ مَا عَدَدَ مِنَ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ الْمَغْفِرَةُ وَإِتْمَامُ النِّعْمَةِ وَهَدَايَةُ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالنَّصْرُ الْعَزِيزُ»^(۲).

۱- تفسیر طبری، ج ۲۱، ص ۲۳۶.

۲- التفسیر المنیر، ج ۲۶، ص ۱۴۹.

یعنی: «آیه کریمه متضمن جهادی است که سبب آمرزش می‌گردد و اگر فتح را علت آمرزش قرار نداده باشد، در آنصورت ذکر لام (در لِيَغْفِرَ لَكَ...) چنانکه زمخشری گفته است برای اجتماع چهار امر آمده است که آمرزش و اتمام نعمت و رهبری به راه راست و یاری پیروزمند باشد».

آنچه در این تفسیر آمده سخن تازه‌ای نیست و آن را عیناً در تفسیر کشاف می‌توان یافت.^(۱) اما سخنان مزبور حلال مشکلات آیه شریفه به‌شمار نمی‌آیند زیرا اولاً در آیه کریمه، امر به جهاد نشده تا مایه ثواب و آمرزش گردد بلکه از فتح مبین که بدون جهاد و به‌لطف خداوند پیش آمده، خبر داده است چنانکه در حدیبیه، جهاد با دشمن رخ نداد و کار به صلح انجامید. به‌علاوه، پیش از صلح حدیبیه یا فتح مکه نیز رسول خدا ﷺ به جهاد در راه حق - آنهم از سر اخلاص - اهتمام ورزیده بود و غزوه‌های بدر و اُحُد و احزاب... را پشت سر گذاشته بود، آیا آن مجاهدتها سبب آمرزش وی نگردید؟! ثانیاً سخن زمخشری نیز مشکلات را حل نمی‌کند! زیرا اگر آمرزش گناه، نتیجه اصلی فتح شمرده نشود لاقلاً یکی از آن چهار نعمت به‌شمار می‌آید. با توجه بدین امر، سؤالات اساسی به‌جای خود باقی می‌مانند که چه پیوندی میان آمرزش گناه پیامبر ﷺ با فتح وجود دارد؟ و اصولاً گناه پیامبر ﷺ چه بوده و مگر پیامبر خدا ﷺ - معاذ الله - از اهل عصیان به‌شمار می‌آمده است!؟

بنابراین، ما باید برای حل مشکلات مزبور، به خود قرآن کریم بازگردیم و از آیات شریفه دیگر در تفسیر آیه مورد بحث کمک بگیریم که: الْقُرْآنُ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضاً. قرآن مجید در برخی از سوره‌های مکی نشان می‌دهد که رسول خدا ﷺ سخت در انتظار نصرت الهی بود زیرا که خود و یارانش تحت فشار بسیار قرار داشتند و از سوی دیگر خدایتعالی نیز به آنان وعده یاری و پیروزی داده بود از اینرو در وصول به پیروزی

۱- تفسیر کشاف، ج ۴، ص ۳۳۲.

شتاب می‌ورزیدند. به‌عنوان نمونه در سوره شریفه مؤمن (غافر) می‌خوانیم که ابتدا خدای سبحان به پیامبرش می‌فرماید: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [مؤمن: ۵۱] یعنی: «همانا که ما فرستادگانمان و کسانی‌را که ایمان آورده‌اند، در همین زندگی دنیا و در روزی که گواهان قیام کنند (روز رستاخیز) یاری خواهیم کرد». سپس با کمی فاصله می‌فرماید: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ﴾ یعنی: «پس (ای پیامبر) صبرکن که وعده خدا حق است و برای گناهت آمرزش بخواه!» گناه پیامبر ﷺ جز شتاب‌ورزیدن در وصول به موعود خداوند، چیز دیگری نبود زیرا که خود و یارانش با مشکلات متعددی روبرو بودند. از اینرو خدایتعالی او را مکرر از ماجراهای پیامبران سلف خبر می‌داد که آنان نیز گرفتار تکذیب‌ها و آزارهای اقوام خود بودند تا سرانجام نصرت الهی فرارسید چنانکه می‌فرماید: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْأَمْثَلِينَ﴾ [الأنعام: ۳۴] یعنی: «همانا رسولان پیش از تو (نیز) تکذیب شدند پس بر آنچه که مورد تکذیب و آزار قرار گرفتند صبر کردند تا یاری ما به‌سوی ایشان آمد و کلمات خدا را تبدیل‌کننده‌ای نیست (هیچکس نتواند از وقوع وعده‌های خدا جلوگیری کند) و همانا که شمه‌ای از اخبار رسولان به‌سوی تو آمد». با اینهمه، طبیعی است که رسول-خدا ﷺ و یارانش در برابر آزارها و استهزاءها و آسیب‌هایی که به ایشان می‌رسید، گاهی در دستیابی به آنچه خدا وعده داده بود و یاری او، شتاب می‌ورزیدند چنانکه خدایتعالی آن‌ها را از ناشکیبایی بر حذر داشته و می‌فرماید: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ۲۱۴] ^(۱) یعنی: «... هنوز همانند ماجرای پیشینیانان بر شما

۱- جمله «حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ...» که به‌عنوان غایت امر به‌کار رفته متعلق به «لَمَّا يَأْتِكُمْ» است و جمله

نگذشته - درحالیکه سختی و ناسودگی بدانان رسید و تکان داده شدند - تا (درنتیجه) پیامبر ﷺ و مؤمنان همراهش گویند که یاری خدا کی می‌رسد؟ بدانید که یاری خدا نزدیک است». یعنی بر گذشتگان شما احوالی شدیدتر رسید پس شتاب موزید و پایداری نشان دهید. وعدهٔ الهی نزدیک شده و موعود او، فرا خواهد رسید. سرانجام به - لطف خدا صلح حدیبیه روی داد و در پی آن، فتح مکه فراسید و خدایتعالی به وعده - اش وفا فرمود و رسولش را در امر استعجال فتح بیامرزید (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) و مؤمنان را آرامش بخشید ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ۴].

اما اینکه: گناه بازپسین (ما تَأَخَّرَ) چه بوده و آمرزش آن، چه معنا دارد؟ باید دانست که می‌توان آن را شتابزدگی در دوران مدینه (قبل از فتح) دانست چنانکه (ما تَقَدَّمَ) را مربوط به دوران مکه شمرد به‌ویژه که لفظ «تَأَخَّرَ» فعل ماضی است و معمولاً شامل آینده نمی‌شود. با این همه گاهی به «قرینهٔ تقابل» می‌توان آن را به معنای «آینده» تفسیر نمود مانند آیهٔ شریفه: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القیامت: ۱۳] یعنی: «در آنروز (روز رستاخیز) به انسان از آنچه پیش و آنچه پس فرستاده خبر داده می‌شود» که مُراد، اعمال آدمی در زمان حیات و آثار وی پس از مرگ است چنانکه در سورهٔ شریفهٔ یس فرمود: ﴿إِنَّا خُنُّ نَحْيِ الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [یس: ۱۲]. یعنی: «ما خودمان مردگان را زنده می‌کنیم و آنچه را پیش فرستادند و آثارشان را می‌نویسیم». در این صورت «آمرزش گناه آینده» به معنای آنستکه: «اگر این فتح خدایی به تأخیر می‌افتاد، در آینده همچنان شتاب‌ورزی تو (ای رسول) ادامه می‌یافت پس این فتح مبین سبب شد تا آنچه در آینده روی می‌داد نیز آمرزیده شود».

بنا بر آنچه گفتیم **اولاً**: رابطه فتح و غفران روشن گردید که فتح مبین خداوند، شتابزدگیها و استعجال در پیروزی را زدود که این امر را خدای سبحان برای پیامبر پاکش نوعی از گناه (ذنب) شمرده بود ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ۵۵].

ثانیاً: پیامبرگرامی ﷺ در عمل مرتکب گناهی نشده و زیانی بر کسی وارد نکرده بود تا **أسوه مؤمنان** نباشد بلکه به مقتضای بشریت چون فشارها بر خود ویرانش شدت می- یافت، در یاری خواستن از خدا و رسیدن به پیروزی موعود، شتاب می-ورزید تا مؤمنان از سختیها رهایی یابند و دلها آرام و مطمئن گردد همانگونه که با آمدن فتح چنان شد ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَيَزِدَّاوَأُؤَيِّمِنَّا مَعَهُمْ﴾ [الفتح: ۴].

ثالثاً: فتح مبین اگر به تأخیر می-افتاد، شتابزدگیها در آینده نیز دوام می-یافت ولی لطف الهی این مشکل را حل نمود و الحمد لله رب العالمین. بدین ترتیب مشکلات سه-گانه‌ای که در آغاز مقاله مطرح شدند، بعون الله تعالی و توفیقه پاسخ داده شد.

تبصره - در پایان سوره مبارکه «نصر» نیز می-خوانیم که می-فرماید: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ و مفسران در اینکه پس از آمدن فتح و روی آوردن مردم به اسلام، چرا رسول اکرم ﷺ باید آمرزش خواهی کند؟ مانند سوره شریفه «فتح» آراء گوناگونی آورده‌اند چنانکه برخی گفته‌اند: پیامبر ﷺ مأمور بوده تا برای اُمتش استغفار کند! ^(۱) و بعضی گفته‌اند: که این کار برای «هضم نفس» بر پیامبر ﷺ لازم شده است ^(۲) و امثال این اقوال که شاهد و دلیلی برای آنها نیست. اما از همه آراء بهتر و استوارتر (که هماهنگ با معنای سوره شریفه فتح است) قول استاد علامه، شیخ محمد عبده رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

۱- به تفسیر انوار التنزیل، اثر بیضاوی، ج ۲، ص ۵۸۰ نگاه کنید.

۲- به تفسیر کشف، ج ۴، ص ۸۱۲ بنگرید.

در «تفسیر جزء آخر قرآن» است که فرموده: «(وَاسْتَغْفِرُهُ) أَيِ إِسْأَلُهُ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ مَا كَانَ مِنَ الْقَلْبِ وَالضَّجْرِ وَالْحُزْنِ لِتَأْخُرَ زَمَنَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ»^(۱).

یعنی: «از خداوند درخواست کن که تو و یارانت را بپامرزد در آنچه که بر اثر تأخیر در زمان نصرت و فتح، از ناآرامی و دلتنگی و اندوه بر شما رفته است!»
و این قول، موافق با گفتاری است که در تفسیر سوره مبارکه فتح گذشت.

* * *

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ۚ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْبُهُ ۚ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْظَمَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ ۚ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦﴾﴾ محمد ﷺ و همراهانش

این آیه کریمه از شگفتی‌های قرآن مجید شمرده می‌شود و تمام حروف هجاء (الفبای عربی) در خلال آن ملاحظه می‌گردد. در ترجمه و تفسیر این آیه، برخی از مترجمان و مفسران دچار اشتباهات غریبی شده‌اند که از نظر خوانندگان محترم می‌گذرد:

۱- در ترجمه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

بسیاری از مترجمان «محمد» را به عنوان مبتدا و «رسول الله» را خبر مضاف آن پنداشته‌اند و بنابر این مبنا، آیه کریمه را چنین ترجمه کرده‌اند: «محمد، فرستاده خدا است و...» و هیچ

۱- تفسیر القرآن الکریم (جزء عم)، اثر استاد شیخ محمد عبده، ص ۱۷۲.

اندیشه نکرده‌اند که پس از گذشت سالها از رسالت پیامبر ﷺ چگونه خداوند در این سوره شریفه، تازه اعلام می‌فرماید که، محمد، رسول خدا است؟ این اعلام، چه پیام تازه‌ای را دربر دارد؟ و این تأکید برای چه مقصودی لازم آمده است؟ کسی به این پرسشها، پاسخ قانع‌کننده‌ای نداده است. اما آنچه از تدبّر در آیه مبارکه دانسته می‌شود اینست که خبر مبتدای آن، کلمه «أَشِدَّاءُ...» است و «رَسُولُ اللَّهِ» نعت یا عطف بیان و عنوان پیامبر ﷺ به‌شمار می‌آید و ترجمه صحیح آیه چنین است که: «محمد فرستاده خدا و کسانی که با او هستند بر کافران سختگیر و میان خود مهربانند». شگفت آنکه ترجمه نامتناسبی که از آیه شریفه نموده‌اند در برخی از تفاسیر مهم و حتی در کتابهایی چون «إعراب القرآن الکریم» اثر محیی‌الدین درویش راه یافته است. وی می‌نویسد: «مُحَمَّدٌ مُبْتَدَأٌ وَرَسُولُ اللَّهِ خَبْرَةٌ»^(۱)! درحالیکه باید مرقوم داشته باشد: «مُحَمَّدٌ مُبْتَدَأٌ وَرَسُولُ اللَّهِ نَعْتٌ لِمُحَمَّدٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعُطُوفٌ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَخَبْرٌ الْمُبْتَدَأِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ، هُوَ أَشِدَّاءُ»^(۲)!

أغلب ترجمه‌های فارسی نیز متأسفانه بدین اشتباه افتاده‌اند و مثلاً نوشته‌اند: «محمد ﷺ فرستاده خدا است...»^(۳) و «محمد ﷺ رسول خدا است...»^(۴) و «محمد فرستاده خدا است...»^(۵) و «محمد ﷺ فرستاده خدا است...»^(۶) و «محمد ﷺ فرستاده خدا است...»^(۷) و «محمد ﷺ پیامبر الهی است...»^(۱) و «محمد ﷺ پیامبر خداوند

۱- اعراب القرآن الکریم و بیانه، ج ۷، ص ۲۳۹.

۲- به کتاب الجدول فی اعراب القرآن و صرفه، ج ۲۶، ص ۸۸ (پاورقی) بنگرید.

۳- به ترجمه قرآن اثر آقای ناصر مکارم شیرازی نگاه کنید.

۴- به ترجمه قرآن اثر آقای مصباح‌زاده بنگرید.

۵- به ترجمه قرآن، اثر آقای محمد مهدی فولادوند نگاه کنید.

۶- به ترجمه قرآن، اثر آقای جلال‌الدین مجتوبی، بنگرید.

۷- به ترجمه قرآن، اثر آقای حسین استادولی نگاه کنید.

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای بهاء‌الدین خرّمشاهی بنگرید.

است...^(۱) و «محمد ﷺ رسول خدا است...^(۲)» و «محمد ﷺ فرستاده خدا است...^(۳)» و «محمد ﷺ پیامبر خدا است...^(۴)»!! چنانکه در این ده ترجمه مشهور فارسی از قرآن ملاحظه می‌شود، همگی محمد ﷺ را مبتدا و رسول الله را خبر آن تصور کرده‌اند. شگفت آنکه مفسران نامداری همچون صاحب مجمع‌البیان نیز در تفسیر آیه شریفه می‌نویسد: «(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) نَصَّ سُبْحَانَهُ عَلَى اسْمِهِ لِإِزْيَالِ كُلِّ شُبْهَةٍ. تَمَّ الْكَلَامُ هُنَا^(۵). یعنی: «(محمد، فرستاده خدا است) خدای سبحان نام محمد را به صراحت آورده تا هر شبهه‌ای را زائل کند. و کلام در اینجا تمام است!» عجب! مگر پس از فتح مبین، کسی در نام محمد ﷺ شک نموده بود که خدای سبحان به نام او، تصریح فرموده؟! شیخ هر چند در تفسیر این آیه چنان گفته است ولی در ترکیب اول آیه، می‌گوید: «مُحَمَّدٌ مُبْتَدَأٌ وَرَسُولُ اللَّهِ عَطْفُ بَيَانٍ وَالَّذِينَ مَعَهُ عَطْفٌ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَشْدَاءُ خَيْرٌ مُحَمَّدٍ وَمَا عَطْفٌ عَلَيْهِ». و این ترکیب همان معنایی را افاده می‌کند که ما بر آن رفتیم.

۲- در این آیه کریمه چنانکه ملاحظه می‌شود وصف بلیغی از رسول خدا ﷺ و همراهان او شده است. این اوصاف را خدایتعالی از تورات و انجیل نقل می‌فرماید و از آن‌ها به صورت «مَثَل» یاد می‌نماید. مفسران قرآن مجید، اتفاق نظر دارند که واژه «مَثَل» در اینجا به معنای وصف (نعت) به کار رفته است. در آغاز این توصیف می‌خوانیم که: «آنان بر کافران سختگیر و در میان خود مهربانند. ایشان را در حال رکوع و سجود می‌بینی، پیوسته فضل خدا و خشنودی او را می‌جویند. نشانه آن‌ها، اثر سجود در چهره-

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای موسوی گرمارودی بنگرید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای مسعود انصاری نگاه کنید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای ابوالفضل بهرامپور بنگرید.

۴- به ترجمه قرآن، اثر آقای داریوش شاهین نگاه کنید.

۵- تفسیر مجمع‌البیان، ج ۲۶، ص ۷۹.

هایشان است». سپس می‌فرماید: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ (اینست وصف ایشان در تورات). آنگاه با «واو استیناف» مثل تازه‌ای را می‌آورد و می‌فرماید: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾ (و توصیف آنان در انجیل همچون کشته‌ای است که ساقه نازک خود را برآورد پس آن را قوت دهد آنگاه سببر گردد و بر ساقهایش بایستد و کشاورزان را به شگفتی برد...). پیداست که توصیف مذکور در انجیل، غیر از وصفی است که در تورات بیان شده اما بیشتر مترجمان فارسی قرآن، از این امر غفلت نموده‌اند و جمله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ را معطوف به ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ پنداشته‌اند و گمان کرده‌اند که در خلال تورات و انجیل در اینباره، توصیف یکسان و همانندی آمده است در حالی که اگر چنان بود، مناسبت داشت تا لفظ «مَثَلُهُمْ» در آیه، دوباره تکرار نشود و آیه شریفه به- صورت «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ» درآید که به بلاغت قرآن کریم در صنعت ایجاز و حذف، نزدیکتر است.

برای نمونه، یکی از مترجمان مرقوم داشته: «اینست وصفشان در تورات و در انجیل^(۱)». در این عبارت چنانکه می‌بینیم لفظ «مَثَلُهُمْ» تنها یکبار ترجمه شده و مترجم، تورات و انجیل را به یکدیگر عطف نموده است. مترجم دیگر می‌نویسد: «این وصف حال آنها در کتاب تورات و انجیل، مکتوب است^(۲)». سومین مترجم مرقوم داشته: «این توصیف آنان در تورات و توصیف آنان در انجیل است^(۳)». چهارمین نوشته است: «این وصف آنان در تورات و وصفشان در انجیل است^(۴)». پنجمین آورده است: «وصفشان در

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای عبدالمحمد آیتی نگاه کنید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای مهدی الهی قمشه‌ای بنگرید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای ناصر مکارم شیرازی نگاه کنید.

۴- به ترجمه قرآن، اثر آقای مسعود انصاری بنگرید.

تورات و انجیل چنین است^(۱)». ششمین مترجم مرقوم داشته: «وصف آنان در تورات و مانند آن در انجیل به همین گونه است^(۲)». هفتمین مترجم می‌نویسد: «این وصف آنان در تورات و در انجیل است^(۳)»...

چنانکه ملاحظه می‌شود در تمام این ترجمه‌ها، هردو مَثَل را به تورات و انجیل نسبت داده‌اند، باینکه مَثَل نخستین در تورات آمده و دومین مَثَل را در انجیل می‌توان یافت^(۴). البته مفسران آقدم قرآن، بدین معنا پی برده بودند چنانکه ابوجعفر طبری در تفسیرش از قَتاده و ابن زید و ضحاک این معنا را گزارش نموده است^(۵) و خود نیز آن را برگزیده و چنین می‌نویسد:

«أُولَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلٌ مَنْ قَالَ: مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ غَيْرُ مَثَلِهِمْ فِي الْإِنْجِيلِ»^(۶).
یعنی: «از میان دو قول، آنچه به صواب نزدیکتر است، گفتار کسی است که گوید: وصف ایشان در تورات غیر از توصیف آنان در انجیل است». سپس طبری اظهار نظر می‌کند که: اگر مَثَل دوم بر مَثَل نخستین معطوف بود، لازم می‌آمد تا گفته شود: «وَكَزْرَعٍ أُخْرَجِ شَطَأَهُ» با واو عطف!

۳- در پایان همین آیه شریفه، خدای تعالی می‌فرماید: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ بدینصورت وعده آمرزش و پاداشی بزرگ به

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای ابوالقاسم پاینده نگاه کنید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای داریوش شاهین بنگرید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای هوشنگ آبان نگاه کنید.

۴- اوصاف مزبور را برخی از دانشمندان اسلامی با: تورات، سفر تثئیه، باب ۳۲، بند ۱ و ۲ و ۳ و با انجیل (لوقا)، باب ۱۳، بند ۱۸ و ۱۹ تطبیق داده‌اند.

۵- به تفسیر طبری (جامع البیان)، ج ۲۱، ص ۳۲۸ نگاه کنید.

۶- به تفسیر طبری، ج ۲۱، ص ۳۲۹ رجوع شود.

همراهان پیامبر ﷺ می‌دهد. اما مفسران شیعی واژه «مِنْهُمْ» را در این آیه برای «تبعیض» دانسته‌اند و گویند که: عموم همراهان پیامبر ﷺ مشمول آن وعده فرخنده نبوده‌اند! و عموم مفسران سنی «مِنْهُمْ» را برای «بیان» دانسته‌اند و همه یاران رسول ﷺ را آمرزیده و مأجور می‌شمرند! اینک باید به بررسی آراء پردازیم و به یاری آیات قرآنی در اینباره داوری کنیم.

از میان مفسران برجسته شیعه، صاحب تفسیر «المیزان» دو اشکال اساسی به میان آورده تا ثابت کند که واژه «مِنْ» در این آیه برای تبعیض به کار رفته است نه «بیان»!

نخست آنکه می‌نویسد: در قرآن مجید تصریح شده که در میان معاصران رسول خدا ﷺ، جمعی منافق و مرتد و فاسق وجود داشتند (توبه: ۱۰۱ و محمد: ۳۰ و نور: ۲۳). دوم آنکه می‌نویسد: «مِنْ الْبَيِّنَاتِ لَا تَدْخُلُ عَلَى الضَّمِيرِ مُطْلَقاً فِي كَلِمِهِمْ»^(۱). یعنی: «کلمه مِنْ که برای بیان می‌آید هیچگاه بر سر ضمیر در کلام عرب در نمی‌آید!» و از اینجا نتیجه می‌گیرد که لفظ «مِنْهُمْ» در آیه شریفه برای «تبعیض» است!

از این دو اشکال، می‌توان پاسخ داد که اولاً: منافقان و مرتدان در گروهی که با رسول خدا ﷺ همدل و همراهند داخل نیستند و ممکن نیست که از آنان در تورات و انجیل مدح شده باشد. کسانی که ممدوح خداوند گشته‌اند، آنان هستند که درباره ایشان فرمود: يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً (پیوسته فضل خدا و خشنودی او را می‌جویند). ثانياً خود صاحب «المیزان» در تفسیر سوره آل عمران مثالی آورده که نشان می‌دهد «مِنْ بَيِّنَاتِهِ» بر سر ضمیر در کلام عرب می‌آید! و گوید گاهی می‌گوییم: لِيَكُنْ لِي مِنْكَ صَدِيقٌ (باید از تو، دوستی برایم باشد!) و مقصود آنستکه كُنْ صَدِيقاً لِي^(۲) (تو دوست من باش)!

۱- به تفسیر المیزان، ج ۱۸، ص ۳۲۶ نگاه کنید.

۲- به تفسیر المیزان، ج ۳، ص ۴۱۱ بنگرید.

واضحست که در این کلام، **مِنْ** که بر سر ضمیر درآمده از نوع بیانیه است.

با اینحال لازمست که ما «**همراهان رسول**» را بشناسیم. اگر مقصود از آنان، همه معاصران پیامبر ﷺ باشند، در آنصورت البتّه منافقان و مرتدان و فاسقان نیز در میان ایشان وجود داشتند ولی چنانچه مقصود خدایتعالی از **(وَالَّذِينَ مَعَهُ)** همفکران و یاوران رسولش بوده‌اند، در آنصورت خداوند وعده آمزشش و پاداش به همه آنان **(عَلَىٰ مَرَاتِبِهِمْ)** داده است و دلیلی وجود ندارد که به «تبعیض» قائل شویم.

و به نظر ما قول اخیر صحیح است و مراد از **(وَالَّذِينَ مَعَهُ)** همراهان مؤمن پیامبرند چنانکه قرآن کریم گاهی لفظ «مؤمن» را هم بر آنها افزوده و می‌فرماید: **﴿يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾** [التحریم: ۸] یعنی: «روزی را به یاد آر که خدا، پیامبر و همراهان مؤمن او را خوار نسازد، نورشان پیش روی آنان و ازسوی راست ایشان می‌تابد...». و همچنین می‌فرماید: **﴿لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُوْلٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [التوبة: ۸۸]. «اما رسول و همراهان مؤمن او، با مالها و جانهای خویش (در راه خدا) مجاهدت کردند، نیکيها از آن ایشان است و آنان، همان رستگارانند».

در اینجا ذکر دو نکته قابل توجه باقی است. یکی آنکه اگر فرض شود بنا بر آنچه «**غلاة شیعیان**» گفته‌اند: همه همراهان پیامبر ﷺ مرتد شده‌اند و جز عدد انگشت‌شماری از ایشان بر ایمان استوار نماندند، در آنصورت چگونه خداوند سبحان نهضت محمدی ﷺ را به گیاه نازکی تشبیه نموده که رفته رفته بلند و ستر می‌گردد و درختی پُر شاخ و انبوه می‌شود آنچنانکه زارعان را به شگفت می‌برد؟ مگر با ایمان چند تن، می‌توان چنین درخت تناور و عظیمی را به مثل آورد؟ و پیش از نزول قرآن، در تورات و انجیل از آن یاد کرد؟!

دوم آنکه: چون همراهان رسول خدا ﷺ را چنین وصف فرمود که: «بر کافران سختگیر و میان خود مهربانند. ایشان را در حال رکوع و سجود می‌بینی. پیوسته فضل و خشنودی خدا را می‌جویند» چگونه می‌توان گفت: لفظ «مِنْهُمْ» برای تبعیض آمده و کسانی از میان ایشان رستگارند که اهل ایمان و عمل باشند؟! مگر بالاتر از تلاش دائم برای رسیدن به فضل خدا و خشنودی او اندیشه و عملی وجود دارد که در برخی از آنان نبوده و باید به تدارکش پردازند؟!!

و از اینجا است که می‌فهمیم آیه کریمه با اوصافی که برای همراهان با ایمان پیامبر ﷺ آورده، جای تبعیض را باقی نگذاشته و ناگزیر لفظ ﴿مِنْهُمْ﴾ برای بیان آورده شده است.

* * *

نکته‌ای از سوره حُجرات

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ شناسایی اقوام و امتیاز افراد!

گمان برتری نژاد و قوم و فامیل و فخرفروشی بدین امور، موجب می‌شود که آدمی به حقوق دیگران چنانکه لازمست توجه نمی‌کند بلکه گاهی به تزییع و پایمال ساختن حقوق مزبور می‌پردازد. از اینرو در سوره شریفه حُجرات که از سُور اخلاقی قرآن کریم شمرده می‌شود پس از آنکه استهزاء و تحقیر دیگران را تخطئه می‌فرماید و طعن زدن بر سایرین را عملی زشت و ستمگرانه می‌شمرد و مؤمنان را از گمان بد درباره همکیشان بازمی‌دارد و از تجسس در احوال خصوصی آنان نهی می‌کند و غیبت و بدگویی از برادران ایمانی را تقبیح می‌فرماید، سپس به امری اساسی و ریشه‌ای روی می‌آورد بدین معنی که همه انسانهای روی زمین را به اصل واحدی منسوب می‌دارد و می‌فرماید: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ ای مردمان (به هوش باشید^(۱)) که ما همه شما را از مرد و زنی آفریدیم]. بنابراین همگی بنیادی یگانه و ریشه‌ای واحد دارید پس فخرفروشی و مباهات به نژاد و قوم و قبیله را باید فروگذارید و بدانید که اگر فضیلت و برتری نزد خدا برای کسی وجود دارد، تنها در سایه تقوی یعنی خودداری از تجاوز به حقوق دیگران و دوری از نفس پرستی حاصل می‌آید و بس! ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾.

۱- این معنا از «هائ تنبیه» در اُیُّها، فهمیده می‌شود.

بدینصورت، سوره شریفه حجرات گناهانی را که از «خود بزرگ بینی» و تفاخر سرمی - زند، همه را با وجود هم‌ریشگی بشر، ناموجه می‌داند و امتیاز را به «تسلط بر نفس» برمی‌گرداند.

نکته‌ای که در اینجا قابل بحث است در کلمه «لَتَعَارَفُوا» آن را باید جستجو کرد. این کلمه در مقام تعلیل آمده تا علت یا حکمت انشعاب بشر را به دسته‌های بزرگ و کوچک توضیح دهد. مفسران قرآن کریم از سنی و شیعی در اینباره سخن گفته‌اند. به عنوان نمونه: زمخشری در تفسیر «کشاف» می‌نویسد:

«وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا رَتَّبْنَا عَلَى شُعُوبٍ وَقَبَائِلٍ هِيَ أَنْ يَعْرِفَ بَعْضُكُمْ نَسَبَ بَعْضٍ فَلَا يَعْتَرِي إِلَى غَيْرِ آبَائِهِ، لَا أَنْ تَتَفَاخَرُوا بِالآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ»^(۱).

یعنی: «حکمتی که خدایتعالی شمارا به خاطر آن به شکل گروه‌های بزرگ و کوچک^(۲) مرتب نموده آنستکه برخی از شما، نسب شخص دیگر را بشناسد و او را به غیر پدرانش نسبت ندهد، نه آنکه شما به پدران و اجدادتان افتخار کنید».

صاحب تفسیر «المیزان» نیز این معنا را توضیح داده و مرقوم داشته است:

«وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ مُخْتَلِفَةً لَا لِكِرَامَةٍ لِبَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ بَلْ لَأَنْ تَتَعَارَفُوا فَيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَيُنِيمَ بِنَدِيكٍ أَمْرَ اجْتِمَاعِكُمْ فَيَسْتَقِيمَ مُوَاصِلَاتُكُمْ وَمُعَامَلَاتُكُمْ فَلَوْ فُرِضَ ارْتِفَاعُ

۱- تفسیر الکشاف، ج ۴، ص ۳۷۵.

۲- تفاوت میان شعوب و قبائل - چنانکه مفسران آورده‌اند - اینستکه شعوب به قبائل بزرگ اطلاق می‌شود (که در فارسی امروز از آن به «ملت‌ها» تعبیر می‌کنیم درحالیکه ملت در عربی به معنای کیش و آئین است) و قبائل، دسته‌های کوچکتر را می‌گویند. مثلاً گویند: فلانکس از شعب مُضَر و از قبیله تمیم است (به تفسیر طبری، ج ۲۱، ص ۳۸۳ نگاه کنید).

المَعْرِفَةِ مِنْ بَيْنِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ انْفَصَمَ عَقْدُ الاجْتِمَاعِ وَبَادَتْ الْإِنْسَانِيَّةُ فَهَذَا هُوَ الْغَرَضُ مِنْ جَعْلِ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ لَا أَنْ تَتَفَاخَرُوا بِالْأَنْسَابِ وَتَتَبَاهُوا بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ»^(۱).

یعنی: «ما شما را به صورت گروه‌های بزرگ و کوچک قرار دادیم، نه به دلیل برتری برخی از شما بر بعضی دیگر بلکه برای اینکه یکدیگر را بشناسید و با اینکار، امور اجتماعی شما تشکّل پذیرد و پیوندها و معاملاتتان راه درست را ببینید و اگر فرض شود که این شناخت در میان افراد جامعه از میان رود در آن صورت، پیمان اجتماعی گسسته خواهد شد و انسانیت نابود می‌گردد. بنابراین غرض از ایجاد گروه‌ها و دسته‌ها همین امر است نه آنکه به نژادهای خود افتخار کنید و پدران و مادران را مایه مباهات قرار دهید».

در اینجا از توضیح نکته‌ای دقیق غفلت شده و آن نکته اینست که می‌دانیم برای شناسایی افراد، علاوه بر شناخت قوم و قبیله آن‌ها، آشنایی با ویژگی‌های دیگری نیز لازم است و تنها به اینکه فلان شخص مثلاً از کدام گروه و دسته است، نمی‌توان او را بدرستی شناخت یا معرفی کرد. پس چرا در آیه شریفه به ذکر «شعوب و قبائل» بسنده شده و از آوردن بقیه خصوصیات بشر سخنی به میان نیامده است؟! اینجا است که مفسران قرآن باید گره‌گشایی کنند تا پیام اصلی آیه کریمه را دریابند و گرنه، توضیح اینکه اگر افراد، یکدیگر را نشانند، نظام روابط اجتماعی برهم می‌خورد، در حکم توضیح واضحات شمرده می‌شود. حقیقت آنستکه این آیه شریفه هنگامی نازل شده که عربها به‌ویژه قریش به نژاد و قبیله خود سخت می‌بالیدند و آندو را مایه فخر و فروشی قرار داده بودند، در چنان محیطی، قرآن کریم پیام می‌دهد که عرب بودن یا پدران قریشی داشتن، مایه افتخار نیست زیرا همه نژادها و تیره‌های بشری به آدم و حوا می‌رسند و همگی شاخه‌های یک درخت هستند. اما امتیاز حقیقی را باید در سایه «تقوی» جستجو کرد. این همان پیام ارجمند و پایداری است که بشر همواره بدان نیاز داشته و دارد به‌ویژه که می‌دانیم لازمه «تقوی» علم و آگاهی

به نیک و بد و جذب نیکی و دفع بدی شمرده می‌شود. ضمناً مناسب است که بدانیم رسول خدا ﷺ بنا به گزارش مورخان و سیره‌نویسان، در «فتح مکه» همین آیه کریمه را در حضور سران قریش قرائت نمود و اعلام داشت:

«يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظُمُهَا بِالْأَبَاءِ. النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ. ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ»^(۱)

«ای گروه قریش! همانا خدای بزرگ، تکبر دوران جاهلیت و بزرگ‌نمایی به پدران را در آندوره، از شما زدود. همه مردم از آدم هستند و آدم از خاک آفریده شده است. سپس رسول اکرم ﷺ آیه شریفه (یا ایها الناس انا خلقناکم من ذکر و انثی...) را تلاوت نمود.

* * *

۱- تاریخ الطبری، ج ۲، ص ۴۵۹ و سیره ابن هشام (السیره النبویة)، ج ۴، ص ۵۲.

نکته‌ای از سوره واقعه

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿۷۷﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿۷۸﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿۷۹﴾﴾ قرآن

کریم و فرشتگان پاک!

از نکات قابل توجه در این آیات شریفه آنستکه گروهی از فقهاء از آیات مزبور چنین برداشت نموده‌اندکه بدون طهارت شرعی (یعنی داشتن غسل یا وضوء و یا تیمم) نباید مصحف شریف را مس کرد! البته این رأی با «علم فقه» پیوند دارد و لازمست که ادله فقهی را درباره آن بررسی نمود ولی از حیث تفسیرقرآن، چنین حکمی از آیات کریمه برنمی‌آید و برخی از مترجمان قرآن که آیات فوق را به صورتی برگردانده‌اند تا حکم شرعی مزبور از آن به دست آید، متأسفانه دچار اشتباه شده‌اند. به عنوان نمونه، یکی از ایشان مرقوم داشته است: «هرآینه این قرآنی است گرامی قدر. در کتابی مکنون. که جز پاکان دست بر آن نزنند»^(۱) دیگری نوشته است: «این (پیام) قطعاً قرآنی است ارجمند. در کتابی نهفته. که جز پاک‌شدگان دست بر آن نزنند»^(۲). سوّمی مرقوم نموده: «... جز پاکان حق ندارند به آن دست بزنند»^(۳)! این ترجمه‌ها دقیق نیست زیرا مترجمان محترم، «فعل نفی» را به صورت «فعل نهی» برگردانده‌اند. یعنی لا يَمَسُّهُ (دست بر آن نمی‌زنند) را به شکل لا يَمَسُّهُ (دست بر آن نزنند) ترجمه نموده‌اند که خطای آشکاری است. اما مفسران و فقهائی که فرموده‌اند: جایز است فعل نفی یا جمله خبری را در اینجا بر معنای

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای عبدالمحمد آیتی بنگرید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای محمدمهدی فولادوند نگاه کنید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر خانم طاهره صفارزاده بنگرید.

نهی حمل کنیم و حکم مزبور را از آن استخراج نماییم! قولشان استوار نیست زیرا اولاً: این جواز، موکول به وجود قرینه صارفه در کلام است ولی در اینجا قرینه‌ای وجود ندارد تا بتوان از ظاهر آیه کریمه عدول کرد. ثانیاً: ضمیر مفرد در «لا یمسَّهُ» بنا بر قاعده الأقرَبُ یمنعُ الأبعدُ به «کتاب مکنون» بازمی‌گردد، نه به قرآن کریم. یعنی جز پاکان، کسی به آن کتاب نهفته راه ندارد و آن را مس نمی‌کند. ثالثاً: «مُطَهَّرُونَ» کسانی هستند که ذاتاً پاکند اما اشخاصی که غسل می‌کنند یا وضوء می‌گیرند (یعنی تطهیر می‌کنند) درحقیقت آنان را باید «مُتَطَهَّرُونَ» نامید. به همین مناسبت از زنان بهستی در قرآن کریم به صورت «أزواجٍ مُطَهَّرَةٍ» یاد شده ولی از عمل زنانی که پس از عادات ماهانه خود را پاک می‌سازند به: «فَإِذَا تَطَهَّرْنَ» تعبیر فرموده است از همینرو در تفسیر جامع البیان اثر طبری گزارش شده که عمده مفسران سلف چون: ابن عباس و سعید بن جبیر و عکرمه و مجاهد و ابی‌العالیه و جابر بن زید بر این قول رفته‌اند که مطهرون، همان فرشتگان پاکند^(۱) و از میان ایشان جبریل علیه السلام قرآن کریم را از کتاب مکنون (یا لوح محفوظ) بر قلب پیامبر صلی الله علیه و آله و سلم نازل کرده است. ابن زید (که مفسر توانایی است) گفته که این آیات در برابر پندار مشرکان نازل شده است، آن‌ها می‌گفتند: شیاطین، قرآن را بر محمد صلی الله علیه و آله و سلم نازل کرده‌اند! خدای تعالی خبر داده که: شیاطین بر چنین کاری توانایی ندارند و این عمل درخور ایشان نیست (بلکه فرشتگان پاک مأمور رساندن وحی خداوندی هستند) چنانکه در سوره شعراء می‌فرماید: ﴿وَمَا تَنزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿۲۱۰﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿۲۱۱﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿۲۱۲﴾﴾^(۲) [الشعراء: ۲۱۰ - ۲۱۲]. پس اساساً بحث از

۱- به تفسیر جامع البیان، ج ۲۲، ص ۳۶۴ به بعد نگاه کنید.

۲- تفسیر جامع البیان، ج ۲۲، ص ۳۶۳.

«دست نهادن بر مصحف» در اینجا مطرح نیست بلکه آیات شریفه از کتاب پنهانی خبر می‌دهند که منشأ نزول قرآن کریم است و جز فرشتگان پاک، کسی بدان دسترسی ندارد.

اما از مفسران جدید، صاحب تفسیر «المیزان» ضمیر را در «لَا يَمَسُّهُ» به «كِتَابِ مَكْنُونٍ» یا قرآنی که در آن است مربوط می‌داند و می‌نویسد: «والمعنى: لا يَمَسُّ الْكِتَابِ الْمَكْنُونُ الَّذِي فِيهِ الْقُرْآنُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ أَوْ لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ الْكِتَابُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»^(۱). ولی این مفسر محترم کلمه «مُطَهَّرُونَ» را علاوه بر فرشتگان پاک، با اهل بیت رسول خدا ﷺ نیز تطبیق نموده و مرقوم داشته است: «لَا وَجَهَ لِتَخْصِصِ الْمُطَهَّرِينَ بِالْمَلَائِكَةِ كَمَا عَنْ جُلِّ الْمُسْرِينَ، لِكَوْنِهِ تَقْيِيداً مِنْ غَيْرِ مُقَيَّدٍ»^(۲). (اختصاص دادن مُطَهَّرِينَ به فرشتگان، وجهی از صواب ندارد چنانکه از بزرگان تفسیر رسیده است، زیرا این امر، تقییدی به شمار می‌رود بدون آنکه قیدزنده‌ای در آیه باشد). در پاسخ ایشان باید گفت: اگر کتاب مکنون در دسترس رسول خدا ﷺ بود، دیگر نیازی نبود تا جبریل امین عليه السلام قرآن کریم را از آنجا بر او نازل کند، پس هنگامی که رسول گرامی عليه السلام به کتاب مکنون دسترسی نداشت چگونه کتاب مزبور در دسترس اهل بیت پاک وی قرار گرفته بود؟! مگر در اسلام، مقام و تقرب کسی به خداوند، از خاتم انبیاء عليه السلام بالاتر است؟! *

۱- تفسیر المیزان، ج ۱۹، ص ۱۵۶.

۲- تفسیر المیزان، ج ۱۹، ص ۱۵۶.

نکته‌ای از سوره حدید

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ^ط
 وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ^ع
 إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٧﴾﴾ خداوند در مقام غیب!

در این آیه کریمه خدایتعالی می‌فرماید: «همانا فرستادگانمان را با دلائل روشن فرستادیم و با آن‌ها کتاب و میزان نازل کردیم تا مردم به عدالت قیام کنند...». کلمه «میزان» را مفسران قرآن از قول قتاده و مجاهد، بدرستی به معنای «عدل» تفسیر نموده‌اند چنانکه کلمه مزبور در سوره شوری نیز به‌همراه کتاب ذکر شده و فرموده است: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشوری: ۱۷] و میزان همان قوانین عادلانه‌ای به‌شمار می‌آید که خدایتعالی در کتابش فرو فرستاده تا میان مردم به عدل و انصاف داوری شود. ابوجعفر طبری در اینباره می‌نویسد: «وَأَنْزَلَ الْمِيزَانَ وَهُوَ الْعَدْلُ لِيُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالْإِنصَافِ وَيُحْكَمَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ»^(۱). بنابراین، عطف میزان به کتاب در سوره حدید و شوری در حکم عطف خاص بر عام شمرده می‌شود زیرا آن قوانین دادگرانه، در ضمن کتاب خداوند آمده است. پس از ذکر کتاب و میزان در این سوره شریفه، از «حدید»

۱- تفسیر طبری، ج ۲۰، ص ۴۸۹.

یعنی آهن سخن به میان آمده (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ^(۱)) و مناسبتش اینست که اگر قوه مجریه در کار نباشد، قوانین عدل به اجرا درنخواهد آمد و دفاع از عدالت در برابر دشمنان حق و متجاوزان به حقوق مظلومان، صورت نمی‌گیرد. پس اشاره به آهن، یادآور جنگ و مبارزه حق در برابر ظلم و باطل، به همراه سلاح آهنین است. در اینجا قرآن کریم جمله‌ای تعلیلی را آورده که عطف به «لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» شده است و می‌فرماید: «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ». این جمله چه مفهومی را می‌رساند؟ و چرا یاری خدا و رسولانش را با «غیب» پیوند داده است؟ متأسفانه غالب مترجمان قرآن در اینباره دچار خطا شده‌اند. مثلاً یکی از ایشان مرقوم داشته است: «تا سرانجام خداوند معلوم بدارد که چه کسی در **نهران** (جانب) او و پیامبرانش را یاری می‌دهد^(۲)». واضحست که یاری خدا و پیامبرانش با **سلاح آهنین**، یادآور جهاد و مبارزه علنی است، نه کار نهانی! مترجمان دیگر نیز اغلب بر همین قول رفته‌اند و آیه شریفه را به همان صورت ترجمه نموده‌اند. چنانکه یکی از ایشان می‌نویسد: «تا خدا معلوم دارد چه کسی در **نهران** (دین) او و پیامبرانش را یاری می‌کند.^(۳)» سوّمی مرقوم داشته است: «تا خداوند کسی را که (دین) او و رسولش [!] را در **نهران** یاری می‌کند، معلوم بدارد^(۴)». چهارمی نوشته است: «تا خداوند معلوم کند آنکس را که او و فرستادگانش را در **نهران** یاری می‌دهد^(۵)». مترجم پنجم مرقوم داشته: «تا خدا

۱- مراد از: فروفرستادن آهن، پدیدآوردن آنست چنانکه درباره چهارپایان نیز فرمود: ﴿أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَاتٍ﴾ (الزُّمَر: ۶). در عین حال می‌تواند اشاره به نعمت و موهبت الهی باشد که از مقام بالاتر یعنی خدای سبحان به بندگان رسیده است.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای بهاء‌الدین خرّمشاهی نگاه کنید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای علی موسوی گرمارودی بنگرید.

۴- به ترجمه قرآن، اثر آقای مسعود انصاری نگاه کنید.

۵- به ترجمه قرآن، اثر آقای حسین استادولی بنگرید.

معلوم بدارد چه کسی در **نهران** او و پیامبرانش را یاری می‌کند^(۱)». ششمین مترجم نوشته است: «تا بداند خدا کسی را که نصرت دهد خدا و پیغمبران او را **غائبانه**^(۲)». هفتمین مترجم مرقوم داشته: «و تا خدا معلوم بدارد چه کسی در **نهران**، او و پیامبرانش را یاری می‌کند^(۳)»...

در تمام این ترجمه‌ها از این امر غفلت شده که با داشتن سلاح آهنین، به جای **جهاد** در راه خدا و مبارزه **آشکار** با بی‌عدالتی، چگونه خدا و رسولش را در **نهران** باید یاری کرد؟!؟

اما **مفسران** قرآن کریم این مشکل را حل نموده‌اند و از قول **ابن عباس** آورده‌اند که در تفسیر آیه شریفه گفت: **يَنْصُرُونَهُ وَلَا يُبْصِرُونَهُ**. یعنی «آنان (خدا و رسولانش را) یاری می‌دهند بی‌آنکه او را ببینند!» و حق همین است ولذا **زمخشری** آیه کریمه را بر مبنای قول مزبور چنین تفسیر نموده است: «وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِاسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ وَالرَّمَاكِحِ وَسَائِرِ السَّلَاحِ فِي مَجَاهِدَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ بِالْغَيْبِ غَائِبًا عَنْهُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَجَلَهُ: يَنْصُرُونَهُ وَلَا يُبْصِرُونَهُ»^(۴).

یعنی: «تا کسانی که خدا و رسولانش را با به‌کار بردن شمشیر و نیزه و سایر سلاحها در جهاد با دشمنان دین، یاری می‌کنند، خداوند (در میدان عمل) آنها را بشناسد»^(۵)

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای محمدمهدی فولادوند نگاه کنید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر محدث دهلوی بنگرید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای ابوالفضل بهرام‌پور نگاه کنید.

۴- تفسیر کشاف، اثر زمخشری، ج ۴، ص ۴۸۱.

۵- این شناسایی، علم فعلی است و کنایه از جداکردن مجاهدان دین و مؤمنان راستین از سایرین است چنانکه فرمود: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» (آل عمران:

۱۷۹) و با علم پیشین خداوند منافات ندارد.

درحالیکه از آنان پنهان است، چنانکه ابن عباس رضی الله عنهما فرمود: آن‌ها خدا را یاری می‌کنند بی آنکه او را ببینند».

روشن است که این آیه شریفه به‌طور ضمنی، در مقام مدح یاوران دین برآمده، همان مجاهدانی که با وجود عدم رؤیت خدای سبحان، به یاری آئین او برخاسته‌اند و در میدانهای نبرد، از حق دفاع می‌کنند و این معنا، مدح بلیغی را دربر دارد.

مفسرانی که پس از زمخشری آمده‌اند، غالباً سخنان وی را دراینباره اقتباس نموده‌اند چنانکه شیخ طبرسی در تفسیر «جوامع الجامع» و فخررازی در «مفاتیح الغیب» و قاضی بیضاوی در «أنوار التنزیل» چنین کرده‌اند.^(۱)

از مفسران جدید، برخی مانند مرحوم سید قطب، دراینباره به سکوت گذرانده‌اند و برخی دیگر همچون علامه، صاحب تفسیر المیزان، در توضیح آیه دو وجه را ذکر نموده‌اند چنانکه در «المیزان» می‌خوانیم:

«الْمُرَادُ بِنَصْرِهِ وَرُسُلِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ دِفَاعاً عَنِ مَجْتَمَعِ الدِّينِ وَبَسْطاً لِكَلِمَةِ الْحَقِّ، وَكَوْنُ النَّصْرِ بِالْغَيْبِ، كَوْنُهُ فِي حَالِ غَيْبِهِ مِنْهُمْ أَوْ غَيْبِهِمْ مِنْهُ»^(۲).

یعنی: «مراد از نصرت خدا و رسولانش، جهاد در راه او و دفاع از جامعه دینی و گسترش دعوت حق است و از نصرت در غیب مراد آنستکه یاری آنان درحالی روی می‌دهد که خدایتعالی از ایشان پنهان است یا ایشان از او غایب‌اند»^(۳)!

و برخی مانند استاد وهبة الزحیلی و استاد صابونی، قول ابن عباس را پسندیده و نقل کرده‌اند.^(۱) و بعضی همچون علامه ابن عاشور «بالغیب» را متعلق به «یَنْصُرُهُ» پنداشته و

۱- به «جوامع الجامع» ج ۴، ص ۲۵۱ و مفاتیح الغیب، ج ۸، ص ۱۰۵ و أنوار التنزیل، ج ۲، ص ۴۵۷ نگاه کنید.

۲- تفسیر المیزان، ج ۱۹، ص ۱۹۸.

۳- مقصود صاحب تفسیر، از این تعبیر معلوم نشد.

آن را به معنای «جهاد مخلصانه» تفسیر نموده‌اند و گفته‌اند: «وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالِدَّفَاعِ عَنِ الدِّينِ بِمَحْضِ الإِخْلَاصِ»^(۲)! ولی مگر اخلاص، با پنهان‌کاری ملازمت دارد و مثلاً مسلمانانی که در صدر اسلام علناً به جهاد برمی‌خاستند و مصداق بارز این آیه شریفه بودند، هیچ‌کدام اهل اخلاص شمرده نمی‌شدند؟! به‌علاوه، در کدام آیه قرآن از «یاری مخلصانه» به «نصرت غائبانه» تعبیر شده است؟

*

*

*

۱- التفسیر المنیر، ج ۲۸، ص ۳۳۱ و صفوة التفسیر، ج ۳، ص ۳۱۱

۲- به تفسیر «التحریر و التَّنویر» ج ۲۷، ص ۴۱۸ نگاه کنید.

نکته‌ای از سوره جُمُعَه

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿۱۰۰﴾﴾^(۱) تقدیم و تأخیر در واژه‌ها!

گاهی در آیات شریفه قرآن، برخی از واژه‌ها بر بعضی دیگر پیشی گرفته‌اند ولی بیشتر مفسران توجهی بدانها نکرده‌اند. از جمله در این آیه کریمه از سوره جمعه در آغاز آیه، کلمه «تجارة» بر «لهو» مقدم شده ولی در پایان آیه کریمه، واژه «لهو» جلوتر آمده است! آیا این امر دلیلی دارد؟ تا آنجا که ما تفحص کرده‌ایم کسی از مفسران جز ابن عطیه اندلسی از سر این تقدیم و تأخیر بحث نکرده است و آنانکه پس از وی آمده‌اند (مانند ابوحنیان در تفسیر البحرالمحیط^(۱)) از او اقتباس و حکایت نموده‌اند. ابن عطیه در «المحرر الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز» می‌نویسد:

«تَأَمَّلْ أَنْ قَدِّمْتَ التِّجَارَةَ مَعَ الرَّؤْيَةِ لِأَنَّهَا أَهَمُّ، وَأَخَّرْتَ مَعَ التَّفْضِيلِ لِتَقَعِ النَّفْسُ أَوْلًا عَلَى الْأَيْنِ»^(۲).

یعنی: «بیاندیش که تجارت به همراه رؤیت در (إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً) بر لهو پیش افتاده است زیرا که از آن مهمتر به‌شمار می‌رود ولی (در پایان آیه) به همراه ذکر برتری آن، به تأخیر آمده است زیرا که نفس آدمی در ابتدا به آنچه آشکارتر باشد نظر می‌افکند».

۱- البحر المحیط، ج ۸، ص ۲۶۹.

۲- المحرر الوجیز، ج ۱۴، ص ۴۵۱.

ما توجه دقیق ابن عطیه را تحسین می‌کنیم (به‌ویژه که ندیده‌ایم بسیاری از مفسران نامی بدین تقدیم و تأخیر توجه نموده باشند) باوجود این، پاسخ وی را کافی نمی‌دانیم. به‌نظر ما آغاز آیه شریفه در مقام مذمت از نمازگزارانی است که چون دیدند مرد بازرگانی کالای تازه‌ای به مدینه آورده و با طبل و سُرنا، مردم را به خرید متاعش فرامی‌خواند^(۱)، روی از نماز برتافتند و به‌سوی تجارت شتافتند (انْفَضُّوا إِلَيْهَا)! و معلوم است که تجارت و سود آن، مهم‌تر از آوای دُهلِ شمرده می‌شود. پس چون مقام آیه شریفه، مقام مذمت و بیان ضعف ایمان برخی از نمازگزاران است در ابتدای کلام، امر سودمندتر یعنی «تجارت» را یاد می‌نماید و سپس به ذکر «لهو» می‌پردازد تا نشان دهد که نه تنها تجارت بلکه سرگرمی ساده‌ای نیز آنان را از نماز جمعه بازمی‌دارد! أمّا در پایان آیه شریفه که به ثواب نماز مزبور عنایت فرموده، پاداشِ الهی را بر آن نماز مبارک، از لهو بلکه از تجارت هم برتر می‌شمرد و اگر تجارت را در اینجا همچون آغاز آیه، مقدم می‌داشت، بیان آیه کریمه از صواب دور می‌افتاد زیرا گفتن اینکه: ثواب خداوند، برتر از «تجارت» است و بر «لهو» هم برتری دارد! از مقوله توضیح و اصحاح شمرده می‌شود و مایه تنزل کلام بود.^(۲) لذا سخن را ترقی می‌دهد گویی می‌فرماید: «قُلْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو بَلْ مِنَ التَّجَارَةِ» (بگو پاداش خدا از لهو برتر، بلکه از تجارت هم والاتر است).

از اینجا بدین نتیجه دست می‌یابیم که هرکلمه‌ای در قرآن مجید، چه بسا جایگاه و مقام ویژه‌ای دارد که اگر بدان توجه شود، نکته‌ای تازه و مفهومی بدیع را آشکار می‌سازد **وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ**.

* * *

۱- بازرگان مزبور چنانکه نوشته‌اند دحیه کلبی بوده است که در روز جمعه کالای تازه‌اش را در مدینه عرضه کرده بود و مفسران در این شأن نزول، اتفاق نظر دارند.

۲- مانند اینکه کسی بگوید: ثروت من از قارون زیادتر است. سپس اضافه کند: از فلان بقال هم بیشتر است.

نکاتی از سوره قلم

﴿رَبِّهِ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿۱﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿۲﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿۳﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿۴﴾﴾ سوگند به قلم و نگارش

۱- در این سوره مبارکه، خدایتعالی به قلم و نگارش سوگند یاد می‌نماید و در «جواب قسم» از رسولش تهمت جنون را دفع می‌کند و پاداشی پایان‌ناپذیر را - در برابر ابلاغ رسالت و رنج آن - بدو وعده می‌دهد و تأکید می‌فرماید که (برخلاف تهمت دشمنان) تو بر خوی بزرگی - که نشانه کمال خردمندی است - استوار هستی. اما اینکه خداوند به کدام قلم و چه نوشتاری سوگند یاد نموده است؟ مفسران آراء گوناگونی در این باره آورده‌اند زیرا هر قلمی درخور سوگند خدا نیست و به هر نوشته‌ای حقتعالی قسم نمی‌خورد. چه بسا نوشته‌هایی که بر ضد خدا و رسولان و آیات خدا ثبت شده‌اند! از اینرو ابوجعفر طبری در تفسیرش به ابن عباس نسبت می‌دهد که وی گفته: مراد از قلم در این آیه شریفه «قلم تقدیر» است، قلمی که آنچه پیش آید تا روز رستاخیز، همه را رقم زده است: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَكَانَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَجَرَىٰ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(۱). اما اولاً در سخن ابن عباس، قلم تقدیر با آیه شریفه تطبیق داده نشده تا گفته شود مراد از آنچه در سوره قلم آمده، همان قلم تقدیر است. ثانیاً قلمی که در این آیه بنظر می‌رسد، نویسندگانی دارد (وَ مَا يَسْطُرُونَ) و با قلم تقدیر که (شاید معنای مجازی داشته باشد) خود، رویدادها را بدون نویسندگی ثبت کرده است (فَجَرَىٰ بِمَا هُوَ كَائِنٌ) هماهنگ نیست. از اینرو شیخ طبری در

۱- تفسیر طبری، ج ۲۳، ص ۱۴۷.

مجمع البیان، نویسندگان مزبور را فرشتگان خدا می‌شمرد و می‌نویسد: «أَيُّ مَا يَكْتُبُهُ الْمَلَائِكَةُ مِمَّا يُوحَى إِلَيْهِمْ وَمَا يَكْتُبُونَهُ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ»^(۱). یعنی: «مقصود، چیزهایی است که فرشتگان هرآنچه از وحی به آنان می‌رسد، می‌نگارند و نیز اعمال فرزندان آدم را می‌نویسند». البته به نگارش فرشتگان در قرآن مجید تصریح شده چنانکه می‌فرماید: ﴿كَأَلَّا إِنهَا تَذَكُّرٌ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝﴾^(۲) [العَبَس: ۱۱-۱۶] و نیز می‌فرماید: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾^(۳) [الْإِنْفِطَار: ۱۰-۱۲]. با اینهمه ظاهراً قرآن کریم در سوره قلم از آنچه «انسان» به نگارش درمی‌آورد، سخن می‌گوید، نه از آنچه «فرشتگان» ثبت و ضبط می‌کنند. به قرینه اینکه در سوره عَلَق (سوره‌ای که به لحاظ زمان نزول بسیار نزدیک به سوره قلم شمرده می‌شود) آمده است: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾^(۴) [الْعَلَق: ۴-۵]. اما همانطور که گذشت، انسانها گاهی سخنانی برخلاف خدا و رسولان وی و آیات الهی به نگارش درمی‌آورند که درخور سوگند خوردن نیستند زیرا معمولاً قسم به اشیاء مقدّس و نعمت‌های ارزشمند یاد می‌شود، نه به نوشتارهایی که از کفر و تباهی جانبداری می‌نمایند! بنابراین، کلمه «ما» در «مَا يَسْطُرُونَ» یا موصوله به‌شمار می‌آید و فاعل در يَسْطُرُونَ، نویسندگان وحی در صدر اسلام و امثال ایشانند و یا کلمه مزبور را باید مصدریّه دانست و جمله پس از آن را به تأویل مصدر بُرد به‌ویژه که فاعل کتابت در جمله، معرفی نشده است. در اینصورت ترجمه آیه شریفه به‌چنین صورت درمی‌آید:

۱- تفسیر طبرسی، ج ۲۷، ص ۲۲.

۲- «چنین نیست، این تذکری است. پس هرکس خواهد از آن پند گیرد. در نامه‌هایی گرامی داشته شده. بلندمرتبه و پاکیزه. به‌دست نویسندگانی گرامی و نیکوکار».

۳- «همانا بر شما نگاهبانانی هستند. بزرگوارانی که نویسندگانند. آنچه را که می‌کنید، می‌دانند».

۴- «همان‌کسی که به‌وسیله قلم پیام‌وخت. چیزهایی به‌انسان آموخت که آن‌ها را نمی‌دانست».

«سوگند به قلم و نگارش» (طبری و طبرسی نیز هردو وجه را در اعراب آیه آورده‌اند^(۱)). و البته نعمت نگارش^(۲) یکی از نعمتهای ارجمند خداوند است که به انسان ارزانی داشته و استعدادش را در او نهاده است، خواه آدمی از آن به‌خوبی سود برد یا از آن به‌ناروا بهره گیرد. لذا در سوره شریفه بقره به‌مناسبت «کتابت سند به‌هنگام وام گرفتن» می‌فرماید: ﴿وَلَا يَأَبَّ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ۲۸۲] یعنی: «نویسنده ازاینکه بنویسد، خودداری نرزد چنانکه خدا به او آموخته است».

۲- آیه شریفه ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ را برخی از مترجمان قرآن بدین صورت ترجمه نموده‌اند که: «و بی‌گمان تو را پاداشی بی‌منت خواهد بود^(۳)!» و این ترجمه، درست نیست زیرا خدایتعالی در دنیا و آخرت بر همه منت دارد و لطف و فضل او است که سبب رستگاری انسان می‌شود چنانکه فرمود: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ۱۷] یعنی: «بلکه خدا بر شما منت می‌نهد که به ایمان شما را رهبری کرده است» و این منت و لطف، پیامبران خدا را نیز دربرمی‌گیرد همانگونه که حقتعالی به موسی علیه السلام فرمود: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ۳۷] «و همانا بار دیگر بر تو منت نهادیم» و یا از قول یوسف علیه السلام آمده که گفت: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [یوسف: ۹۰] «به یقین خدا بر ما منت نهاد». بنابراین برای ترجمه «غیر مَمْنُون» لازمست به معنای دیگر لغت «مَنَّ» رجوع کرد که در زبان عرب به‌معنای «قَطَع» می‌آید و از همینرو،

۱- به تفسیر طبری، ج ۲۳، ص ۱۴۸ و تفسیر طبرسی (مجمع‌البیان)، ج ۲۷، ص ۲۲ نگاه کنید.

۲- اگر سوگند به «نگارش» یاد شده باشد، نگارش قلم تقدیر و قلم فرشتگان الهی نیز مشمول آن می‌گردد ولی مناسبتر آنستکه در قرآن از نعمتهای خداوند به انسان سخن رفته باشد که یکی از مهمترین آن‌ها، نعمت قلم و کتابت است.

۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای محمد مهدی فولادوند و ترجمه قرآن، اثر آقای داریوش شاهین بنگرید.

ریسمان پاره شده را «حَبْلٌ مَنِينٌ» گویند و در قرآن کریم، «أَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ» مرادف با «عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ»^(۱) آمده به معنای بخششی قطع نشدنی! و مراد از آنچه در سوره قلم آمده نیز همین است که «تو را پاداشی قطع نشدنی و پایدار خواهد بود» چنانکه بزرگان مفسران و اکثر مترجمان بر این قول رفته‌اند.

اما اینکه برخی از مترجمان، آیه شریفه را به «پاداش بی‌منت» ترجمه نموده‌اند احتمال دارد که در این باره از ابومسلم بحر اصفهانی پیروی کرده باشند که بنا به گزارش شیخ طبرسی در «مجمع البیان» در تفسیر آیه مذکور گفته است: «أَيُّ لَا يُمْنٌ بِهِ عَلَيْكَ»^(۲)! یعنی: «بدان پاداش، بر تو منت نهاده نمی‌شود!» و ناگفته نماند که عیب کار ابومسلم در تفسیر قرآن اینست که وی تاحدی به روش «تأویل‌گرایی» تمایل دارد و به شواهد آیات توجه کافی نمی‌نماید.

* * *

۱- سوره هود، آیه ۱۰۸.

۲- مجمع البیان، ج ۲۷، ص ۲۳.

نکته‌ای از سوره معارج

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ أَلَلِّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾

﴿٢﴾ زمان وقوع عذاب!

سؤال کردن در قرآن مجید به معانی گوناگون آمده است و در این سوره شریفه به - معنای «درخواست و طلب» می‌آید و می‌فرماید: سائلی (ازرسول ما) عذابی را طلب نمود که رخ خواهد داد و هیچ کافری از آن رهایی نمی‌یابد و بازدارنده‌ای برای دفع آن وجود ندارد. این مضمون در قرآن کریم از قول مخالفان بارها گزارش شده که به پیامبر خدا ﷺ می‌گفتند. اگر راست می‌گویی عذاب موعود را بیاور و به ما بنما. و این درخواست از راه انکار و استهزاء صورت می‌گرفت و به قول قرآن مجید، **استعجال** در عذاب می‌نمودند چنانکه می‌فرماید: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [العنكبوت: ۵۴] یعنی: «عذاب را باشتاب از تو می‌خواهند و همانا دوزخ برکافران احاطه دارد (و از عذاب آن نتوانند گریخت)». باز می‌فرماید: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ تُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ۴۷] یعنی: «و عذاب را باشتاب از تو می‌خواهند و خدا وعده خود را هرگز خلاف نخواهد کرد». امثال این آیات به‌ویژه در سوره‌های مکی یافت می‌شوند.

اما در تفاسیر شیعی مانند «مجمع البیان» اثر ابوعلی طبرسی و «روح الجنان» اثر ابوالفتح رازی و اخیراً در تفسیر «المیزان» روایتی از امام صادق علیه السلام آورده‌اند که فرمود: آیات نخستین از سوره معارج، پس از حادثه غدیر خم نازل شده‌اند و سبب نزول آیات شریفه آن بود که **نعمان بن حارث** نزد رسول خدا ﷺ آمد و گفت: ما را به توحید خدا و

رسالت خود فراخواندی و ما آنها را پذیرفتیم. آنگاه دستور جهاد و حج و روزه و نماز و زکات به ما دادی، همگی را قبول کردیم. اینک از آنهمه راضی نشدی و این جوان (علی علیه السلام) را بر ما نصب کردی! آیا اینکار از سوی تو انجام گرفت یا خدا بدان فرمان داد؟ رسول صلی الله علیه و آله فرمود: سوگند به خدای یگانه که این امر از سوی خدا بود. نعمان روی از رسول اکرم صلی الله علیه و آله برتافت و گفت: خداوندا اگر این کار، حقاقت و از سوی تو است، سنگی از آسمان بر سر ما ببار! هماندم سنگی بر سر وی فرود آمد و او را کشت. سپس خداوند این آیات ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ را نازل فرمود. ^(۱)

این شأن نزول با مشکلاتی چند روبرو است. از جمله آنکه: سوره شریفه معارج سوره‌ای مکی به شمار می‌آید و سالها پیش از حادثه مبارک غدیر خم نازل شده است. ولی صاحب تفسیر المیزان این اشکال را وارد نمی‌داند و درباره آن مرقوم داشته: «لا عِبْرَةَ بِهَا نُسَبَ إِلَى اتِّفَاقِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ عَلَى أَنَّ الْخِلَافَ ظَاهِرٌ» ^(۲). یعنی: «مکی بودن این سوره که به توافق مفسران نسبت داده شده اعتباری ندارد با وجود آنکه اختلاف در میان آنان آشکار است». این پاسخ کافی نیست زیرا صدر سوره معارج به اتفاق مفسران در مکه نازل شده است و اگر خلافی است در برخی از آیات ذیل سوره پیش آمده (هرچند اختلاف مزبور نیز به نظر ما بی‌وجه است) و اگر قرار باشد که برخی از آیات این سوره در مدینه نازل شده باشند لازمست که پس از آیات مکی بیابند نه بالعکس! و اگر کسی به چنین ادعائی برخیزد، نظم قرآن کریم را انکار نموده و به نوعی از تحریف کلام الله قائل شده است. از همه مهمتر آنکه آیه شریفه از عذابی یاد می‌نماید که به عموم کافران می‌رسد چنانکه می‌فرماید: ﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿١﴾﴾ نه خصوص یک‌تن که حادثه غدیر را انکار نمود و سنگ بر سرش فرود آمد! ضمناً عذاب مذکور به تصریح آیات همین سوره،

۱- رجوع شود به: مجمع البیان، ج ۲۹، ص ۵۴ و روح الجنان، ج ۵، ص ۳۹۴ و المیزان، ج ۲۰، ص ۷۹.

۲- تفسیر المیزان، ج ۲۰، ص ۷۳.

عذاب قیامت است که عموم منکران را دربر می‌گیرد چنانکه سیاق آیات بر آن دلالت دارند (به آیات مزبور تا آیه ۱۸ نگاه کنید) اما درباره روایتی که نقل نموده‌اند، پیش‌ازین گفتیم که خبر واحد چون با آیات قرآنی هماهنگی نداشته باشد، در «علم تفسیر» قابل پذیرش نیست. به قول صاحب المیزان: «حدیث در اعتبار خود به تأیید قرآن مجید نیازمند است و روی این اساس چنانکه در اخبار زیادی از پیغمبر اکرم ﷺ و ائمه اهل بیت علیهم السلام وارد شده است باید حدیث را به قرآن عرضه داشت... روایت را باید با آیه تأیید نمود و تصدیق کرد، نه اینکه آیه را تحت حکومت روایت قرار داد»^(۱).

* * *

۱- به قرآن در اسلام، اثر علامه محمدحسین طباطبائی، ص ۱۰۵ نگاه کنید.

نکته‌ای از سوره بلد

﴿لَا أُقْسِمُ بِبَدَا الْبَلَدِ ﴿۱﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِبَدَا الْبَلَدِ ﴿۲﴾﴾ سوگند یاد کردن یا قسم نخوردن!

تعبیر «لا أُقْسِمُ» در قرآن کریم مکرر (هشت بار) آمده است. در این باره پرسشی پیش می‌آید که آیا خداوند با این تعبیر، سوگند یاد می‌نماید یا از سوگند خوردن امتناع می‌ورزد؟ بیشتر مترجمان قرآن کریم، تعبیر مزبور را برای سوگند یاد کردن دانسته‌اند ولی برخی از ایشان به تردید افتاده و «لا أُقْسِمُ» را در یکجا به معنای «سوگند یاد نکنم» ترجمه نموده‌اند و در جای دیگر آن را به صورت قسم خوردن نشان داده‌اند! چنانکه در ترجمه متداولی که اینروزها در دسترس ایرانیان قرار دارد ملاحظه می‌شود.^(۱)

اما حقیقت آنستکه در این آیات شریفه همواره سوگند یاد شده است و کلمه «لا» در آغاز آن‌ها برای نفی قسم نیست بلکه برای «تأکید قسم» می‌آید چنانکه رسم عرب است که در محاورات خود به هنگام سوگند خوردن می‌گویند:

لا والله! زمخشری که ادیب مفسران شمرده می‌شود در تفسیر کشاف می‌نویسد: آوردن «لا» برای فعل قسم در کلام و اشعار عرب مشهور است چنانکه امرؤ القیس (شاعر نامدار دوره جاهلی) گفته است:

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أنني أفر!

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای مهدی الهی قمشه‌ای بنگرید و ترجمه آیه نخست از سوره قیامت را با اولین آیه از سوره بلد در ترجمه ایشان بسنجید.

در اینجا شاعر، با وجود آوردن «لا» در آغاز بیت، به پدر معشوقه‌اش (دختر عامری) سوگند یاد می‌کند. زمخشری می‌گوید: «وَفَائِدَتُهَا تَوْكِيدُ الْقَسْمِ»^(۱). فایده اینکار، تأکید سوگند است. در توجیه این امر آورده‌اند که ذکر «لا» در آغاز سخن برای نفی ادعای مخالفان است (نه برای نفی قسم) زیرا معمولاً سوگند را در برابر مخالف و منکر یاد می‌کنند. گویی کسی که قسم می‌خورد به طرف مقابل می‌گوید: (چنین نیست که تو می‌گویی، سوگند یاد می‌کنم که چنان است). زمخشری می‌نویسد: «فَقِيلَ لَا، أَي لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ، ثُمَّ قِيلَ أَقْسِمُ...»^(۲).

علاوه بر آنچه زمخشری آورده می‌توان گفت به دو دلیل، در این آیات، حقتعالی سوگند یاد نموده است. اول آنکه: اگر با ذکر «لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» مراد خداوند این بود که به شهر مکه سوگند نخورد، پس چرا در جای دیگر از قرآن کریم به همان بلد (یعنی شهر مکه) قسم خورده است و می‌فرماید: «وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ»؟! دوم آنکه: در سوره کریمه نساء پس از آوردن حرف «لا» در آغاز جمله، واو قسم بکاررفته است و نشان می‌دهد که «لا» به عنوان نفی قسم، عمل نمی‌کند وگرنه، تناقض لازم می‌آید. چنانکه می‌فرماید: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ۶۵]. یعنی «پس نه (چنانست)، سوگند به خداوندت که آن‌ها ایمان ندارند تا تو را در اختلاف میان خود حکمیت دهند» باتوجه به این نظر، کسانی که «لا» را زائده می‌شمرند نیز قولشان درست نیست.

*

*

*

۱- تفسیر کشاف، ج ۴، ص ۶۵۸.

۲- تفسیر کشاف، ج ۴، ص ۶۵۹.

نکته‌ای از سوره تکاثر

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿١﴾ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ﴿٢﴾﴾ علم یقین و رؤیت دوزخ!

در این آیه کریمه که می‌فرماید: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٢﴾﴾ (اگر می‌دانستید، دانستن یقینی...) جواب شرط (یعنی جواب ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ محذوف و مقدر است ولی برخی از مترجمان، بدون توجه بدین امر گمان کرده‌اند که آیه بعد (یعنی ﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ﴿٢﴾﴾ جواب شرط به‌شمار می‌آید، درحالی‌که آیه بعد با «لام قسم» آغاز شده و از امر محقق الوقوعی خبر می‌دهد که شرط ناپذیر است و از اینرو نمی‌تواند جواب شرط باشد و جمله فعلیه جدیدی شمرده می‌شود چنانکه زمخشری در «کشاف» می‌نویسد: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَحذُوفَ الْجَوَابِ»^(۱). و ابن عاشور در تفسیر «التحریر و التَّنویر» مرقوم داشته: «لَيْسَ قَوْلُهُ (لَتَرُونَ الْجَحِيمَ) جَوَابُ لَوْ»^(۲). و ابن عطیه اندلسی در تفسیر «المحرر الوجیز» می‌نویسد: «جَوَابُ لَوْ مَحذُوفٌ مُقَدَّرٌ فِي الْقَوْلِ»^(۳). شیخ طبرسی در مجمع‌البیان نیز جواب شرط را محذوف و مقدر شمرده و در تفسیر «المیزان» هم آمده است که: «جَوَابُ لَوْ مَحذُوفٌ»^(۴). همچنین کسانی که در «إعراب القرآن» به تألیف پرداخته‌اند، آن‌ها هم مانند مفسران قرآن، آشکارا گفته‌اند که جواب لَوْ تَعْلَمُونَ، آیه بعد نیست چنانکه محیی‌الدین درویش می‌-

۱- کشاف، ج ۴، ص ۷۹۲.

۲- التحریر و التَّنویر، ج ۱۲، ص ۵۲۲.

۳- المحرر الوجیز، ج ۱۵، ص ۵۵۹.

۴- تفسیر المیزان، ج ۲۰، ص ۴۹۶.

نویسد: «وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ (لَتَرُونَ) هُوَ الْجَوَابُ لِأَنَّهُ مُحَقَّقُ الْوُقُوعِ»^(۱). یعنی: صحیح نیست که لَتَرُونَ، جواب شرط باشد زیرا وقوع این رؤیت، امری قطعی است (نه مشروط)!

باینهمه برخی از مترجمان قرآن چنانکه گفتیم، آیات شریفهٔ سورهٔ تکوین را به صورتی ترجمه نموده‌اند که «لَتَرُونَ الْجَحِيمَ» را جواب «لَوْ تَعْلَمُونَ» به‌شمار آورده‌اند چنانکه یکی از مترجمان مرقوم داشته است: «اگر به علم قطعی می‌دانستید، حتماً دوزخ را به چشم باطن می‌دیدید»^(۲). دیگری نوشته: «اگر از روی یقین بدانید، البته جهنم را خواهید دید»^(۳). سوّمی می‌نویسد: «اگر به علم یقین بدانید، بی‌شبهه دوزخ را ببینید»^(۴). چهارمی مرقوم داشته است: «اگر بدانش بی‌گمان بدانید، براستی دوزخ را خواهید دید»^(۵). پنجمین مترجم نوشته است: «اگر به علم یقین بدانید (روزهای دوزخ) را خواهید دید»^(۶). ششمین مترجم می‌نویسد: «اگر به علم یقین و بدون هیچ شک بدانید، البته جهنم را خواهید دید»^(۷). هفتمین مترجم نوشته است: «اگر شما به علم یقینی می‌دانستید (که آخرتی هست) به یقین جهنم را می‌دیدید»^(۸).

۱- إعراب القرآن، ج ۸، ص ۳۹۹.

۲- به ترجمهٔ قرآن، اثر آقای حسین استادولی نگاه کنید.

۳- به ترجمهٔ قرآن، اثر آقای عبدالمحمد آیتی بنگرید.

۴- به ترجمهٔ قرآن، اثر آقای بهاءالدین خرّمشاهی نگاه کنید.

۵- به ترجمهٔ قرآن، اثر آقای علی موسوی گرمارودی بنگرید.

۶- به ترجمهٔ قرآن، اثر آقای داریوش شاهین نگاه کنید.

۷- به ترجمهٔ قرآن، اثر آقای هوشنگ آبان بنگرید.

۸- به ترجمهٔ قرآن، اثر آقای ابوالفضل بهرامپور نگاه کنید.

در تمام این ترجمه‌ها، جواب شرط همان آیه ششم از سوره تکاثر به حساب آمده است. اما مفسران قرآن کریم که جواب شرط را محذوف دانسته‌اند، هر کدام آن را به شکلی در تقدیر گرفته‌اند ولی از حیث معنا میانشان اختلافی نیست. مثلاً شیخ طبرسی می‌نویسد:

«لَوْ تَعْلَمُونَ الْأَمْرَ عَلِمًا يَقِينًا لَشَغَلَكُم مَّا تَعْلَمُونَ عَنِ التَّفَاخُرِ وَالتَّبَاهِي بِالْعِزِّ وَالكَثْرَةِ»^(۱).

صاحب تفسیر «المیزان» نیز شبیه همین قول را آورده است و پیدا است که آن را از شیخ طبرسی اقتباس نموده و می‌نویسد: «لَوْ تَعْلَمُونَ الْأَمْرَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَشَغَلَكُم مَّا تَعْلَمُونَ عَنِ التَّبَاهِي وَالتَّفَاخُرِ بِالكَثْرَةِ»^(۲).

ابن عطیه اندلسی در تفسیر «المحرر الوجیز» جواب شرط را چنین توضیح داده است: «لَا زِدْجَرْتُمْ وَبَادِرْتُمْ إِنْقَادَ أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ»^(۳).

از همه اقوال موجزتر، قول ابن قیم جوزیه است که در تفسیر خود نوشته جواب شرط به قرینه آغاز سوره: «لَمَّا أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ» است چنانکه گوید: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ﴿جَوَابُهُ مَحْذُوفٌ، دَلَّ عَلَيْهِ مَا تَقَدَّمَ أَي: لَمَّا أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾^(۴). می‌گوید جواب آیه شریفه، محذوف است و آنچه در (آغاز سوره آمده یعنی أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) بر آن دلالت دارد. بنابراین آیه شریفه می‌فرماید: اگر می‌دانستید، دانستنی یقینی (که قیامت خواهد آمد) تفاخر به فزونی مال و افراد، شما را سرگرم و غافل نمی‌کرد.

* * *

۱- تفسیر مجمع‌البیان، ج ۳۰، ص ۲۸۲.

۲- تفسیر المیزان، ج ۲۰، ص ۴۹۶.

۳- المحرر الوجیز فی تفسیرالکتاب العزیز، ج ۱۵، ص ۵۵۹.

۴- التفسیر الیقین، ص ۵۷۷.

نکته‌ای از سوره عصر

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ سوگند به کدام عصر؟!

واژه «عصر» در زبان عرب، معانی گوناگونی را دربر دارد از اینرو مترجمان و مفسران قرآن کریم هر کدام معنایی را در ترجمه و تفسیر آیه مزبور برگزیده‌اند. از ابن عباس گزارش شده که گفت: «العصر ما يلي المغرب من النهار»^(۱) (عصر هنگامی از روز است که پیش از مغرب می‌آید)^(۲). فرأ گفته است: «العصر الدهر أقسم الله تعالى به»^(۳) (عصر، همان روزگار است که خدایتعالی بدان سوگند یاد کرده). برخی آن را اشاره به «نماز عصر» دانسته‌اند. در مجمع‌البیان آمده: «قيل أقسم بصلوة العصر وهي الصلوة الوسطى عن مقاتل»^(۴) (مقاتل بن سلیمان گفته مراد، نماز عصر است که همان نماز میانه باشد). بعضی آن را سوگند به روزگار پیامبر اسلام ﷺ دانسته‌اند و برخی آن را قسم به دوران مهدی تصور کرده‌اند چنانکه در تفسیر المیزان آمده: «وَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ عَصْرُ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(۵).

آنچه ما بر آن رفته‌ایم، همان قول ابن عباس است به قرینه آنکه اولاً سوره شریفه عصر

۱- لسان العرب، اثر ابن منظور، ج ۴، ص ۵۷۵.

۲- سیوطی در تفسیر «الدر المنثور» از قول ابن عباس آورده که درباره عصر گفت: هُوَ مَا قَبْلَ مَغِيبِ الشَّمْسِ مِنَ الْعَشِيِّ (ج ۶، ص ۳۹۲).

۳- لسان العرب، ج ۴، ص ۵۷۵.

۴- تفسیر مجمع‌البیان، ج ۳۰، ص ۱۸۵.

۵- تفسیر المیزان، ج ۲۰، ص ۵۰۱.

در میان سُورِی قرار گرفته که در آغازشان به اوقات مختلف شبانه‌روز سوگند یاد شده است چنانکه می‌فرماید: **وَالْفَجْرِ** (سوگند به سپیده‌دم) **وَالضُّحَى** (سوگند به هنگام چاشت) **وَاللَّيْلِ** (قسم به شب) و معلوم است اگر در پی این سوره‌ها، گفته شود: **وَالْعَصْرِ**! آنچه به ذهن متبادر می‌شود همان آخر روز و پیش‌از غروب آفتاب است. ثانیاً از صحابی معروف **أَبِي بِن كَعْب** رسیده که گفت: **سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْعَصْرِ فَقَالَ: أَقْسَمَ رَبُّكُمْ بِأَخْرِ النَّهَارِ**^(۱) (از رسول- خدا ﷺ دربارهٔ عصر پرسیدم، فرمود: خداوندتان به پایان روز سوگند یاد کرده است).

اما دربارهٔ اهمیت وقت عصر، شیخ **طبرسی** در **مجمع‌البیان** چنین گفته است: **«أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالطَّرْفِ الْأَخِيرِ مِنَ النَّهَارِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِدْبَارِ النَّهَارِ وَإِقْبَالِ اللَّيْلِ وَذَهَابِ سُلْطَانِ الشَّمْسِ»**^(۲) (خداوند سبحان به پایان روز سوگند خورده زیرا که بر یگانگی وی دلالت دارد از آنکه روز، پشت می‌نماید و شب روی می‌آورد و فرمانروایی خورشید رخت برمی‌بندد).

علاوه بر این، در پیوند میان **«وَالْعَصْرِ»** و جواب قسمی که در پی آن می‌آید (یعنی: **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ**^(۳)) نکته‌ای لطیف وجود دارد که **فخر رازی** آن را در تفسیرش از قول **حسن بصری** آورده و حاصل سخن (به‌تعبیر ما) اینست که: (در روزگار گذشته) وقت محاسبهٔ سود و زیان برای بازرگانان و کاسبان، هنگام عصر بوده است زیرا که تاریکی شب فرامی‌رسید و مردم دست از کار بازمی‌داشتند. بنابراین خدایتعالی به چنین زمانی سوگند یاد می‌فرماید که: سوگند به عصر (به‌هنگام محاسبهٔ سود و زیان کارها) که همهٔ انسانها در پایان عمر به‌لحاظ رسیدگی به اعمالشان دچار زیان و خُسران می‌شوند مگر کسانی که ایمان آوردند و به کارهای شایسته پرداختند و یکدیگر را به صبر و پایداری و پیمودن راه حق سفارش کردند که سود حقیقی و دائمی از آن ایشان است^(۳).

۱- التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ، اثر ابن جزئی، ج ۴، ص ۴۱۷

۲- تفسیر مجمع‌البیان، ج ۳۰، ص ۱۸۵.

۳- برای دیدن تفصیل این قول، به تفسیر مفاتیح‌الغیب، اثر فخر رازی، ج ۸، ص ۵۰۰ نگاه کنید.

نکته‌ای از سوره قریش

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝۱ إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝۲ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝۳﴾

توحید و الفت

درباره ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝۱﴾ مترجمان قرآن و مفسران آن، به اختلاف سخن گفته‌اند زیرا در برابر این پرسش قرار گرفته‌اند که: جارّ و مجرور در ﴿لَا يَلْفُ﴾ به چه امری تعلق دارد؟ بیشتر مترجمان قرآن و بعضی مفسران گفته‌اند که سوره شریفه قریش به سوره فیل وابسته است (تا آنجا که برخی از ایشان هردو سوره را یکی پنداشته‌اند) در نتیجه گمان کرده‌اند که ﴿لَا يَلْفُ﴾ به جمله (مقدّری) تعلق دارد که از سوره فیل برمی‌آید. چنانکه یکی از مترجمان مرقوم داشته است: (کیفر لشکر فیل سواران) بخاطر این بود که قریش (به این سرزمین مقدّس) اُلفت گیرند^(۱). و دیگری نوشته است: «برای الفت دادن قریش (ما پیلداران را نابود کردیم)^(۲)». سوّمی مرقوم داشته: «(حادثه فیل سواران) برای (احساس خطر) و همبستگی قریش بود^(۳)». چهارمی نوشته است: «(خدا با اصحاب فیل چنین کرد) برای اینکه قریش (خداشناس شوند و) با هم انس و الفت گیرند^(۴)» پنجمین مترجم مرقوم داشته: «برای الفت دادن قریش، اُلفتشان هنگام کوچ زمستان و تابستان (خدا پیلداران را نابود کرد)^(۵)» ششمین نوشته:

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای ناصر مکارم شیرازی نگاه کنید.

۲- به ترجمه قرآن، اثر آقای حسین استادولی بنگرید.

۳- به ترجمه قرآن، اثر آقای علی اکبر طاهری قزوینی نگاه کنید.

۴- به ترجمه قرآن، اثر آقای مهدی الهی قمشه‌ای بنگرید.

۵- به ترجمه قرآن، اثر آقای محمدمهدی فولادوند نگاه کنید.

«(شکست آبرهه) به خاطر این بود که قریش (به کعبه) الفت گیرند^(۱)»...

همه این مترجمان، جمله مقدری را از سوره فیل برداشت کرده‌اند و بر آیه مورد بحث افزوده‌اند. سؤال ما اینجا است که چه ضرورتی در این کار وجود دارد؟ این دو سوره شریفه اگرچه در پی یکدیگر نهاده شده‌اند ولی مانند دیگر سوره قرآن، آیه کریمه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» آندو را از هم جدا نموده است^(۲) و از اینرو لزومی ندارد تا آغاز سوره قریش را به جمله مقدری که برای سوره فیل می‌سازیم، پیوند دهیم به‌ویژه هنگامی که می‌توانیم آن را به ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ در همین سوره وابسته بدانیم چنانکه زمخشری در تفسیر کشاف گفته است ﴿لَا يَلْفٌ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾. أَمْرُهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ لِأَجْلِ إِيْلَافِهِمُ الرَّحْلَيْنِ^(۳). یعنی: «لام در ﴿لَا يَلْفٌ﴾ به ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تعلق دارد. خداوند فرمان داده که او را بندگی کنند تا در سفر زمستان و تابستان، مایه اُلفت آنان باشد». نظایر این طرز بیان در قرآن کریم مکرر ملاحظه می‌شود چنانکه می‌فرماید: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾ [الصافات: ۶۱] و نیز می‌فرماید: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين: ۲۶] و همچنین می‌فرماید: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ۷] که در همه این آیات، جاز و مجرور بر افعال مقدم شده‌اند.

قول مزبور را مفسران مشهور، از قدیم و جدید، نیز پسندیده‌اند. به‌عنوان نمونه از قدما شیخ طبرسی در تفسیر «جوامع الجامع» مرقوم داشته است: تَعَلَّقَ «اللَّامُ» بِقَوْلِهِ «فَلْيَعْبُدُوا» أَمْرُهُمْ اللَّهُ عَزَّ اسْمُهُ أَنْ يَعْبُدُوهُ لِأَجْلِ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ^(۱). (لام در ﴿لَا يَلْفٌ﴾ به

۱- به ترجمه قرآن، اثر آقای ابوالفضل بهرامپور بنگرید.

۲- صاحب تفسیر «المیزان» در (ج ۲۰ ص ۵۱۴) وحدت ایندو سوره را به‌خوبی نفی و رد فرموده است.

۳- تفسیر کشاف، ج ۴، ص ۸۰۰.

۱- تفسیر جوامع الجامع، ج ۴، ص ۵۴۲.

﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تعلق دارد. خدایتعالی فرمان داده تا (قریش) او را بندگی کنند برای آنکه در مسافرت زمستان و تابستان، مایه الفتشان باشد).

و از مفسران جدید نیز ابن عاشور در «التحریر و التّنویر» می‌نویسد: ﴿فَيَتَعَلَّقُ﴾ «لَا يَلْفُ» و بقوله «فَلْيَعْبُدُوا» و تقدیم هذا المجرور للإهتمام به^(۱). ﴿لَا يَلْفُ﴾ به ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ متعلق است و پیش افکندن جارّ و مجرور برای اهتمام بدان صورت گرفته است).

خلاصه آنکه در وحدت سوره فیل و قریش، نه دلالت قرآنی ملاحظه می‌شود و نه حدیثی از رسول خدا ﷺ آن را تأیید می‌کند جز اینکه برخی از مفسران قدیم (مانند ابن زید) چنین حدس زده‌اند و ظاهراً دیگران از ایشان پیروی نموده‌اند و به قول طبری در تفسیرش: «وَفِي إِجْمَاعِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُمَا سُورَتَانِ تَامَتَانِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الْأُخْرَى»^(۲) (در اجماع همه مسلمانان است که آن‌ها، دو سوره کاملند و هریک از دیگری جداست). بنابراین لزومی ندارد که جمله‌ای را مناسب با سوره فیل در آغاز سوره قریش به تقدیر گیریم.

خلیل بن احمد فراهیدی، ادیب نامدار عرب، در توجیه اعراب آیه شریفه گفته است:

«أَلَفَ اللَّهُ قُرَيْشًا إِيلَافًا فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ وَعَمِلَ مَا بَعَدَ الْفَاءِ فِيهَا قَبْلَهَا... كَقَوْلِكَ: زَيْدًا

فَاضْرِبْ»^(۳) یعنی: خدا در قریش الفت پدید آورد پس (به پاس این نعمت) خداوند کعبه را باید پرستش کنند. در آیه شریفه آنچه بعد از فاء آمده نسبت به قبل از خود به لحاظ نحوی، عمل کرده است چنانکه گویی: زيدا فاضرب.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا

* * *

۱- تفسیر التحریر و التّنویر، ج ۲۰، ص ۵۵۴.

۲- تفسیر طبری، ج ۲۶، ص ۶۵۰.

۳- تفسیر قرطبی (الجامع لأحكام القرآن) ج ۱۰، ص ۱۴۴.